دبلوم أكاديمية التأصيل العلمي

مقرر المستوى الثاني

الفصل الدراسي الثاني

جمع وإعداد

أكاديمية التأصيل العلمي

مقدمة:

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على معلم البشرية أجمعين، وبعد:
انطلاقاً من قوله تعالى:{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ❖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❖عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:١ -٤] وقوله تعالى:{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ [يوسف:١٠٨] وقوله سبحانه:{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر:٢٨].

وقوله صلى الله عليه وسلم:" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ". أخرجه الترمذي وحسنه.

وحديث "طلب العلم فريضة على كل مسلم". رواه ابن ماجة وصححه الألباني. وحديث" إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". رواه مسلم.

ورغبةً من (**أكاديمية التأصيل العلمي**) في تعليم العلم الشرعي ونشره، قامت بإعداد مقررات دبلوم العلوم الشرعية، تشتمل على (القرآن الكريم والتفسير وعلومه، والعقيدة الإسلامية، والسيرة النبوية، والفقه وأصوله وقواعده، والحديث وعلومه، والنحو) في أساسيات العلوم الشرعية لطلاب وطالبات العلم بصورة منهجية منظمة وميسرة، وفق معايير علمية؛ بهدف إيجاد شخصية المسلم المتكاملة، التي ترتكز على إيمان عميق، وخلق كريم، وتوجه صادق إلى الله سبحانه وتعالى؛ المحركات الحقيقة للسلوك والموجهات الفاعله له، و التي لا بد أن تكون محكومةً بمعايير الشرع الذي ارتضاه الله تعالى للبشر، وأرسل به محمداً صلى الله عليه وسلم هدى ورحمةً للعالمين؛ ليتمكن المسلم من خلالها أداء الأمانة الكبرى التي أوجده الله من أجلها في هذه الحياة وهي عبادته سبحانه وتعالى القائل : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}.[الذاريات:٥٦] وفق منهجه تباك وتعالى ووحيه المنزل.

وبين أيدكم مقررات منهج الفصل الثاني من المستوى الثاني لطلاب أكاديمية التأصيل العلمي..

ونسأل الله تعالى أن يبارك بالجهود ويتحقق التعلم المنشود

المجلس العلمي للأكاديمية

فهرس الموضوعات

مادة القرآن والتفسير(٤)

جزء الذاريات

مقدمة :

مما لا شك فيه أن حفظ وفهم القرآن الكريم وتدبره هو أفضل ما يُتعلم، وأفضل ما يُعلَّم، قال عليه الصلاة والسلام(خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه)رواه البخاري، وقال عليه الصلاةُ والسلام:(اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) رواه مسلم.

ومن أجلِّ فنون العلم وأشرفها علم التفسير الذي هو تبيين معاني كلام الله عز وجل، يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وإن حاجة الأمّة إليه ماسّة في كلّ زمان ومكان؛ وذلك لافتقارهم إلى معرفة كلام ربهم و بيان ما أنزل الله في كتابه من الهدى، وجواب ما أشكل عليهم فهمه، وخفي عليهم علمه، بصورة مبسطة وميسرة.. وقد قال العلماء: إنما شرف العلم بشرف المعلوم؛ فلما كان المعلوم متعلقا بكتاب الله كان هذا العلم شريف رفيع..

وبين أيدكم مقرر القرآن الكريم والتفسير للفصل الثاني من المستوى الثاني...

سورة الذاريات [مكية وآياتها ستون]

نزلت بعد سورة الأحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

●**قال تعالى:(وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۞ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۞ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۞ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۞ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۞ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۞ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۞ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۞ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۞ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۞ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۞ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) [الذاريات:١ -١٤].**

ثبت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه صعد منبر الكوفة فقال: لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى، ولا عن سنة رسول الله ﷺ إلا أنبأتكم بذلك، فقام ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين! ما معنى قوله تعالى:(وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا)؟ قال علي ﷺ: الريح، قال:(فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا)؟ قال ﷺ: السحاب، قال:(فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا)؟ قال ﷺ: السفن، قال:(فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) قال: الملائكة. وهكذا فسرها عمر بن الخطاب، وابن عباس وابن عمر ﷺ وسعيد بن جبير والحسن وقتادة، والسدي وغير واحد، ولم يحكِ ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك. وهذا قَسَم من الله تعالى على وقوع المعاد. ولهذا قال تعالى:(إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ) أي لخبر صِدق (وَإِنَّ الدِّينَ) يوم الحساب، (لَوَاقِعٌ) أي لكائن لا محالة. ثم قال تعالى:(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء، (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) أي إنكم أيها المشركون المكذبون بالرسل لفي قول مختلف مضطرب لا يلتمّ ولا يجتمع. وقال تعالى:(يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) أي إن ذلك القول المختلف يروَّج على من هو ضال في نفسه، لأنه قول باطل إنما ينقاد له ضال غَمرٌ لا فهم له. كقوله:(فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۞ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ۞ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) وقوله تعالى:(قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ) قال قتادة: الخراصون أهل الغرة والظنون، (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ) أي في الكفر والشك غافلون لاهون، قاله ابن عباس وغيره، (يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) أي متى يوم الحساب، إنما يقولون هذا تكذيبًا وعنادًا وشكًّا واستبعادًا. وقوله تعالى:(يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) أي يحرقون، (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) أي حريقكم، (هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) أي: يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتحقيرًا، والله أعلم.

●**قال تعالى:(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۞ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۞ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۞ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) [الذاريات:١٥ -٢٣].**

يقول تعالى مخبرًا عن المتقين لله عز وجل أنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال. وقوله تعالى:(آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ) آخذين حال من قوله في جنات وعيون، فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذين ما آتاهم ربهم أي من النعيم والسرور والغبطة. وقوله عز وجل:(إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ) أي في الدار الدنيا. كقوله تعالى:(كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) ثم إنه تعالى بين إحسانهم في العمل، فقال جل وعلا:(كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) أي قل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون. قاله مجاهد وكذا قال قتادة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئًا. وقال زيد بن أسلم: طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ.

وقال عبدالله بن سلام ﵁: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن انجفل، فلما رأيت وجهه ﷺ عرفت أن وجهه ليس وجه رجل كذاب، فكان أول ما سمعته ﷺ يقول:" يا أيها الناس أطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وأفشوا السلام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام". وقوله عز وجل:(وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) كقوله تعالى:(وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) وإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن. وقد ثبت في الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة ﵃ عن رسول ﷺ أنه قال:" إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فيعطى سؤله؟ حتى يطلع الفجر".

وقوله تعالى:(وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) لما وصفهم الله تعالى بالصلاة ثنَّى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة. فقال سبحانه:(وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ) أي جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم. أما السائل فمعروف وهو الذي يبتدئ بالسؤال، وله حق كما روى الإمام أحمد عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" للسائل حق وإن جاء على فرس" ورواه أبو داود من حديث سفيان الثوري به، وأما المحروم قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: هو المحارف الذي ليس له سهم في الإسلام. يعني لا سهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوّت منها. وقالت أم المؤمنين: هو المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه. وقال الضحاك: هو الذي لا يكون له مال إلا ذهب.

وقوله تعالى:(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ) أي فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها، وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم، والحركات والسعادة والشقاوة وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من

أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه. ولهذا قال:(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق وليّنت مفاصله للعبادة.

ثم قال تعالى:(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) يعني المطر هو الرزق من السماء، والجنة هي التي يوعدون. وقوله تعالى:(فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كان لا محالة. وهو حق لا مرية فيه فلا تشكوا فيه، كما لا تشكون في نطقكم حين تنطقون. وكان معاذ رضي الله عنه إذا حدث بالشيء يقول لصاحبه: إن هذا الحق كما أنك ههنا.

الفوائد:

....

....

....

●**قال تعالى:(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ◆ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ◆ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ◆ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ◆ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ◆ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ◆ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ)[الذاريات:٢٣ -٣٠].**

هذه القصة قد تقدمت في سورتي هود والحجر، فقوله تعالى:(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) أي أعدَّ لهم الكرامة والضيافة، (فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ) الرفع أقوى من النصب أي رد السلام برد أفضل. كما قال تعالى:(وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) فالخليل اختار الأحسن. وقوله تعالى:(قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) أي لا يعرفهم، وهم في الحقيقة الملائكة المكرمون: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم. قدموا على إبراهيم في صورة شبان حسان، عليهم مهابة عظيمة. ولهذا قال:(قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) وقوله عز وجل:(فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ) أي انسل خفية في سرعة. (فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) أي من خيار ماله، كما قال تعالى في الآية الأخرى:(فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) أي مشوي على الرضف، (فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ) أي أدناه منهم. (قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ) وهذا تلطف في العبارة وعرض حسن، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة: فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولًا فقال نأتيكم بطعام، بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل سمين مشوي، فقربه إليهم لم يضعه وقال اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمرًا يشق عليهم بصيغة الجزم، بل قال:(أَلَا تَأْكُلُونَ) على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل. وقوله تعالى:(فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ) أي نحن رسل ربك إلى قوم لوط، ثم بشروه بإسحق. ولهذا قال تعالى:(وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) فالبشارة له

هي لها؛ لأن الولد منهما فكل منهما بُشِّر به، وقوله تعالى:(فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ) أي في صرخة عظيمة ورنة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وهي قولها:(يَا وَيْلَتَى)، (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) تعجبًا كما تتعجب النساء من الأمر الغريب، (وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) أي كيف ألد وأنا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقيمًا لا أحبل؟ (قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) أي الحكيم في أقواله وأفعاله والعليم بما تستحقون من الكرامة.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ❖ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ❖ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ❖ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ❖ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ❖ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ❖ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) [الذاريات:٣١ -٣٧].

قوله تعالى:(قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ) أي ما شأنكم وفيما جئتم؟ (قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ) يعنون قوم لوط، (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ❖ مُسَوَّمَةً) أي معلمة، (عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ) أي مكتتبة عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه، فقال في سورة العنكبوت:(قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ)، وقال تعالى ههنا:(فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته، (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) هو بيت لوط عليه السلام فحسب. وقوله تعالى:(وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) أي جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل، وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة، ففي ذلك عبرة للمؤمنين (لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ).

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ❖ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ❖ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ❖ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ❖ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ❖ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ❖ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ❖ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ❖ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) [الذاريات:٣٨ -٤٦].

يقول تعالى:(وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) وفي موسى معطوف على (فِيهَا) الواردة في الآية التي قبلها:(وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً) والمعنى: وجعلنا في قصة موسى آية، (إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) أي بدليل باهر وحجة قاطعة (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) أي فأعرض فرعون عما جاء به موسى من الحق المبين استكبارًا وعنادًا (وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) أي لا تخلو من أحد الوصفين، قال تعالى:(فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ) أي ألقيناهم (فِي الْيَمِّ) وهو البحر (وَهُوَ مُلِيمٌ) أي وهو ملوم كافر جاحد فاجر معاند.

ثم قال عز وجل:(وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) أي المفسدة التي لا تنتج شيئًا. ولهذا قال تعالى:(مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ) أي مما تفسده الريح، (إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ) أي كالشيء الهالك البالي. وقد ثبت في الصحيح من رواية شعبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" نصرت بالصبا، وأُهلكت عاد بالدبور"، (وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ) كقوله تعالى:(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ)، وهكذا قال ههنا:(وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ۞ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) أي لا يقدرون على أن ينتصروا مما هم فيه. وقوله عز وجل:(وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ) أي وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) وكل هذه القصص قد تقدّمت مبسوطة في أماكن كثيرة من سور متعددة والله تعالى أعلم.

●قال تعالى:(وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۞ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ۞ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۞ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) [الذاريات:٤٧ -٥١].

يقول تعالى منبهًا على خلق العالم العلوي والسفلي:(وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا) أي جعلناها سقفًا محفوظًا رفيعًا (بِأَيْدٍ) أي بقوّة (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) أي قد وسعنا أرجاءها فرفعناها بغير عمد حتى استقلّت كما هي، (وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا) أي جعلناها فراشًا للمخلوقات (فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ) أي وجعلناها مهدًا لأهلها (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) أي جميع المخلوقات أزواج: سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات. ولهذا قال تعالى:(لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) أي لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) أي الجأوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه، (إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۞ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) أي لا تشركوا به شيئًا (إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ).

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ❖ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ❖ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ❖ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ❖ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ❖ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ❖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ❖ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ❖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) [الذاريات:٥٢ -٦٠].

يسلي الله تعالى نبيه ﷺ: وكما قال لك هؤلاء المشركون قال المكذبون الأولون لرسلهم:(كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) قال الله عز وجل:(أَتَوَاصَوْا بِهِ) أي هل أوصى بعضهم بعضًا بذلك؟ (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) أي لكنهم هم الطغاة أي هؤلاء وأولئك، فقد تشابهت قلوبهم وأقوالهم. قال الله تعالى:(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) أي فأعرض عنهم يا محمد (فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) على ذلك (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) أي إنما تنتفع بها القلوب المؤمنة. ثم قال عز وجل:(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم، وليقرّوا طوعًا أو كرهًا بعبادتي، وما أمرتهم بعبادتي إلا لأني أستحقها وحدي، فإن هم أشركوا بها غيري حاق بهم سخطي، وإن وحدوني في العبادة رضيت عنهم وأدخلتهم جنتي، ولا شك أن هذا رحمة منه تعالى بعباده أن يبين لهم هذا الأمر حتى يعملوا بما علموا على الوجه الذي يرضيه تعالى، وهو تعالى ليس بحاجة إليهم، وهو الغني عن العالمين. ولهذا قال سبحانه:(مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ❖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) والمراد أن الله تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، وإنه غير محتاج إليهم؛ بل هم الفقراء إليه دائمًا فهو خالقهم ورازقهم، روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ -عن ربه تعالى -:" يا ابن آدم! تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلًا ولم أسد فقرك" ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة، وقال الترمذي: حسن غريب. وقوله تعالى:(فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا) أي نصيبًا من العذاب (مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ) أي الذين سبقوهم (فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ) العذاب (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) يعني يوم القيامة الذي يكذبون به.

الفوائد:

....

....

....

سورة الطور [مكية وآياتها تسع وأربعون]

نزلت بعد السجدة

روى مالك عن جبير بن مطعم عن أبيه:" سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا أو قراءة منه" أخرجاه. وروى البخاري عن أم سلمة -رضي الله عنها - قالت:" شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي، فقال: طوفي من وراء الناس وأنت راكبة، فطفت ورسول الله ﷺ يصلي إلى جانب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور".

بسم الله الرحمن الرحيم

●**قال تعالى:(وَالطُّورِ ❖ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ❖ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ❖ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ❖ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ❖ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ❖ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ❖ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ❖ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْرًا ❖ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ❖ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ❖ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ❖ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ❖ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ❖ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ ❖ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [الطور:١ -١٦].**

يُقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة، أن عذابه واقع بهم أي بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم، فالطور هو الجبل الذي يكون فيه الشجر وهو الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى -على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طورًا، إنما يقال له جبل، والمراد في هذه الآية هو جبل الطور نفسه. (وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ) هو الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً، ولهذا قال تعالى:(فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ) وقيل هو اللوح المحفوظ، والأول أصح والله أعلم، (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) ثبت في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته السماء السابعة:" ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفًا لا يعودون إليه آخر ما عليهم"، يعني يتعبَّدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، كذلك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة، وهو بحيال الكعبة الأرضية وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها، ويصلون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة والله أعلم. وقوله تعالى:(وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ) قال الربيع بن أنس هو العرش، يعني أنه سقف لجميع المخلوقات وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور.

وقوله تعالى:(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) أي يوقد يوم القيامة نارًا. كقوله تعالى:(وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) أي أضرمت فتصير نارًا تتأجج. روي عن علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم. وقوله تعالى:(إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) هذا هو المقسم عليه، أي لواقع بالكافرين، كما قال سبحانه في الآية الأخرى:(مَا لَهُ مِن دَافِعٍ) أي ليس له من دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله تعالى بهم ذلك. وقوله

تعالى:(يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْرًا) قال ابن عباس وقتادة: تتحرك تحريكًا باستدارة (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) أي تذهب فتصير هباء منبثًا وتنسف نسفًا، (فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) أي ويل لهم يومئذ من عذاب الله تعالى ونكاله بهم وعقابه لهم، (الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ) أي هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم هزوًا ولعبًا، (يَوْمَ يُدَعُّونَ) أي يدفعون ويساقون (إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) أي يدفعون فيها دفعًا (هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ) أي تقول لهم الزبانية ذلك تقريعًا وتوبيخًا (أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ * اصْلَوْهَا) أي ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته، (فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ) أي سواء إن صبرتم أو جزعتم فلا محيد لكم عنها، ولا خلاص لكم منها، (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أي ولا يظلم الله أحدًا بل يجازي كلًّا بعمله.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ) [الطور:١٧ -٢٠].

أخبر تعالى عن حال السعداء فقال عز من قائل:(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ) وذلك بضدّ ما أولئك فيه من العذاب والنكال، (فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ) أي يتفكهون بما آتاهم الله تعالى من النعيم المقيم، (وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) أي وقد نجاهم من عذاب النار وتلك نعمة مستقلة مع ما أضيف إليها من دخول الجنة فيما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وقوله تعالى:(كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) كقوله تعالى:(كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) أي هذا بذاك تفضلًا منه وإحسانًا، وقوله تعالى:(مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ) كقوله تعالى:(عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) أي وجوههم بعضها إلى بعض (وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ) أي وجعلنا لهم قرينات صالحاتٍ، وزوجاتٍ حسانًا من الحور العين، وقد تقدم وصفهن في غير موضع بما أغنى عن إعادته ههنا.

●قال تعالى:(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ * وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) [الطور:٢١ -٢٨].

يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه، ولطفه بخلقه وإحسانه، أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان، يلحقهم بآبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم لتقرَّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك. ولهذا قال تعالى:(أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ) قال الثوري عن ابن عباس قال: إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقرَّ بهم عينه. ثم قرأ:(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ) ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث سفيان الثوري به ورواه البزار عن ابن عباس مرفوعًا وموقوفًا.

وروى الإمام أحمد عن علي ﷺ قال: سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية، فقال رسول الله:" هما في النار" فلما رأى الكراهة في وجهها قال:" لو رأيت مكانهما لأبغضتهما" قالت: يا رسول الله! فولدي منك؟ قال:" في الجنة"، قال ثم قال ﷺ:" إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار"، ثم قرأ رسول الله ﷺ:(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ) الآية. هذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء فقد قال الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب! أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك" إسناده صحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه، ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ:" إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". وقوله تعالى:(كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) لما أخبر عن مقام الفضل وهو درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر عن مقام العدل وهو أنه لا يؤاخذ أحدًا بذنب أحد، فقال تعالى:(كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) أي مرتهن بعمله، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس، كقوله تعالى:(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ❖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ❖ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ❖ عَنِ الْمُجْرِمِينَ)، وقوله تعالى:(وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ❖ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا) أي من الخمر، (لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ) أي لا يتكلمون فيها بكلام لاغٍ، أي هذيان ولا إثم أي فحش، كما يتكلم به الشربة من أهل الدنيا، فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها، فنفى عنها صداع الرأس ووجع البطن، وإزالة العقل بالكلية، وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيء، الفارغ عن الفائدة، وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ومخبرها. فقال جل وعلا:(بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ) وقال ههنا:(يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ) وقوله تعالى:(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ) إخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة، كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون، في حسنهم

وبهائهم ونظافتهم. كقوله تعالى:(يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ❁ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ) وقوله تعالى:(وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) أي أقبلوا يتحادثون، ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا. وهذا كما يتحادث أهل الشراب بما كان من أمرهم:(قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ) أي كنَّا في الدار الدنيا ونحن بين أهلينا خائفين من ربنا، مشفقين من عذابه وعقابه. (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) أي فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف. (إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ) أي نتضرع إليه فاستجاب لنا، وأعطانا سؤالنا. (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ).

روى ابن أبي حاتم عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها قرأت هذه الآية:(فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ❁ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) فقالت:" اللهم منَّ علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم". قيل للأعمش: في الصلاة؟ قال: نعم.

الفوائد:

....

....

....

●**قال تعالى:(فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ❁ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ❁ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ❁ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ❁ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ❁ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ) [الطور:٢٩ -٣٤].**

يأمر تعالى رسوله ﷺ بأن يبلغ رسالته إلى عباده، ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان فقال جل وعلا:(فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ) أي لست بحمد الله كاهنًا، وهو الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء. (وَلَا مَجْنُونٍ) وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس، ثم أنكر تعالى عليهم قولهم في الرسول ﷺ:(أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) فنستريح منه (قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ) أي انتظروا فإني منتظر معكم، وستعلمون لمن ستكون العاقبة والنصرة في الدارين. ثم يقول تعالى:(أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا) أي عقولهم تأمرهم بما يقولون من الأباطيل والكذب والزور؟ (أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) أي ولكن هم قوم طاغون ضلال معاندون، وهذا ما حملهم على ما قالوه فيك. وقوله تعالى:(أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ) أي افتراه من عند نفسه (بَل لَّا يُؤْمِنُونَ) أي كفرهم هو الذي دعاهم يقولون ما قالوه (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ) في تقولهم ونسبة الافتراء إليه ﷺ فليأتوا بمثل هذا القرآن وأنى لهم ذلك؟ فلو اجتمع أهل الأرض من الجن والإنس ما جاءوا بمثله، ولا بعشر سور بل ولا بسورة.

●**قال تعالى:(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ❁ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ❁ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ❁ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ**

مُّبِينٍ ۞ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ۞ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۞ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۞ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ۞ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الطور:٣٥ -٤٣].

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية فقال تعالى:(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ) أي هل أوجدوا من غير موجود؟ (أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) أم هم أوجدوا أنفسهم، أي لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا، روى البخاري عن جبير بن مطعم ﷺ قال:" سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية:(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۞ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ) كاد قلبي أن يطير" وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طرق عن الزهري به. وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الأسرى، وكان إذ ذاك مشركًا. فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة، من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد ذلك. ثم قال تعالى:(أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ) أي هم خلقوا السموات والأرض؟ وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له، ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك. (أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ) أي المحاسبون للخلائق؟ لا، ليس الأمر كذلك؛ بل الله عز وجل هو المالك، المتصرف الفعال لما يريد.

وقوله تعالى:(أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ) أي مرقاة إلى الملأ الأعلى (فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) أي بحجة ظاهرة على صحة ما يزعم، فليس لهم دليل على شيء. ثم قال تعالى:(أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ) هذا إنكار عليهم فيما نسبوه إليه من البنات، وجعلهم الملائكة إناثًا، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث، هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله، فقال تعالى:(أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا) أي أجرة على إبلاغك إياهم رسالة الله تعالى، أي لست تسألهم على ذلك شيئًا، (فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ) أي يثقل ويشقّ عليهم ذلك. (أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ) أي ليس الأمر كذلك فإنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ) فإن كانوا يريدون كيدًا فإنه سيرجع في نحورهم، وعلى أنفسهم، وإنهم المكيدون. (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وهذا إنكار شديد على المشركين، في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله، ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون، فقال سبحانه جل وعلا:(سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاء سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ❖ فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ❖ يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ❖ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ❖ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ❖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) [الطور:٤٤ -٤٩].

يخبر تعالى عن المشركين عنادًا ومكابرة للمحسوس:(وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاء سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ) أي متراكم. وهذا كقوله تعالى:(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ❖ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) وقال تعالى:(فَذَرْهُمْ) أي دعهم يا محمد (حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ) وذلك يوم القيامة (يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا) أي لا ينفعهم كيدهم يوم القيامة شيئًا، (وَلا هُمْ يُنصَرُونَ) ثم قال تعالى:(وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) أي قبل ذلك في الدار الدنيا، كقوله تعالى:(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ولهذا قال تعالى:(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) أي لا يفهمون ما يراد بهم، بل إذا جلّي عنهم مما كانوا فيه عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه، كما جاء في بعض الأحاديث:" إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير، لا يدري فيما عقلوه، ولا فيما أرسلوه"، وقوله تعالى:(وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) أي اصبر على أذاهم ولا تبالِهم، فإنك بمرأى منا وفي حفظنا وعصمتنا، وقوله تعالى:(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) لقد قيل في تفسيرها ثلاثة أقوال، قال الضحاك: أي في الصلاة:" سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك ولا إله غيرك"، وروى مسلم في صحيحه عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: هذا في ابتداء الصلاة، وكذلك رواه أحمد وأهل السنن عن أبي سعيد وغيره عن النبي ﷺ أنه كان يقول ذلك.

وقال أبو الجوزاء:(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) أي من نومك من فراشك، واختاره ابن جرير، ومصداقه ما رواه أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:" من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: رب اغفر لي -أو قال - ثم دعا، استجيب له، فإن عزم فتوضأ ثم صلّى قبلت صلاته" وأخرجه البخاري في صحيحه، وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به.

وقال مجاهد:(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) قال من كل مجلس وقال أبو الأحوص إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال: سبحانك اللهم وبحمدك. وعن عطاء بن أبي رباح قال: حين تقوم من كل

مجلس إن كنت أحسنت ازددت خيراً، وإن كنت غير ذلك كان هذا كفارة لك. وروى أبو داود واللفظ له، والنسائي والحاكم في المستدرك عن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول بآخر عمره إذا أراد أن يقوم من المجلس: " سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك"، فقال رجل: يا رسول الله! وإنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى قال: " كفارة لما يكون من المجلس".

وقوله تعالى:(وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) أي اذكره واعبده بالتلاوة، والصلاة في الليل، كما قال تعالى:(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا)، وقوله تعالى:(وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) قد تقدم في حديث ابن عباس، إنهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر، فإنهما مشروعتان عند أدبار النجوم أي عند جنوحهما للغيبوبة. وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: " لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر"، وفي لفظ مسلم: " ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها".

الفوائد:

....

....

....

سورة النجم [مكية، وآياتها ثنتان وستون]

إلا الآية ٣٢ فمدنية، نزلت بعد سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ❖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ❖ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ❖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) [النجم:١ -٤].

قال الشعبي وغيره: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق، رواه ابن أبي حاتم. وقوله تعالى:(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) يعني إذا رمى الشياطين، قاله الضحاك. (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) وهذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ بأنه راشد تابع للحق ليس بضال، والضال هو الجاهل الذي يمشي على غير هدى ولا علم. والغاوي هو العالم بالحق، العادل عنه إلى غيره قصداً. فالرسول ﷺ في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد. ولهذا قال تعالى عنه:(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) أي ما يقول قولاً عن غرض وهوى (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) أي إنما يقول ما أُمر به، ويبلغه للناس كاملاً من غير زيادة ولا نقصان. كما روى أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: " كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ

بشر يتكلم في الغضب، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال:" اكتب! فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق" رواه أبو داود.

●**قال تعالى:(عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ❖ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ❖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ❖ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ❖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ❖ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ❖ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ❖ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ❖ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ❖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ❖ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ❖ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ❖ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ❖ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) [النجم:٥ -١٨].**

يُخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ أنه علمه الذي جاء به إلى الناس (شَدِيدُ الْقُوَى) وهو جبريل عليه السلام، كما قال تعالى:(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ❖ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ❖ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) وقال ههنا:(ذُو مِرَّةٍ) أي ذو قوّة. وقوله تعالى:(فَاسْتَوَى) أي جبريل عليه السلام، قاله الحسن ومجاهد وقتادة والربيع. (وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى) يعني جبريل عليه السلام استوى في الأفق الأعلى. قاله عكرمة وغيره. وروى ابن أبي حاتم عن عبدالله بن مسعود:" أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل عليه السلام في صورته العظمى إلا مرتين: أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته، فسد الأفق. وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد، فذلك قوله تعالى:(وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى). وكانت الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعد ما جاء جبريل عليه السلام أول مرة، فأوحى إليه صدر سورة (اقرأ) ثم فتر الوحي فترة، ذهب النبي ﷺ فيها مرارًا ليتردَّى من رؤوس الجبال، فكلما همَّ بذلك، ناداه جبريل من الهواء: يا محمد! أنت رسول الله حقًّا وأنا جبريل، فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه، وكلما طال الأمر عاد لمثلها، حتى تبدى له جبريل، وهو بالأبطح في صورته التي خلقه عليها، له ستمائة جناح قد سدَّ عظم خلقه الأفق، فاقترب منه وأوحى إليه عن الله عز وجل ما أمره به، فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه.

وقوله تعالى:(ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ❖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) أي اقترب جبريل عليه السلام من محمد ﷺ لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين، أي بقدرهما إذا مدًّا، قاله مجاهد وقتادة. وقوله تعالى:(أَوْ أَدْنَى) أي ليس أزيد من بُعْد وتر القوس إلى كبدها. كقوله تعالى:(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) أي ما هي ألين من الحجارة، بل هي مثلها أو تزيد قسوة، وهذا الذي قلناه من أن هذا المقترب الداني الذي صار بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين أو أدنى؛ هو جبريل عليه السلام. وهو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود، وأبي ذر، وأبي هريرة كما سنورد ما تيسر من أحاديثهم قريبًا إن شاء الله تعالى. وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:" رأى محمد ﷺ ربه بفؤاده مرتين"، فجعل هذه إحداهما، وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا

يصح في ذلك شيء عن الصحابة ﭫ. وروى البخاري عن الشيباني قال: سألت زرًّا عن قوله تعالى:(فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ❖ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) قال: حدثنا عبدالله:" أن محمد ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح"، وقوله تعالى:(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ❖ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى) روى ابن جرير عن عبدالله قال:" رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض"، فعلى ما ذكرناه يكون قوله تعالى:(فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) معناه فأوحى جبريل إلى عبدالله محمد ما أوحى، أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل، وكلا المعنيين صحيح. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر ﭬ قال: سألت رسول الله ﷺ، هل رأيت ربَّك؟ فقال:" نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ" وفي رواية:" رأيت نورًا". أما الحديث الذي رواه أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" رأيت ربي عز وجل" فإنه حديث إسناده على شرط الصحيح، لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه أحمد أيضًا عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال:" أتاني ربي في أحسن صورة -أحسبه يعني في النوم - فقال يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثدييّ -أو قال - نحري" الحديث. وقد تقدم في آخر سورة (ص) عن معاذ نحوه، وقوله تعالى:(وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ❖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ❖ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الإسراء. وقد قدمنا الأحاديث بطرقها في أول سورة سبحان، بما أغنى عن إعادته ههنا، وتقدم أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء ويستشهد بهذه الآية. وتابعه جماعة من السلف والخلف، وقد خالفه جماعات من الصحابة ﭫ، والتابعين وغيرهم. روى الإمام أحمد عن ابن مسعود ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ:" رأيت جبريل على سدرة المنتهى وله ستمائة جناح، ينتثر من ريشه التهاويل من الدر والياقوت" وهذا إسناد جيد قوي، وقال الإمام أحمد عن مسروق قال: كنت عند عائشة رضي الله عنها، فقلت: أليس الله تعالى يقول:(وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ)، (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) فقالت: أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله ﷺ عنها فقال:" إنما ذاك جبريل، لم يره في صورته التي خُلق عليها إلا مرتين: رآه منهبطًا من السماء إلى الأرض سادًّا عظم خلقه ما بين السماء والأرض" أخرجاه في الصحيحين، ومن قال أنه عليه الصلاة والسلام خاطب عائشة على قدر عقلها كابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي حاول تخطئتها فإنه هو المخطئ والله أعلم. وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﭬ قال في قوله تعالى:(وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) قال:" رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين"، وكذا قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وغيرهم.

وقوله تعالى:(إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) قد تقدم في أحاديث الإسراء إنه غشيتها الملائكة مثل الغربان، وغشيها نور الرب، وغشيها ألوان ما أدري ما هي، وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود

ﷺ قال:" لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السابعة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى)" قال فراش من ذهب، قال: وأعطي رسول الله ﷺ ثلاثًا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئًا من أمته المقحمات" انفرد به مسلم. وقوله تعالى:(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ذهبت يمينًا ولا شمالًا (وَمَا طَغَى) ما جاوز ما أمر به، وهذه صفة عظيمة من الثبات والطاعة، فإنه ما فعل إلا ما أُمر به، ولا سأل فوق ما أُعطي، وما أحسن ما قال الناظم:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولـو رأى غيره ما قد رآه لتـاها

وقوله تعالى:(لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) كقوله تعالى:(لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) أي الدالة على قدرتنا العظيمة، وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية -أي رؤية الرب - تلك الليلة لم تقع لأنه قال تعالى:(لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقاله للناس. وقد تقدم تقرير ذلك في سورة (سبحان).

الفوائد:

....

....

....

●**قال تعالى:(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ◆ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ◆ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ◆ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ◆ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ◆ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ◆ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ◆ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) [النجم:١٩ -٢٦].**

يقرع الله تعالى المشركين ويوبخهم على عبادتهم الأصنام والأنداد، واتخاذهم لها البيوت، مضاهاة للكعبة، (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ) وكانت اللات صخرة منقوشة، عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تابعها. واللات بتشديد التاء، وفسروه كما قال البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان اللات رجلًا يلتُّ السويق سويق الحاج. وقال ابن جرير: كان قد اشتقوا اسم اللات من اسم الله، فقالوا اللات يعنون مؤنثة منه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وكذا العزى من العزيز، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزَّى ولا عزَّى لكم. فقال رسول الله ﷺ: قولوا:" الله مولانا ولا مولى لكم" وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله

ﷺ:" من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، فليتصدق"، وهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك. كما كانت ألسنتهم قد اعتادته من زمن الجاهلية. وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها. ويهلون منها للحج إلى الكعبة. وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها نحوه. وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخرى تعظمها العرب كتعظيم الكعبة، غير هذه الثلاثة التي نص عليها كتابه العزيز. ولهذا قال تعالى:(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ❁ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها. وقد بعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر بن حرب إلى اللات، فهدماها وجعلا مكانها مسجدًا بالطائف. وأرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى العزى فهدمها، وأرسل أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه إلى مناة وكانت بناحية المشلل بقديد فهدمها، وهناك أصنام أخرى كذي الخلصة. وقيسم وريام، ورضاء وذي الكعبات، موزعة في الجهات أرجاسها، فأرسل رسول الله ﷺ من أصحابه رضي الله عنهم من هدمها جميعًا، وطهر الجزيرة من أرجاسها، ثم قال تعالى:(أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى) أي أتجعلون له ولدًا وتجعلون ولده الأنثى، وتختارون لأنفسكم الذكور، فلو اقتسمتم هذه القسمة أنتم ومخلوق مثلكم، لكانت (قِسْمَةٌ ضِيزَى) أي جورًا باطلة، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة؟! ثم قال تعالى:(إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) من تلقاء أنفسكم، وهذا إنكار منه تعالى عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والكفر، من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة، (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) أي من حجة، (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ) أي ليس لهم مستند إلا تعظيم آبائهم لها، وحسن ظنِّهم بآبائهم، وما تهوى نفوسهم لذلك. (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى) بإرسال الرسل بالحق وبالحجة القاطعة، ومع كل هذا اتبعوا ما كان عليهم آباؤهم. ثم قال تعالى:(أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى) أي ليس كل من تمنى خيرًا حصل له. وما كل من زعم أنه مهتد يكون كذلك. (فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى) أي إنما الأمر كله لله مالك الدارين، المتصرف بهما طبق مشيئته سبحانه وتعالى. وقوله تعالى:(وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) كقوله تعالى:(مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله الذي نهى عن عبادتها، واتخاذها شفعاء على ألسنة جميع رسله؟!

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى ❖ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ❖ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ❖ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) [النجم:٢٧ –٣٠].

ينكر تعالى على المشركين تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى، وقولهم أنها بنات الله تعالى الله عن ذلك. كما قال تعالى:(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ) ولهذا قال تعالى:(وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ) أي ليس لهم علم صحيح بصدق ما قالوه، بل هو زور وافتراء وكفر شنيع. (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) أي لا يجدي شيئًا ولا يقوم أبدًا مقام الحق، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال:" إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث".

وقوله تعالى:(فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا) أي أعرض عن الذي أعرض عن الحق واهجره. وقوله تعالى:(وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) أي جعلها أكثر همه ومنتهى غايته. ولذا قال سبحانه:(ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) أي طلب الدنيا، وفي الدعاء المأثور:" اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا"، وقوله تعالى:(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) أي هو العالم بمصالح عباده وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته، وهو العادل الذي لا يجور أبدًا لا في شرعه ولا في قدره.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ❖ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) [النجم:٣١ –٣٢].

يُخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأنه الغني عما سواه، الحاكم في خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) أي يجازي كلًّا بعمله خيرًا كان أو شرًّا، ثم فسّر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون الكبائر والفواحش ولا يتعاطونها وإن وقع منهم بعض الصغائر، فإنه تعالى يغفر لهم ويستر عليهم. كما قال جل وعلا:(إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا) وقال ههنا:(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ

كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ) وهذا استثناء منقطع، لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال.

روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال:" إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه" وأخرجاه في الصحيحين. قال عبد الرحمن بن نافع الذي يقال له ابن لبابة الطائفي قال: سألت أبا هريرة عن قول الله:(إِلَّا اللَّمَمَ) قال: القبلة، والغمزة، والنظرة والمباشرة، فإذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل، وهو الزنا. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما:(إِلَّا اللَّمَمَ) إلا ما سلف، وعن مجاهد قال: الذي يلم بالذنب ثم ينزع عنه، قال: وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون:

إن تغفر اللهم تغفر جـمـًّا وأي عبد لك، ما ألما؟

أي يلم بالذنب قليلًا ثم يقلع عنه، وقوله تعالى:(إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) أي رحمته وسعت كل شيء، ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها. كقوله تعالى:(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) وقوله تعالى:(هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ) أي هو بصير بكم، عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستصدر عنكم، وتقع منكم حين أنشأ أباكم آدم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر ثم قسمهم فريقين، فريقًا للجنة وفريقًا للسعير. وكذا قوله تعالى:(وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) قد كتب الملك الذي يوكل به، رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد. وقوله تعالى:(فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ) أي تمدحوها وتشكروها، وتمنوا بأعمالكم، (هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) كما قال تعالى:(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) وقد ثبت في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي بكرة ﵁ قال: مدح رجلٌ رجلًا عند النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ:" ويلك قطعت عنق صاحبك -مرارًا -، إذا كان أحدكم مادحًا صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلانًا والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدًا، أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك" رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه من طرق عن خالد الحذاء به. وروى الإمام أحمد عن همام بن الحارث قال: جاء رجل إلى عثمان فأثنى عليه في وجهه، قال: فجعل المقداد بن الأسود يحثو في وجهه التراب، ويقول:" أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا المداحين، أن نحثو في وجوههم التراب" ورواه مسلم وأبو داود.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ❖ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ❖ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ❖ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ❖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ❖ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ❖ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ❖ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ❖ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى) [النجم:٣٣ -٤١].

يذم تعالى من تولى عن طاعته فلا صدق ولا صلى، ولكن كذب وتولى (وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى) قال ابن عباس: أطاع قليلًا ثم قطعه. وكذا قال مجاهد وغير واحد، وقوله تعالى:(أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى) أي أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق وقطع معروفه أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده، حتى قد أمسك عن معروفه فهو يرى ذلك عيانًا؟ أي ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة خلال بخلًا وشحًّا وهلعًا. ولهذا جاء في الحديث:" أنفقْ بلالًا ولا تخش من ذي العرش إقلالًا"، وقد قال تعالى:(وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) وقوله تعالى:(أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ❖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) أي قام بجميع الأوامر وترك جميع النواهي، وبلغ الرسالة على التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون للناس إمامًا يُقتدى به في جميع أحواله وأقواله وأفعاله. قال الله تعالى:(ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال:(أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) أي كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب، فإنما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد. كما قال تعالى:(وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) وقوله تعالى:(وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ❖ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) أي كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله تعالى ومن اتبعه، أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم؛ ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة ﷺ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما، ومنصوص من الشارع عليهما. وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به" فهذه الثلاثة في الحقيقة، هي من سعيه وكده وعمله. كما جاء في الحديث:" إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه"، والصدقة الجارية كالوقف ونحوه، وهي من آثار عمله

ووقفه. وقد قال تعالى:(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) الآية. والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده، هو أيضًا من سعيه وعمله. وثبت في الصحيح:" من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا"، وقوله تعالى:(وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) أي يوم القيامة، أي فيخبركم الله به ويجزيكم عليه أتم الجزاء خيرًا أو شرًا، وقوله تعالى:(ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى) أي الأوفر.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ❖ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ❖ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ❖ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ❖ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ❖ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ❖ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ❖ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ❖ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ❖ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ❖ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ❖ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ❖ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) [النجم:٤٢ - ٥٥].

يقول تعالى:(وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى) أي المعاد يوم القيامة، وقوله تعالى:(وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى) أي خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما، وهما مختلفان، (وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) كقوله تعالى:(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) وقوله تعالى:(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ❖ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى) كقوله تعالى:(أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ❖ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ❖ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ❖ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ❖ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ) وقوله تعالى:(وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى) أي كما خلق البداءة هو قادر على الإعادة، وهي النشأة الآخرة يوم القيامة (وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى) أي ملَّك عباده المال وجعله لهم قنية مقيمًا عندهم لا يحتاجون إلى بيعه، فهذا تمام النعمة عليهم، (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) الشعرى هو النجم الوقاد الذي يقال له مرزم الجوزاء، كانت طائفة من العرب يعبدونه (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى) وهم قوم هود، وكانوا أقوى الناس وأعتاهم على الحق، فأهلكهم الله. وقوله تعالى:(وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى) أي دمرهم فلم يُبْق منهم أحدًا (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ) أي من قبل هؤلاء (إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى) أي أشد تمردًا من الذين من بعدهم (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) يعني مدائن لوط، قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود. ولهذا قال تعالى:(فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى) يعني من الحجارة التي أرسلها عليهم، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) أي ففي أي نعم الله عليك أيها الإنسان تمتري؟ قاله قتادة.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى ❖ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ❖ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ❖ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ❖ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ❖ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ❖ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا) [النجم:٥٦ -٦٢].

(هَذَا نَذِيرٌ) يعني محمدًا ﷺ (مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى) أي من جنسهم أُرسل كما أُرسلوا، كما قال تعالى:(قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ) وقوله تعالى:(أَزِفَتِ الْآزِفَةُ) اقتربت القريبة وهي القيامة، (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ) أي لا يدفعها إذن من دون الله أحد، ولا يطلع على علمها سواه، والنذير الحذر لما يعاين من الشر الذي يخشى وقوعه فيمن أنذرهم. كما قال تعالى:(إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) ثم قال تعالى منكرًا على المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه:(تَعْجَبُونَ) من أن يكون صحيحًا، (وَتَضْحَكُونَ) منه استهزاء وسخرية، (وَلَا تَبْكُونَ) أي كما يفعل الموقنون به كما أخبر عنهم (وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا) وقوله تعالى:(وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) أي مستكبرون معرضون، ثم قال تعالى آمرًا عباده بالسجود له والعبادة والمتابعة لرسول الله ﷺ والتوحيد والإخلاص:(فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا) أي فاخضعوا له وأخلصوا ووحدوه. روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس" انفرد به دون مسلم. وروى الإمام أحمد عن المطلب بن أبي وداعة قال:" قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم، فسجد وسجد من عنده، فرفعت رأسي فأبيت أن أسجد، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب، فكان بعد ذلك لا يسمع أحدًا يقرأها إلا سجد معه" وقد رواه النسائي.

الفوائد:

....

....

....

سورة القمر [مكية وآياتها خمسٌ وخمسون]

إلا الآيات ٤٤،٤٥،٤٦ فمدنية نزلت بعد سورة الطارق، وقد تقدم في حديث أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف، واقتربت الساعة في الأضحى والفطر، وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق وإعادته، والتوحيد، وإثبات النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ◆ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ◆ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ◆ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ◆ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ) [القمر:١ -٥].

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها، كما قال تعالى:(أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) وقال سبحانه:(اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُون) وروى الإمام أحمد عن سهل بن سعد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" بُعثت أنا والساعة هكذا" وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى. أخرجاه. وقوله تعالى:(وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود ﷺ أنه قال:" خمس قد مضين: الروم، والدخان، واللزام، والبطشة، والقمر" وهذا أمر متفق عليه بين العلماء؛ أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات. وروى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ:" أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ آية، فأراهم القمر شقَّين حتى رأوا حراء بينهما" وأخرجاه.

روى الحافظ أبو بكر البيهقي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى:(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) قال وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ، انشق فلقتين، فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل، فقال النبي ﷺ:" اللهم اشهد" رواه مسلم والترمذي، وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود ﷺ قال:" انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، حتى نظروا إليه فقال رسول الله ﷺ:" اشهدوا" وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة. وروى البيهقي عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال:" انشق القمر بمكة صار فرقتين، فقال كفار قريش أهل مكة: هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة، انظروا السفَّار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به، قال: فسئل السفَّار قال: وقدموا من كل وجهة فقالوا: رأينا". ورواه ابن جرير من حديث المغيرة ﷺ به وزاد: فأنزل الله عز وجل:(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ).

وقوله تعالى:(وَإِنْ يَرَوْا آيَةً) أي دليلًا وحجة وبرهانًا (يُعْرِضُوا) أي لا ينقادون له ويتركونه وراء ظهورهم (وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) أي باطل، (وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ): كذبوا بالحق إذ جاءهم، واتبعوا آراءهم بدافع جهلهم وسخافة عقولهم.

وقوله تعالى:(وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ) أي واقع بأهله خيرًا كان أو شرًا، (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ) أي قصص الأمم المكذبة برسلهم ما حلَّ بهم من العقاب (مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) أي فيه رادع عن الشرك والتمادي فيه. وقوله تعالى:(حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ) أي في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله. (فَمَا تُغْنِ

النُّذُرُ) وهذا كقوله تعالى:(وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ) أي ليس يغني ذلك عن قوم علم الله منهم أنهم سيختارون الكفر على الإيمان من قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام فكتبه عليهم، أي لا يفيدهم الدلائل ولا الإنذارات فإنهم لا يؤمنون.

الفوائد:

....

....

....

●**قال تعالى:(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ ◆ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ◆ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) [القمر:٦ -٨].**

يقول تعالى: فتولَّ يا محمد عن هؤلاء الذين إن رأوا آية يعرضوا ويقولوا هذا سحر مستمر، أعرض عنهم وانتظرهم (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ) أي إلى شيء منكر فظيع، وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء، بل والزلازل والأهوال (خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ) أي ذليلة أبصارهم (يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ) أي القبور (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ) أي كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي جراد منتشر في الآفاق. ولهذا قال تعالى:(مُّهْطِعِينَ) أي مسرعين (إِلَى الدَّاعِ) لا يخالفون ولا يتأخرون (يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) أي شديد الهول عبوس قمطرير. كقوله تعالى:(فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ◆ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ).

●**قال تعالى:(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ◆ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ◆ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ◆ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ◆ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ◆ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ◆ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ◆ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ◆ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) [القمر:٩ - ١٧].**

يقول تعالى:(كَذَّبَتْ) أي قبلك يا محمد (قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا) أي صرحوا بتكذيبهم له (وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) أي اتهموه بالجنون، وانتهروه وزجروه متوعدين لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين، (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ) أي أني ضعيف، فانتصر أنت لدينك. قال الله تعالى:(فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ) وهو الكثير، (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا) أي نبعت جميع أرجاء الأرض، (فَالْتَقَى الْمَاءُ) أي ماء السماء وماء الأرض، (عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ): مقدَّر.

(وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) أي ذات ألواح من الخشب، ودسر أي مسامير، وواحدها دسار، ويقال دسير والمقصود السفينة، أي حملناهم على السفينة. وقوله تعالى:(تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) أي بمرأى منا، وتحت حفظنا، (جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ) أي جزاء لهم على كفرهم بما نزل عليهم من الحق،

وانتصارًا لنوح عليه السلام. وقوله تعالى:(وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً) أي تركنا سفينة نوح خالدة المثال والصنع، وكأنها -والله أعلم - أوَّل سفينة علم الله تعالى نوحًا صناعتها، فبقيت هذه الصناعة قائمةً من بعده، تصنع كل سفينة على غرارها تمشي على الماء بقدرته تعالى، وتكون ذكرى لسفينة نوح تتعظون بما حل بقوم نوح الكافرين من الغرق، وبما حل من الرضوان والنجاة بالمؤمنين الذين حملهم على السفينة وأنجاهم من الغرق. كقوله تعالى:(إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ❖ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) ولهذا قال جلَّت قدرته:(فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) أي فهل من يتذكر ويتعظ. وقوله تعالى:(فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) أي كيف كان عذابي لمن كفر بي وبرسلي، ولم يتعظ عما جاءت به نذري، وكيف انتصرتُ لرسلي وثأرتُ لهم، (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) يعني هوَّنا قراءته ويسرنا فهمه، فله الحمد والمنة، (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) أي فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسره الله حفظًا ومعنًى، فهل من منزجر به عن المعاصي، ومتبع للأوامر فيحلَّ له نعيمي ورضواني؟!

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ❖ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ❖ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ❖ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ❖ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [القمر:١٨ -٢٢].

يقول تعالى مخبرًا عن عاد قوم هود، أنهم كذبوا رسولهم أيضًا، كما صنع قوم نوح، وأنه تعالى أرسل عليهم (رِيحًا صَرْصَرًا) وهي الباردة الشديدة البرد (فِي يَوْمِ نَحْسٍ) أي عليهم، (مُسْتَمِرٍّ) عليهم نحسه ودماره؛ لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي. وقوله تعالى:(تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار ثم تنكسه على أم رأسه فيسقط إلى الأرض، فتثلغ رأسه، فيبقى جثة بلا رأس، ولهذا قال:(كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ❖ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ❖ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ).

●قال تعالى:(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ❖ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ❖ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ❖ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ❖ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ❖ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ❖ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ❖ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ❖ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ❖ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [القمر:٢٣ -٣٢].

هذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحًا عليه السلام (فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) يقولون: لقد خسرنا إن سلَّمنا قيادنا لواحد منا، أي لنبيّهم صالح عليه السلام، ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم ثم رموه بالكذب. فقالوا:(بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ) أي متجاوز في حد الكذب، فقال تعالى:(سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ) وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد. ثم قال تعالى:(إِنَّا مُرْسِلُواْ النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ) أي اختبارًا لهم، أخرج لهم ناقة عظيمة عشراء، من صخرة صمَّاء طبق ما سألوا لتكون حجة الله عليهم في تصديق صالح عليه السلام، فيما جاءهم به. ثم قال تعالى آمرًا عبده ورسوله صالحًا:(فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ) أي انتظر ما يؤول إليه أمرُهم واصبر عليهم فإن العاقبة لك والنصر في الدنيا والآخرة (وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ) أي يوم لهم ويوم للناقة. كقوله تعالى:(قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) وقوله تعالى:(كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ) قال مجاهد: إذا غابت حضروا الماء، وإذا جاءت حضروا اللبن، ثم قال تعالى:(فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ) هو عاقر الناقة، واسمه قدار بن سالف، وكان أشقى قومه، قال تعالى:(إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا)، (فَتَعَاطَى) تَنَاوَلَ السَّيْف (فَعَقَرَ ❖ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) أي فعاقبتهم فكيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي، (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ): فبادوا عن آخرهم، وهمدوا كما يهمد يبيس الزرع، والمحتظر هو المرعى بالصحراء حين ييبس ويحترق وتسفيه الريح.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ❖ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ❖ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ❖ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ❖ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ❖ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ❖ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ❖ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [القمر:٣٣ -٤٠].

يخبر تعالى عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم واقترفوا فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين، ولهذا فقد أُهلكوا إهلاكًا لم تُهلَكه أمة من الأمم، فإنه تعالى أمر جبريل عليه السلام فحمل مدائنهم حتى وصل بها عنان السماء ثم قلبها عليهم، ورجموا بحجارة من سجيل منضود. ولهذا قال ههنا، (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا) وهي الحجارة (إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) أي خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم لم يمسسهم سوء. ولهذا قال تعالى:(كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ❖ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا) أي قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه فما أصغوا إليه بل شكّوا

وتماروا. (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ) وذلك ليلة ورد عليه الملائكة: جبريل وميكائيل وإسرافيل في صور شباب مرد حسان، محنة من الله بهم، فأضافهم لوط عليه السلام، وبعثت امرأته العجوز السوء إلى قومها، فأعلمتهم بأضياف لوط فأسرعوا إليه، فأغلق لوط دونهم الباب، فحاولوا كسره ولوط عليه السلام يدافعهم ويمانعهم ويقول:(هَؤُلَاءِ بَنَاتِي) يعني نساءهم، فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدُّخول، خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطًا عليه السلام إلى الصباح، قال تعالى:(وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ) أي لا محيد لهم عنه، (فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ❖ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ).

الفوائد:

....

....

....

●**قال تعالى:(وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ❖ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ❖ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ❖ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ❖ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ❖ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) [القمر:٤١ -٤٦].**

يخبر تعالى عن فرعون وقومه: أنهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هارون عليهما الصلاة والسلام بالبشارة والنذارة، وأيدهما بالمعجزات المتعددة فكذبوا بها فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، ولم يبق منهم أثر. ثم قال تعالى:(أَكُفَّارُكُمْ) أي أيها المشركون من قريش (خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) يعني ممن ذكرهم والذين أهلكهم بسبب تكذيبهم لرسلهم وكفرهم بكتبهم، (أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ) أم معكم براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال؟ ثم أخبر جل جلاله:(أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ) أي أن جمعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء. قال تعالى:(سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) أي سيغلبون ويمزقون. روى البخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر:" أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبدًا" فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده، وقال: حسبك يا رسول الله! ألححت على ربك، فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول:(سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ❖ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)" وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع.

●**قال تعالى:(إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ❖ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ❖ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ❖ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ❖ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ❖ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ❖ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ❖ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ❖ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ) [القمر:٤٧ -٥٥].**

يخبرنا تعالى عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق، وسعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق. ثم قال تعال:(يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ) أي فكما كانوا في سعر وشك وتردد أورثهم ذلك النار، وكما كانوا ضلالًا يسحبون فيها على وجوههم لا يدرون أين يذهبون، ويقال لهم تقريعًا وتوبيخًا (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) وقوله تعالى:(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) كقوله تعالى:(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ❖ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ❖ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) أي قدَّر قدرًا، وهدى الخلائق إليه، ولهذا يستدل أئمة السنة من هذه الآية الكريمة على إثبات قدر الله تعالى السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابتها لها قبل برئها، وردُّوا بهذه الآية وبما شابهها من الآيات والأحاديث الثابتة على الفرقة القدرية، الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة ولنذكر ما تيسر من هذه الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة.

روى أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال:" جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر، فنزلت:(يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ❖ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)" وهكذا رواه مسلم والترمذي وابن ماجه. وروى ابن أبي حاتم عن زرارة ﷺ عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية:(ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ❖ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) قال:" نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذِّبون بقدر الله". وروى أحمد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:" لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم".

وفي الحديث الصحيح:" استعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل، ولا تقل لو أني فعلت لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان" وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو قال: قال ﷺ:" إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة -زاد ابن وهب - وكان عرشه على الماء" ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب. وروى الإمام أحمد عن عبادة بن الوليد عن أبيه، قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: أوصني واجتهد لي. فقال: أجلسوني! فلما أجلسوه قال: يا بني! إنك لم تطعم الإيمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت: يا أبتاه! وكيف لي أن أعلم ما خير القدر و شره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن أول ما خلق الله القلم، ثم قال له اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة" يا بني! إن مت ولست على ذلك دخلت النار".

وقوله تعالى:(وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قدره فيهم (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ) أي لا نحتاج إلى تأكيد بثانية؛ لأن الأمر ينفذ حالًا لا يتأخر طرفة عين وما أحسن ما قال بعض الشعراء:

إذا ما أراد الله أمرًا فإنما يقول له:" كن" قولة فيكون

وقوله تعالى:(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ) يعني أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسل (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) أي فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك وقدر لهم من العذاب؟ وقوله تعالى:(وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ) أي في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ) من أعمالهم (مُسْتَطَرٌ) أي مسطر في صحائفهم ومحصي. قال الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول:" يا عائشة! إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبًا" ورواه النسائي وابن ماجه. وقوله تعالى:(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ) أي بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر، والسحب في النار على وجوههم. وقوله تعالى:(فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ) أي في دار كرامة الله ورضوانه (عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ) أي عند الملك العظيم الخالق القادر على كل شيء مما يطلبون ويريدون. وقد روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يبلغ به النبي ﷺ قال:" المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم و أهليهم وما وُلّوا" انفرد بإخراجه مسلم والنسائي.

الفوائد:

....

....

....

سورة الرحمن [مدنية وآياتها ثمان وسبعون]

نزلت بعد سورة الرَّعد

روى أبو عيسى الترمذي عن جابر ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال:" لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودًا منكم، كنت كلما أتيت على قوله:(فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذّب فلك الحمد" غريب. روى ابن جرير عن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن، أو قرئت عنده، فقال:" ما لي أسمع الجن أحسن جوابًا لربها منكم؟" قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال:" ما أتيت على قول الله تعالى:(فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) إلا قالت الجن: لا بشيء من نعم ربنا نكذّب" ورواه الحافظ البزار عن عمرو بن مالك به، ثم قال لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد.

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:﴿ الرَّحْمَنُ ❖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ❖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ❖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ❖ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ❖ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ❖ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ❖ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ❖ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ❖ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ❖ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ❖ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:١ -١٣].

يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه أنه أنزل على عباده القرآن، ويسر حفظه وفهمه على من رحمه. فقال تعالى:(الرَّحْمَنُ ❖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ❖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ❖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) قال الحسن: يعني النطق، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق، واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها، كقوله تعالى:(فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)، وقوله تعالى:(وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) نص علي بن طلحة عن ابن عباس الله عنهما قال: النجم ما انبسط على وجه الأرض، يعني النبات، وكذا قال سعيد بن جبير والسدي وسفيان الثوري واختاره ابن جرير رحمه الله تعالى. وقوله تعالى:(وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) يعني العدل. كما قال تعالى:(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) وهكذا قال ههنا:(أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ) أي خلَق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل. ولهذا قال تعالى:(وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) أي لا تبخسوا الوزن، بل زنوا بالحق والقسط؛ كما قال تعالى:(وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ).

وقوله تعالى:(وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) أي كما رفع السماء وضع الأرض وجعلها مستقراً لمعاش أهلها (فِيهَا فَاكِهَةٌ) أي مختلفة الألوان والطعوم والروائح (وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ) والأكمام: قال ابن جريج عن ابن عباس: هي أوعية الطلع. وهكذا قال غير واحد من المفسرين، وهو الذي يطلع فيه القِنوّ ثم ينشق عن العنقود، فيكون بسرًا ثم رطبًا ثم ينضج ويتناهى يفعه واستواؤه.

(وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ) ذو العصف: يعني التبن، وهو ما على السنبلة، والريحان: وهو الورق الملتف على ساقها. وقوله تعالى:(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) أي فبأي النعم المغمورون بها يا معشر الثقلين من الإنس والجن تكذبان؟ قاله مجاهد وغير واحد، ويدل عليه السياق بعده فأي نعمة من هذه النعم التي لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها تكذبون؟ فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به: اللهم ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ❖ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ❖ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن:١٤ -٢٥].

يذكر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالفخار، وخلقه الجان من مارج من نار، أي من خالص النار، قاله ابن عباس وغيره. روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:" خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم" ورواه مسلم. وقوله تعالى:(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) تقدم تفسيره، (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) يعني مشرقي الصيف والشتاء ومغربي الصيف والشتاء، ولما كان في اختلاف هذه المطالع مصالح للخلق من الجن والإنس، قال سبحانه:(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) وقوله تعالى:(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) قال ابن عباس: أي أرسلهما، وقوله تعالى:(يَلْتَقِيَانِ) قال ابن زيد: أي منعهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من الحاجز الفاصل بينهما، والمراد بالبحرين: أي الملح والحلو، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس، وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان. عند قوله تعالى:(وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا) وقوله تعالى:(بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) أي وجعل بينهما حاجزًا من الأرض لئلا يبغي هذا على هذا، وهذا على هذا فيفسد كل واحد منهما الآخر، ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه. وقوله تعالى:(يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) أي من مجموعهما، فإذا وجد ذلك من أحدهما كفى، كما قال تعالى:(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) والرسل إنما كانوا من الإنس خاصة دون الجن، وقد صح هذا الإطلاق. واللؤلؤ معروف، وأما المرجان فقيل هو صغار اللؤلؤ، وقيل: هو نوع من الجواهر أحمر اللون، وقيل هو الخرز الأحمر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف في البحر أفواهها، فما وقع فيه من القطر فهو اللؤلؤ" إسناده صحيح، رواه ابن أبي حاتم. ولما كان اتخاذ هذه الحلية على أهل الأرض نعمة، امتن بها عليهم فقال تعالى:(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) وقوله تعالى:(وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ) يعني السفن التي تجري (فِي الْبَحْرِ) قال مجاهد: ما رُفع قلعه من السفن فهي منشآت. (كَالْأَعْلَامِ) أي كالجبال في كبَرها وما فيها من مصالح نقل التجارات من قُطر إلى قُطر، مما فيه صلاح للناس؛ ولهذا قال سبحانه:(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) وقال ابن أبي حاتم عن عمرة بن سويد قال: كنت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه على شاطئ الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها، فبسط عليٌّ

يديه ثم قال: يقول الله عز وجل:(وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآَتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) والذي أنشأها تجري في بحوره ما قتلت عثمان ولا مالأتُ على قتله.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ❁ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ❁ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❁ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ❁ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن:٢٦ -٣٠].

يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيموتون، وكذلك أهل السموات إلا من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب تعالى وتقدس هو الحي الذي لا يموت أبدًا. قال قتادة: أنبأ بما خلق ثم أنبأ أن ذلك كله فان، وفي الدعاء المأثور:" يا حي يا قيوم، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث، أصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك". وقال الشعبي: إذا قرأت:(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) فلا تسكتْ حتى تقرأ:(وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) أي أنه أهل أن يجل فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف. ولما أخبر تعالى عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة، وصيرورتهم إلى الدار الآخرة، فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل قال سبحانه:(فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) وقوله تعالى:(يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) وهذا إخبار عن غناه عما سواه، وافتقار الخلائق إليه في جميع الأحوال. وقوله تعالى:(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قال ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال:" قال الله عز وجل:(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قال: من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا ويرفع قومًا ويضع آخرين".

●قال تعالى:(سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ❁ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❁ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ❁ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ❁ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ❁ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن:٣١ -٣٦].

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى:(سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ) قال: وعيد الله تعالى -للثقلين الإنس والجن - وليس بالله شغل وهو فارغ. قال البخاري: سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء. وهو معروف في كلام العرب، يقال لأتفرغنَّ لك وما به شغل، يقول لآخذنك على غرتك، (فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) ثم قال تعالى:(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ

أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) أي لا تستطيعون هربًا من أمر الله وقدره، بل هو محيط بكم، لا تقدرون على التخلص من حكمه، ولا النفوذ عن حكمه فيكم، أينما ذهبتم أحيط بكم، وهذا في مقام الحشر؛ الملائكة محدقة بالخلائق كقوله تعالى:(يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ❖ كَلاَّ لا وَزَرَ ❖ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) وكقوله تعالى:(وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ)، قال تعالى:(يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ) أي لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا، ولهذا قال:(فَلَا تَنْتَصِرَانِ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ).

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ❖ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن:٣٧ -٤٥].

يقول تعالى:(فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ) أي يوم القيامة كما دلت عليه هذه الآيات مع ما شابهها من الآيات الواردة في معناها، كقوله تعالى:(وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) وقوله تعالى:(فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) أي تتلوَّن كما تتلوَّن الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء، وتارة صفراء، وخضراء وزرقاء، وذلك من شدّة الأمر وهول يوم القيامة العظيم. وقوله تعالى:(فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) أي بعد أن يسألوا عن جميع أعمالهم: لم عملتم كذا وكذا... ثم يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، ثم يؤمر بهم إلى النار، فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم، بل يقادون إليها ويلقون فيها. كما قال تعالى:(يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) أي بعلامات تظهر عليهم، ويعرفونهم بسواد وجوههم. قلت: وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء. وقوله تعالى:(فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ) أي يجمع الزبانية ناصية الكافر مع قدميه في سلسلة من وراء ظهره، ثم يلقى من جهنم فيهوي فيها سنين حتى يصل قاعها. وقوله تعالى:(هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ) أي هذه هي النار التي كنتم تكذبون بوجودها، فها هي حاضرة تشاهدوها عيانًا وتحسون بلهيبها، يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتصغيرًا وتحقيرًا. وقوله تعالى:(يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) أي تارة يعذبون، وطورًا يسقون من الحميم الذي هو كالنحاس المذاب يقطع الأمعاء والأحشاء. وقوله تعالى:(آنٍ) أي حار قد بلغ منتهى حرارته. كقوله

تعالى:(تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) أي لا تستطاع من شدة الحرارة. ولما كان معاقبة المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه، وكان إنذاره لهم عن عذابه وبأسه مما يزجرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك. قال ممتنًّا بذلك على بريته:(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ).

الفوائد:

....

....

....

●**قال تعالى:(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ◆ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ◆ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ◆ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ◆ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ◆ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ◆ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ◆ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن:٤٦ -٥٣].**

قوله تعالى:(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره. يقول الله تعالى:(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) بين يدي الله عز وجل يوم القيامة، (وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى) ولا آثر الحياة الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى، فأدى فرائض الله، واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان. كما روى البخاري رحمه الله تعالى عن عبدالله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال:" جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب وآنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" وأخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود. وروى ابن جرير عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ يومًا هذه الآية:(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال:(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال:(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال:" وإن رغم أنف أبي الدرداء"، وروي عن أبي الدرداء موقوفًا: إن من خاف مقام ربه لم يزني ولم يسرق. وهذه الآية عامة في الإنس والجن، فهي من أدلِّ الدليل على الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا، ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء. فقال:(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ◆ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) ثم نعت هاتين الجنتين فقال تعالى:(ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) أي أغصان نضرة حسنة، تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) روى محمد بن إسحق عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى، فقال:" يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة -أو قال يستظل في ظل الفنن منها مائة راكب - فيها فراش الذهب كأن ثمارها القلال" ورواه الترمذي. وقوله تعالى:(فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ) أي تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان فتثمر من جميع الألوان، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) ثم قال تعالى:(فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ) أي من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون، ومما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) قال

ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، يعني أن بين ذلك بونًا عظيمًا وفرقًا بيِّنًا في التفاضل.

الفوائد:

....

....

....

● **قال تعالى:(مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ◆ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ◆ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ◆ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ◆ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ◆ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ◆ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ◆ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن:٥٤ -٦١].**

يقول تعالى:(مُتَّكِئِينَ) أي مضطجعين (عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) وهو ما غلظ من الديباج والمزين بالذهب، فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانة، وعن ابن مسعود ﷺ قال: هذه البطان، فكيف لو رأيتم الظواهر؟! (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) أي ثمرهما قريب إليهم، متى شاءوا تناولوه على أي صفة كانوا. كما قال تعالى:(قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) أي لا تمتنع ممن تناولها بل تنحط إليه من أغصانها، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) ولما ذكر الفرش وعظمتها، قال بعد ذلك (فِيهِنَّ) أي من الفرش (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) أي غضيضات عن غير أزواجهن فلا يرين شيئًا في الجنة أحسن من أزواجهن، قاله ابن عباس وغيره، وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها: والله ما أرى في الجنة شيئًا أحسن منك، ولا في الجنة شيئًا أحب إلي منك، فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك.

وقوله تعالى:(لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) أي بل هن أبكار عُرب أتراب، لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن، وهذه أيضًا من الأدلة على دخول مؤمني الجن الجنة. ثم قال تعالى ينعتهن للخطاب:(كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) قال مجاهد والحسن وغيرهما في صفاء الياقوت، وبياض المرجان، فجعلوا المرجان ههنا: اللؤلؤ، وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير حتى يُرى مخها، وذلك قوله تعالى:(كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيته من روائه، وهكذا فقد رواه ابن أبي حاتم مرفوعًا والترمذي موقوفًا، ثم قال وهو أصح. وروى مسلم عن محمد بن سيرين قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا، الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة ﷺ: أو لم يقل أبو القاسم ﷺ:" إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على ضوء كوكب دُريّ في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يُرى مخ ساقها من وراء

اللحم وما في الجنة أعزب" وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث همام بن منبّه وأبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله تعالى:(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) أي لا لمن أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة. روى البغوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:" قرأ رسول الله ﷺ:(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) وقال: هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة"، ولما كان في الذي ذكر نعم عظيمة لا يقاومها عمل بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك كله:(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ).

الفوائد:

....

....

....

●**قال تعالى:(وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ مُدْهَامَّتَانِ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ❖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ❖ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن:٦٢ -٧٨].**

قوله تعالى:(وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ) هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن؛ وقد تقدم الحديث: جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة وآنيتهما وما فيهما، فالأوليان للمقربين والأخريان لأصحاب اليمين. والدليل على شرفِ الأوليين على الأخريين من وجوه، أحدها: أنه نعتَ الأوليين قبل هاتين، والتقديم يدل على الاعتناء. ثم قال تعالى:(ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) وهي الأغصان، وقال ههنا:(مُدْهَامَّتَانِ) أي سوداوان من شدة الاخضرار والري من الماء. وقال هناك:(فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ) وقال تعالى ههنا:(نَضَّاخَتَانِ) أي فياضتان، والجري أقوى من النضخ. وقال تعالى هنالك:(فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ) وقال تعالى ههنا:(فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) ولا شك أن الأولى أعم وأكثر في الإفراد والتنويع على فاكهة، وهي نكرة في سياق الإثبات لا تعم. ثم قال تعالى:(فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) قيل المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة، قاله قتادة، وقيل خيرات جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق والوجه، قاله الجمهور. وروي مرفوعًا عن أم سلمة وفي الحديث الآخر الذي سنورده في سورة الواقعة إن شاء الله تعالى:" إن الحور العين يغنين: نحن الخيرات الحسان خلقنا لأزواج كرام" ولهذا قرأ بعضهم:(فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ) بالتشديد (حِسَانٌ ❖

فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) ثم قال جلت عظمته:(حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) وهناك قال سبحانه:(فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) ولا شك أن التي قد قَصَرت طرفها بنفسها، أفضل ممن قُصِرت، وإن كان الجميع مخدرات، وقوله تعالى:(فِي الْخِيَامِ) روى البخاري عن عبدالله بن قيس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمنون" ورواه مسلم بنفس المعنى، وقال ابن عباس:(حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) أي خيام اللؤلؤ، وقوله تعالى:(لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) قد تقدم مثله سواء، إلا أنه زاد في وصف الأوائل بقوله تعالى:(كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ❖ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، وقوله تعالى:(مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) الرفرف على السرير كهيئة المحابس المتدلي، وقيل الوسائد، وقال سعيد بن جبير: رياض الجنة، وقوله تعالى:(وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) أي جياد بسط أهل الجنة الملوّنة الموشاة. قال الخليل بن أحمد: كل شيء نفيس من الرجال وغير ذلك يسمى عند العرب عبقريًّا. ومنه قول النبي ﷺ في عمر:" فلم أرَ عبقريًّا يفري فريه". فمرافق صفة أهل الجنتين الأوليين أرفع وأعلى من هذه الصفة، فإنه قد قال هناك:(مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) فنعت بطائنها وسكت عن ظهائرها بما مدح به البطائن بطريق الأولى والأحرى، وتمام الخاتمة أن قال تعالى بعض الصفات المتقدمة:(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) والإحسان أعلى المراتب والنهايات. فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الأوليين على هاتين الأخريين، ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأوليين. ثم قال جل وعلا:(تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) أي هو أهل أن يُجلَّ فلا يُعصى، وأن يُكرم فيُعبد، ويُشكر فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا يُنسى.

روى الإمام أحمد عن ربيعة بن عامر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" أَلِظُّوا بـ: يَا ذا الجَلَالِ والإِكْرامِ". ورواه النسائي من حديث عبدالله المبارك به، والإلظاظ هو: المداومة واللزوم والإلحاح، وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة من حديث عبدالله بن الحارث عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلّم لا يقعد، يعني بعد الصلاة إلا بقدر ما يقول:" اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام".

الفوائد:

....

....

....

سورة الواقعة [مكية وآياتها ست وتسعون]

إلا الآية ٨١ و ٨٢ فمدنيتان، نزلت بعد طه

روى الحافظ ابن عساكر عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال في المرض الذي توفي فيه: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا" فكان أبو ظبية لا يدعها. وكذا رواه أبو يعلى عن ابن مسعود. وروى أحمد عن جابر بن سمرة ﷺ يقول:" كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، كانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور".

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:(إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ❖ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ❖ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ❖ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ❖ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ❖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ❖ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ❖ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ❖ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ❖ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ❖ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ❖ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) [الواقعة:١ -١٢].

الواقعة من أسماء يوم القيامة؛ سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها. كما قال تعالى:(فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) وقوله تعالى:(لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ) أي لا بد أن تكون، وليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها، كما قال تعالى:(اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) وقوله تعالى:(خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ) أي تخفض أقوامًا إلى الجحيم وإن كانوا أعزاء في الدنيا، وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم وإن كانوا وضعاء في الدنيا. وقوله تعالى:(إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا) كقوله تعالى:(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) وقوله تعالى:(وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا) أي فتتت فتًّا. كما قال تعالى:(كَثِيبًا مَهِيلاً) وقوله تعالى:(فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا) أي كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء، قاله علي ﷺ. وقوله تعالى:(وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً) أي أصنافًا ثلاثة، (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) وهم قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين، وهم جمهور أهل الجنة، (وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) وهم قوم عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمالهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال، وهم عامة أهل النار -عياذًا بالله من صنيعهم -، (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) هم سابقون بين يديه عز وجل، وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين، الذين هم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصدّيقون والشهداء، وهم أهل عليين؛ فمن سابق في هذه الدنيا، وسبق إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من

نوع العمل، وكما تدين تدان. ولهذا قال تعالى:(أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ❖ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) أي المقربون إلى كنفِ الله تعالى ورضاه، نسأله تعالى أن يجعلنا منهم بفضله ومنِّهِ وكرمه، آمين.

●قال تعالى:(ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ❖ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ❖ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ❖ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ❖ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ❖ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ❖ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ❖ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ❖ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ❖ وَحُورٌ عِينٌ ❖ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ❖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ❖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ❖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا) [الواقعة:١٣ -٢٦].

يخبر تعالى عن هؤلاء السابقين أنهم ثلة أي جماعة من الأولين، وقليل من الآخرين وقد اختلفوا في المراد بقوله الأولين والآخرين. فقيل: المراد بالأولين الأمم الماضية، وبالآخرين هذه الأمة. وهو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة، والراجح أن يكون المراد بقوله تعالى:(ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ) أي صدر هذه الأمة، (وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ) أي من هذه الأمة. ولا شك أن أوّل كل أمة خير من آخرها، فيحتمل أن تعم الآية جميع الأمم كل أمة بحسبها، وخير الأمم أمة محمد ﷺ، روى ابن أبي حاتم عن عبدالله بن بكر المزني قال: سمعت الحسن أتى على هذه الآية:(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ❖ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) فقال: أما السابقون فقد مضَوْا، ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين. وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال:" خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم". والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة، لشرف دينها وعظم نبيها. ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر:" إن في هذه الأمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب" وفي لفظ:" مع كل ألف سبعون ألفاً"، وفي لفظ آخر:" مع كل واحد سبعون ألفاً".

وروى الحافظ أبو قاسم الطبراني عن أبي مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أما والذي نفسي بيده ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود، زمرة جميعها يحيطون الأرض، تقول الملائكة: لما جاء مع محمد ﷺ أكثر مما جاء مع الأنبياء عليهم السلام"، وقوله تعالى:(عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) أي منسوجة ومضفورة بالذهب واللؤلؤ، وقوله تعالى:(مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ) أي وجوه بعضها إلى بعض، ليس أحد وراء أحد (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ) أي على صفة واحدة، لا يكبرون ولا يشيبون ولا يتغيرون (بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) والجميع من خمر من عين جارية معين، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ، بل من عيون سارحة. وقوله تعالى:(لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ) أي لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة. وروى الضحاك

عن ابن عباس أنه قال: في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقيء والبول. فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال. وقوله تعالى:(وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ❖ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) أي ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار، وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها، ويدل على ذلك حديث عكراش بن ذؤيب الذي يحدث عن مؤاكلته لرسول الله ﷺ في بيت أم سلمة: ثم أخذ بيدي فانطلقنا إلى منزل أم سلمة رضي الله عنها فقال ﷺ:" هل من طعام؟" فأتينا بجفنة كالقصعة كثيرة الثريد والوذر، فجعل يأكل منها، فأقبلت أخبط بيدي في جوانبها، فقبض رسول الله ﷺ بيده اليسرى على يدي اليمنى فقال:" يا عكراش! كل من موضع واحد، فإنه طعام واحد"، ثم أتينا بطبق فيه تمر أو رطب، شك عبيد الله رطبًا كان أو تمرًا، فجعلت آكل من بين يدي وجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق وقال:" يا عكراش! كل من حيث شئت، فإنه غير لون واحد"، ثم أتينا بماء فغسل رسول الله ﷺ يده ومسح وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثًا، ثم قال:" يا عكراش! هذا الوضوء مما غيرت النار" ورواه الترمذي مطولًا، وابن ماجه جميعًا عن محمد بن بشار. وروى الحافظ الطبراني: عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أُخرى"، وقوله تعالى:(وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) قال الإمام أحمد عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن طير الجنة كأمثال البخت، يرعى في شجر الجنة" فقال أبو بكر: يا رسول الله! إن هذه الطير ناعمة، فقال:" آكلها أنعم منها -قالها ثلاثا - وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها"، وروى الحسن بن عرفة عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ:" إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويًّا"، وقوله تعالى:(وَحُورٌ عِينٌ ❖ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) أي كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه، كما تقدم في سورة الصافات:(كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ) وقد تقدم في سورة الرحمن وصفهن أيضًا، ولهذا قال تعالى:(جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أي هذا الذي أتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل. ثم قال تعالى:(لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ❖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا) أي لا يسمعون في الجنة كلامًا لاغيًا، أي عبثًا خاليًا عن المعنى أو مشتملًا على معنى حقير أو ضعيف، كما قال:(لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً) أي كلمة لاغية (وَلَا تَأْثِيمًا) أي ولا كلامًا فيه قبح (إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا) أي إلا التسليم منهم بعضهم على بعض، كما قال تعالى:(تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) وكلامهم أيضًا سالم من اللغو والإثم.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ◆ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ◆ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ◆ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ◆ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ◆ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ◆ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ◆ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ◆ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ◆ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ◆ عُرُبًا أَتْرَابًا ◆ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ◆ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ◆ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ)[الواقعة:٢٧ -٤٠].

لما ذكر تعالى مآل السابقين وهم المقربون، عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الأبرار؛ لأن أصحاب اليمين منزلتهم دون المقرّبين، فقال تعالى:(وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ) ثم فسر ذلك:(فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) وهو الذي لا شوك فيه، وهو الموقر بالثمر، بعكس سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر. روى الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجار عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون:" إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، قال: أقبل اعرابي يومًا فقال: يا رسول الله! ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها، فقال ﷺ: وما هي؟ قال: السدر، فإن له شوكًا مؤذيًا، فقال رسول الله ﷺ: أليس الله تعالى يقول:(فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها لتنبت ثمرًا تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونًا من طعام، ما فيها لون يشبه الآخر".

وقوله تعالى:(وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) الطلح شجر عظام يكون بأرض الحجاز، واحدته طلحة. ومنضود أي متراكم الثمر، قال ابن عباس: يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل، فكأنه السدر، وصفه بأنه مخضود؛ وهو الذي لا شوك فيه، وأن طلعه كثير الثمر. ورُوي عن ابن عباس الطلح: الموز، وكذلك يسمون أهل اليمن الموز الطلح. وقوله تعالى:(وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال:" إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، اقرأوا إن شئتم:(وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) ورواه مسلم. وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد، وسهل بن سعد رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال:" إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمَّر السريع مئة عام ما يقطعها" فهذا حديث ثابت عن رسول الله ﷺ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد، لتعدد طرقه وقوة أسانيده وثقة رجاله. وقال الضحاك والسدي وأبو حزرة في قوله تعالى:(وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) لا ينقطع، ليس فيها شمس ولا حر مثل قبل طلوع الشمس. وقوله تعالى:(وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ) قال الثوري يجري في غير أخدود. وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى:(فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) بما أغنى عن أعادته ههنا. وقوله تعالى:(وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ◆ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ) أي وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. كما قال تعالى:(كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا) أي يشبه الشكلُ ولكن الطعم غير الطعم. وفي الصحيحين في ذكر سدرة

المنتهى:"... فإذا ورقها كآذان الفيلة، ونبقها مثلَ قلال هجر"، وفيهما أيضًا -أي في الصحيحين- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خسفت الشمس، فصلى رسول الله ﷺ والناس معه، فذكر الصلاة وفيه قالوا: يا رسول الله! رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت، قال:" إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا"، وقوله تعالى:(لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ) لا تنقطع شتاء ولا صيفًا، بل أكلها دائم مستمر أبدًا، مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله تعالى شيء، (وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) أي عالية وطيئة ناعمة. وقوله تعالى:(إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ❖ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ❖ عُرُبًا أَتْرَابًا ❖ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ) جرى الضمير على غير مذكور، لكن لما دل السياق وهو ذكر الفرش دلَّ على النساء اللاتي يضاجَعْنَ فيها، اكتفى بذلك عن ذكرهن وعاد الضمير عليهن، فقوله تعالى:(إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً) إنا أعدناهن في النشأة الأخرى بعد ما كُن عجائز رُمصًا صرن أبكارًا بعد الثيوبة عدن أبكارًا عربًا متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة.

روى أبو القاسم الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله! أخبرني عن قول الله تعالى:(وَحُورٌ عِينٌ) قال:" حور بيض عين ضخام العيون، شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر"، قلت: أخبرني عن قوله تعالى:(كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ)؟ قال:" صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي"، قلت: أخبرني عن قوله:(فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) قال:" خيرات الأخلاق حسان الوجوه"، قلت: أخبرني عن قوله:(كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) قال:" رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقى"، قلت: يا رسول الله! أخبرني عن قوله تعالى:(عُرُبًا أَتْرَابًا) قال:" هن اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصًا شمطًا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربًا متعشقات محببات أترابًا على ميلاد واحد"، قلت: يا رسول الله! نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال:" بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة"، قلت: يا رسول الله! وبم ذاك؟ قال:" بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل، ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيضُ الألوان، خضر الثياب، صفر الحليّ، مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت أبدًا، ونحن الناعمات فلا نبأس أبدًا، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا، طوبى لمن كنّا له وكان لنا"، قلت: يا رسول الله! المرأة منا تتزوج زوجين، والثلاثة والأربعة، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها، من يكون زوجها؟ قال:" يا أم سلمة! إنها تخير فتختار أحسنهم خُلقًا، فتقول: يا رب! إن هذا كان أحسن خلقا معي فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة".

وقوله تعالى:(عُرُبًا) قال ابن عباس: العُرُب العواشق لأزواجهن وأزواجهن لهن عاشقون. وقوله تعالى:(أَتْرَابًا) يعني في سنة واحدة ثلاث وثلاثين سنة، والمستويات في الأخلاق ليس بينهن تباغض ولا تحاسد. وقوله تعالى:(لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ) أي خلقهن لأصحاب اليمين، أو أنشأناهن لهم، ويُحتمل أن يكون المعنى أي في أسنانهم، يعني ثلاثًا وثلاثين سنة، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دريّ في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك ومجامرهم الإلوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء"، وقوله تعالى:(ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۞ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ) أي جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين. روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما:(ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۞ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ) قال: قال رسول الله ﷺ:" هما جميعًا من أمتي".

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۞ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۞ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ۞ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۞ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ۞ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ ۞ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۞ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۞ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۞ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ۞ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۞ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۞ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۞ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) [الواقعة:٤١ -٥٦].

لما ذكر تعالى أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال، فقال سبحانه:(وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ) أيْ أيُّ شيء هم فيه؟ ثم فسر ذلك فقال تعالى:(فِي سَمُومٍ) وهو الهواء الحار، (وَحَمِيمٍ) وهو الماء الحار، (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) وهو الدخان الأسود، (لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ) أي ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر، وكل شيء ليس على ما يجب أن يكون، فليس بكريم. ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال عز من قائل:(إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ) أي كانوا في الدنيا مقبلين على لذائذ أنفسهم، لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل (وَكَانُوا يُصِرُّونَ) أي مقيمون ولا ينوون توبة، (عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ) وهو الشرك، وقيل هو اليمين الغموس، بل هو الشرك، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة. ولهذا قال تعالى:(وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞

أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ) يعني يكذبون بذلك مستبعدين وقوعه. قال الله تعالى:(قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ❖ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) أي أخبرهم يا محمد أنهم وبني آدم عامة، سيجمعون يوم القيامة، كقوله تعالى:(ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ❖ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ) لا يزيد ولا ينقص. (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ❖ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ❖ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ) وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم، حتى يملؤوا منها بطونهم، (فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ❖ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ) وهي الإبل العطاش واحدها أهيم، والأنثى هيماء. قال السدّي: الهيم: داء يأخذ الإبل فلا تروى أبدًا حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبدًا. ثم قال تعالى:(هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) أي هذا الذي وصفنا ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم. أما ضيافة المؤمنين فكما قال الكريم سبحانه:(إِنّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) أي ضيافة وكرامة.

●قال تعالى:(نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ❖ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ❖ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ❖ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ❖ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ❖ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) [الواقعة:٥٧ -٦٢].

يقول تعالى مقررًا للمعاد، ورادًّا على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد، من الذين أنكروا البعث تكذيبًا واستبعادًا له. فقال تعالى:(نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ) من عدم، أفلسنا قادرين على إعادتكم بطريق الأولى؟ ولهذا قال سبحانه:(فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ) أي فهلّا تصدقون بالبعث؟ ثم قال جل وعلا:(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ❖ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) أي أنتم تقرون هذه النطف في الأرحام وتخلقونها أم نحن خلقناها؟ ثم قال تعالى:(نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ) أي صرفناه بينكم (وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) أي وما نحن بعاجزين (عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ) أي نغيّر خلقكم يوم القيامة (وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ) أي من الصفات والأحوال. ثم قال تعالى:(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) أي قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة فهلّا تتذكرون، وتعرفون أنَّ الذي قدِر على هذه البداءة قادرٌ على الإعادة بطريق الأولى والأحرى، كما قال تعالى:(وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ).

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ❖ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ❖ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ❖ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ❖ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ❖ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ❖ أَأَنْتُمْ

أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ❖ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ❖ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ❖ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ❖ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ❖ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) [الواقعة:٦٣ -٧٤].

يقول تعالى:(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ) وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها، (أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ) أي تنبتونه في الأرض (أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) أي بل نحن الذي نقره وننبته في الأرض. روى ابن جرير عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تقولن زرعت ولكن قل حرثت" قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قوله تعالى:(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ❖ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ). وقوله تعالى:(لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا) أي نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا وأبقيناه لكم رحمة بكم، ولو نشاء لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده وجعلناه حطامًا. (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) ثم فسر ذلك بقوله تعالى:(إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ❖ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) أي لو جعلناه حطامًا لظللتم تفكهون في المقالة تنوّعون كلامكم، فتقولون تارة إنا لمغرمون؛ أي لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح، وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم وتقولون:(بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) يعني لا حظّ لنا، قال الكسائي: تفكه من الأضداد، تقول العرب: تفكهتُ بمعنى تنعمت، وتفكهت بمعنى حزنت. ثم قال تعالى:(أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ❖ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ) يقول: بل نحن المنزلون (لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا) أي زعاقًا مرًّا لا يصلح لشرب ولا زرع، (فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) أي فهلّا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذبًا زلالًا، كما قال تعالى:(لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ❖ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) وقوله تعالى:(أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) أي تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها (أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ) أي بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها، وللعرب شجرتان: إحداهما: المرخ، والأخرى: العفار، إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار. وقوله تعالى:(نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً) أي تذكر النار الكبرى.

وروى الإمام مالك عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم"، فقالوا: يا رسول الله! إن كانت لكافية، فقال:" إنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا" رواه البخاري من حديث مالك، ومسلم من حديث أبي الزناد، ورواه مسلم من حديث عبدالرزاق.

وقوله تعالى:(وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ) قال مجاهد: يعني المستمتعين من الناس أجمعين، وإن هذا التفسير أعمُّ من غيره، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير، جميعًا محتاجون إليها للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع. وقوله تعالى:(فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) الذي بقدرته خلق هذه

الأشياء المختلفة المتضادة: الماء الزلال العذب البارد، ولو شاء لجعله أجاجًا كالبحار المغرقة، وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم وزجرًا لهم في المعاد.

●قال تعالى:(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۞ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۞ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۞ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۞ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ۞ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) [الواقعة:٧٥ -٨٢].

ليست (لا) من قوله تعالى:(فَلَا) لا معنى لها؛ بل يؤتى بها في أول القسم به على منفيّ كقول عائشة رضي الله عنها:" لا، والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط"، وهكذا ههنا تقدير الكلام: لا، ليس الأمر كما تظنون وتزعمون في القرآن أنه سحر أو كهانة، بل (أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۞ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجَّمته السفَرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين سنة. فهو قوله تعالى:(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) أي نجوم القرآن. وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدي وأبو حزرة. وقوله تعالى:(وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) أي وأن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمته لعظمتم القسم به عليه، (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) أي إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم (فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ) أي معظّم في كتاب معظّم محفوظ موقّر (لَا يَمَسُّهُ) أي هذا الكتاب الذي في السماء (إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) يعني الملائكة. وكذا قال ابن عباس وأنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو نهيك والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم.

وروى ابن جرير عن قتادة (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) قال: لا يمسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا يمسُّه المجوسي النجس والمنافق الرجس. وقال أبو العالية:(لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) ليس أنتم، أنتم أصحاب الذنوب. وقال ابن زيد: زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون، كما قال تعالى:(وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۞ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) وهذا القول قول جيد وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله.

وقال آخرون:(لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) أي من الجنابة والحدث. ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب، قالوا والمراد بالقرآن المصحف؛ بدليل ما رواه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو. واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطئه عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم:" أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: أن لا يمس القرآن إلا طاهر".

وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ قال:" ولا يمس القرآن إلا طاهر"، وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره، ومثل هذا ينبغي الأخذ به، وقوله تعالى:(تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أي هذا القرآن منزل من رب العالمين، وليس هو كما يقولون أنه سحر أو كهانة أو شعر! بل هو الحق الذي لا مرية فيه، وليس وراءه حق نافع. وقوله تعالى:(أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ) أي تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا إليهم. وقال ابن عباس: أي مكذبون غير مصدقين. وقوله تعالى:(وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قرآها:" وتجعلون شكركم أنكم تكذبون"، كما سيأتي أي تكذبون بدل الشكر. روى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" وتجعلون رزقكم: شكركم أنكم تكذّبون، تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال:" ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الغيث فيقولون بكواكب كذا وكذا" انفرد به مسلم من هذا الوجه. قال قتادة: أما الحسن فكان يقول: بئس ما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب، فمعنى قول الحسن هذا: وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به. ولهذا قال تعالى:(أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ❖ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ).

الفوائد:

....

....

....

●**قال تعالى:(فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ❖ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ ❖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ❖ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ❖ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الواقعة:٨٣ -٨٧].**

يقول تعالى:(فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ) أي الروح (الْحُلْقُومَ) أي الحلق، وذلك حين الاحتضار. كما قال تعالى:(كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ❖ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ❖ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ❖ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ❖ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) ولهذا قال ههنا:(وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ) أي إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ) أي بملائكتنا (وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ) أي لا ترونهم. كقوله تعالى:(حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) وقوله تعالى:(فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ❖ تَرْجِعُونَهَا) أي الروح التي بلغت الحلقوم، ترجعونها إلى مقرّها في الجسد إن كنتم غير محاسبين (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).

●**قال تعالى:(فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) [الواقعة:٨٨ -٩٦].**

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم، إما أن يكون من المقربين، أو ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق، الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله. ولهذا قال تعالى:(فَأَمَّا إِنْ كَانَ) أي المحتضر (مِنَ الْمُقَرَّبِينَ) وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات، (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ): فلهم روح وريحان، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت، كما جاء في حديث البراء ﷺ:" أن ملائكة الرحمة تقول: أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان"، والروح والريحان معناهما: أي رحمة ورزق وفرح وسرور. (وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) فقد روى الإمام أحمد عن الإمام الشافعي عن الإمام مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن كعب ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:" إنما نسمة المؤمن طائر يعلَق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه". وهذا إسناد عظيم ومتن قويم. ومعنى يعلق: أي يأكل. قال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقرّبين حتى يؤتَى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال:" إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ..." الحديث.

وقوله تعالى:(وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) أي وأما إن كان المحتضَر من أصحاب اليمين (فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) أي تبشرهم الملائكة بذلك، وهذا كقوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ)، وقال البخاري:(فَسَلَامٌ لَكَ) أي مسلّم لك أنك من أصحاب اليمين.

وقوله تعالى:(وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ) أي وأما إن كان المحتضَر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى (فَنُزُلٌ) أي فضيافة (مِنْ حَمِيمٍ) وهو المذاب يصهر به ما في بطونهم والجلود، (وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ) أي وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته. ثم قال تعالى:(إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) أي لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه وهو الخبر اليقين. (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) روى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ قال: لما نزلت

على رسول الله ﷺ:(فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) قال:" اجعلوها في ركوعكم"، ولما نزلت:(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) قال رسول الله ﷺ:" اجعلوها في سجودكم" وكذا رواه أبو داود وابن ماجه.

وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود.

الفوائد:

....

....

....

سورة الحديد [مدنية وآياتها تسع وعشرون]

نزلت بعد سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم

●**قال تعالى:(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ❖ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❖ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحديد:١ -٣].**

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض، أي من الحيوانات والنباتات، كما قال في الآية الأخرى:(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)، وقوله تعالى:(وَهُوَ الْعَزِيزُ) أي الذي خضع له كل شيء (الْحَكِيمُ) في خلقه وأمره وشرعه (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ) أي هو المالك المتصرف في خلقه حياةً وموتًا وعطاءً ومشيئةً (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وقوله تعالى:(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) فقد روى مسلم في صحيحه عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول:" اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كلِّ شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شرّ كلّ ذي شر أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، أقضِ عنا الدين وأغننا من الفقر". وكان يروي ذلك عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ.

●**قال تعالى:(هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا**

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ❖ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ❖ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [الحديد:٤ -٦].

يُخبر تعالى عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثمَّ أخبر تعالى باستوائه على العرش بعد خلقهن، وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشباهها في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته ههنا، وقوله تعالى:(يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ) من: حب وقطر وما شابه، (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) من: نبات وزرع وثمار، كقوله تعالى:(وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)، وقوله تعالى:(وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) أي من الأمطار والثلوج والبرد والأقدار والأحكام مع الملائكة الكرام، وقوله تعالى:(وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) أي من الملائكة والأعمال، كما جاء في الصحيح:" يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل"، وقوله تعالى:(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم -بصفاته - حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر، في الليل أو النهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سرّكم ونجواكم. كما قال تعالى:(أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)، وقد ثبت في الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال لجبريل لما سأله عن الإحسان:" أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدّهْرَ يَوْمًا فَلا تَقُلْ ... خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيّ رَقِيْبُ
وَلَا تَحْسَبَنّ اللهَ يَغْفَلُ سَاعَةً ... وَلا أَنّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيْبُ

وقوله تعالى:(لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) كقوله تعالى:(وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ) فجميع ما في السموات والأرض ملك له، وإليه المرجع يوم القيامة فيحكم في خلقه بما يشاء، وهو العدل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة، بل كما قال تعالى:(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ).

وقوله تعالى:(يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) أي هو المتصرف في الخلق، يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته، كما يشاء من طول وقصر واعتدال، وتقلّب الفصول الأربعة، كل ذلك بحكمته وتقديره. (وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أي يعلم السرائر وإن دقّت وإن خفيت.

الفوائد:

....
....
....

●**قال تعالى:(آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ❖ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ❖ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ❖ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ❖ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) [الحديد:٧ -١١].**

أمر تبارك وتعالى بالإيمان به وبرسوله ﷺ على الوجه الأكمل، والدوام والثبات على ذلك، وحثَّ على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه، أي مما هو معكم على سبيل العارية، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم، فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته، فإن يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه. وقوله تعالى:(مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك، فلعل وارثك أن يطيع الله فيه، فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك، أو يعصي الله فتكون قد سعيت في معاونته على الإثم والعدوان. روى الإمام أحمد عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول:" ألهاكم التكاثر، يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت" ورواه مسلم من حديث شعبة به وزاد:" وما سوى ذلك فذاهب وتاركه الناس".

وقوله تعالى:(فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ): ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة، ثم قال تعالى:(وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ): وأيَّ شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك، ويُبيِّن لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به. وفي صحيح البخاري أن النبيَّ ﷺ قال يومًا لأصحابه:" أي المؤمنين أعجب إليكم إيمانًا؟ قالوا: الملائكة، قال: وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟ قالوا فالأنبياء، قال: وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟ قالوا: فنحن. قال: وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ ولكن أعجب المؤمنين إيمانًا قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها".

وقوله تعالى:(وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ) يعني بذلك بيعة الرسول ﷺ، وقوله تعالى:(هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) أي حججًا واضحات ودلائل باهرات، وبراهين قاطعات؛ (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) أي من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان، (وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) أي في إنزال الكتب، وإرسال الرسل. ثم حثهم على الإنفاق فقال جل وعلا:(وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي لا تخشوا فقرًا؛ فإن الذي عنده ميراث السموات والأرض

سيخلف عليكم الذي تنفقونه. وقال جل وعلا:(لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ) أي أن قبل الفتح كان الحال شديدًا فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح فقد ظهر الإسلام ظهورًا عظيمًا ودخل الناس في دين الله أفواجًا، ولهذا قال تعالى:(أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى). والجمهور: على أن المراد بالفتح فتح مكة، وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح ههنا: صلح الحديبية. وقد يُستدلُّ لهذا القول بما روى الإمام أحمد عن أنس ﵁ قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها. فبلغنا أن ذلك ذُكر للنبي ﷺ فقال:" دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهبًا ما بلغتم أعمالهم"، ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة. وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال:" لا تسبُّوا أصحابي! والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"، وقوله تعالى:(وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) يعني المنفقين قبل الفتح وبعده، كلهم لهم ثواب على ما عملوا وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء. ولهذا قال سبحانه:(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) أي فلِخبرتِه فاوتَ بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن فعل ذلك بعد الفتح، وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق، وفي الحديث:" سبق درهم مائة ألف"، ولا شك عند أهل الإيمان أن الصدّيق أبا بكر ﵁، له الحظ الأوفر من هذه الآية فإنه سيّد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء. فإنه أنفق ماله كلّه ابتغاء وجه الله عز وجل، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها.

وقوله تعالى:(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا): فالإنفاق في سبيل الله بنيّة خالصة، وعزيمة صادقة داخل في عموم الآية. روى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود ﵁ قال: لما نزلت آية:(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ) قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله! وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح. قال: أرني يدك يا رسول الله، قال فناوله يده، قال فإني قد أقرضت ربي حائطي. وله حائط فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها. قال: فجاء أبو الدحداح فناداها يا أم الدحداح! قالت: لبيك، قال: اخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل –وفي رواية – أنها قالت له: ربح بيعك يا أبا الدحداح! ونقلت منه متاعها وصبيانها، وأن رسول الله ﷺ قال: كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح! وفي لفظ: رُبَّ نخلة مدلّاة عروقها در وياقوت لأبي الدحداح في الجنة".

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ◆ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ◆ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ◆ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [الحديد:١٢ -١٥].

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة بحسب أعمالهم، كما قال ابن مسعود في قوله تعالى:(يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورًا من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة، ورواه ابن أبي حاتم و ابن جرير.

وقوله تعالى:(وَبِأَيْمَانِهِمْ) قال الضحاك: أي وبأيمانهم كتبهم. كما قال تعالى:(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) وقوله سبحانه:(بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أي لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار. (خَالِدِينَ فِيهَا) أي ماكثين فيها أبدًا (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

وقوله تعالى:(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ): هذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة والزلازل العظيمة والأمور الفظيعة، وإنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله وترك ما زجر عنه. وعن ابن عباس:" بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نورًا، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلًا من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذ:(انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ) فإن كنا معكم في الدنيا، قال المؤمنون:(ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ) من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور. وروى أبو القاسم الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:" إنّ الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترًا منه على عباده، وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطي كل مؤمن نورًا، وكل منافق نورًا، فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون:(انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ)، وقال المؤمنون:(رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا) فلا يذكر عند ذلك أحد أحدًا".

وقوله تعالى:(فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) قال الحسن وقتادة: هو حائط بين الجنة والنار، وقال عبد الرحمن بن زيد: هو الذي قال الله تعالى:(وَبَيْنَهُمَا

حِجَابٌ) وهكذا روي عن مجاهد وغير واحد وهو الصحيح. (بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ) أي الجنة وما فيها (وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) أي النار، قاله قتادة وابن زيد وغيرهما، والمراد أنه سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة. (يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) أي ينادي المنافقون المؤمنين أما كنا معكم في الدار الدنيا، نشهد معكم الجمُعات والجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ (قَالُوا بَلَى) أي قال المؤمنون: بلى قد كنتم معنا، (وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ) قال بعض السلف: أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات، وتربصتم: أي أخّرتم التوبة من وقت إلى وقت وتربصتم بالحق وأهله (وَارْتَبْتُمْ) أي بالبعث بعد الموت، (وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ) أي قلتم سيغفر لنا، وقيل: غرتكم الدنيا، (حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) أي ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت، (وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) أي الشيطان. ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين، إنكم كنتم معنا، أي بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرة وشك، فكنتم تراؤون الناس، ولا تذكرون الله إلا قليلاً.

وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول، وهو أصدق القائلين:(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ❖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ❖ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ❖ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ❖ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ❖ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ❖ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ❖ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ❖ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ❖ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ) فهذا خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ. ثم قال تعالى:(فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) كما قال ههنا:(فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهبًا ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه. وقوله تعالى:(مَأْوَاكُمُ النَّارُ) أي هي مصيركم، وقوله تعالى:(هِيَ مَوْلَاكُمْ) أي هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم وبئس المصير.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ❖ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [الحديد:١٦ -١٧].

يقول تعالى:(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) أي أما آن أن تلين قلوبهم عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له، وتسمع له وتطيعه. قال ابن عباس:" إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن، فنزلت هذه الآية" رواه ابن أبي حاتم، ثم روى هو ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:" ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين". كذا رواه مسلم، وأخرجه النسائي وابن ماجه والبزار عن ابن مسعود.

وقوله تعالى:(وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنًا قليلًا، ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة، وقلدوا الرجال في دين الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد، (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) أي في الأعمال فقلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة. كما قال تعالى:(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ) ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية. وقوله تعالى:(اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة بالغيث الهتان، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال، سبحانه فهو الحكيم العدل اللطيف الخبير.

● **قال تعالى:(إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ❖ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) [الحديد:١٨ -١٩].**

يخبر تعالى عما يثيب به المصدِّقين والمصدِّقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة، (وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) أي دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله تعالى، لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكورًا. ولهذا قال سبحانه:(يُضَاعَفُ لَهُمْ) أي يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها، ويزاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف. وفوق ذلك (وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ) أي ثواب جزيل حسن، ومرجع صالح ومآب كريم، وقوله تعالى:(وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون عند ربهم، هم ثلاثة أصناف: يعني المصدِّقين، والصدِّيقين، والشهداء. كما قال تعالى:(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) ففرق بين الصديقين والشهداء فدل على أنهما صنفان، ولا شك أن الصديق

أعلى مقامًا من الشهيد، كما رواه مالك بن أنس رحمه الله تعالى في كتابه الموطأ عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدريّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم"، قال: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال:" بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين" اتفق البخاري ومسلم على إخراجه.

وقوله تعالى:(وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) أي في جنات النعيم، كما جاء في الصحيحين:" إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطّلع عليهم ربك اطلاعة فقال: ماذا تريدون؟! فقالوا: نحب أن تردَّنا إلى الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة، فقال: إني قد قضيت أنهم إليها لا يرجعون"، وقوله تعالى:(لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) أي لهم عند الله عز وجل أجر جزيل، ونور عظيم يسعى بين أيديهم، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال، والله تعالى أعلم. ولما ذكر السعداء ومآلهم، عطف بذكر الأشقياء وبين حالهم.

الفوائد:

....

....

....

●**قال تعالى:(اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ❖ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [الحديد:٢٠ -٢١].**

يقول تعالى موهنًا أمر الحياة الدنيا ومحقرًا لها:(اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) أي إنما حاصل أمرها عند أهلها هو هذا، كما قال تعالى:(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) ثم مثل الحياة الدنيا بنعمة زائلة فقال عز من قائل:(كَمَثَلِ غَيْثٍ) وهو المطر يأتي بعد قنوط الناس، كقوله تعالى:(وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا)، وقوله تعالى:(أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ) أي يُعجب الزراع نباته، وكما يُعجب الزراع ذلك، كذلك تُعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء على الدنيا وأميل الناس إليها. (ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) أي هكذا مثل الحياة الدنيا تكون أولًا شابّة ثم

تكتهل، ثم تكون عجوزًا شوهاء. ولما كان هذا المثل -أي أن الدنيا مثلها كثل الزرع الذي يكون أخضر ثم يصفرّ ثم يكون حطامًا - دالًّا على انقضاء الدنيا وزوالها لا محالة، وأن الآخرة آتية لا محالة؛ حذر الله من أمر الدنيا ورغب فيما فيها من الخير فقال جل جلاله:(وَفِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) أي وليس في الآخرة إلا: إمّا عذاب شديد، وإمّا مغفرة من الله ورضوان، أما الحياة الدنيا فإنها تغر من ركن إليها حتى يعتقد أن لا دار سواها، ولا معاد وراءها، وهي في حقيقتها حقيرة قليلة بالنسبة إلى دار الآخرة. روى جرير عن أني هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها"، وهذا حديث ثابت في الصحيح. وروى الإمام أحمد عن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لَلْجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك" انفرد بإخراجه البخاري في الرقاق. ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان؛ ولهذا حثَّ تعالى على المبادرة إلى الخيرات وفعل الطاعات وترك المحرمات. فقال عزّ من قائل:(سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) والمراد جنس السماء والأرض، وقوله تعالى:(أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) أي هذا الذي أهلهم الله له من فضله ومنّه عليهم وإحسانه إليهم. نسأله تعالى أن يوفقنا إلى ذلك، ويؤتينا من فضله ومنّه وإحسانه سبحانه وتعالى، وجلت عظمته، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

●قال تعالى:(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ❖ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آَتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ❖ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [الحديد:٢٢ -٢٤].

يُخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ الخليقة، فقال جلَّ وعلا:(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ) أي في الآفاق وفي نفوسكم (إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) أي من قبل أن نبرأ البرية ونبرأ النسمة. قال قتادة:(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ) هي السنون، يعني الجدب، (وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ) أي الأوجاع والأمراض، قال بلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود، ولا نكبة قدم، ولا خلجان عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، وهذه الآية الكريمة العظيمة، من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق قبحهم الله. وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة". وزاد ابن وهب:" وكان عرشه على الماء" ورواه الترمذي وقال حسن صحيح. وقوله تعالى:(إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) أي أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها لها وكتابتها طبق ما سيكون في حينها سهل على الله

عز وجل؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون. وقوله تعالى:(لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) أي أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا للكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم، فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شيء لكان. (وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) أي أعطاكم، أي لا تفخروا على الناس بما أنعم به عليكم، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدِّكم، إنما هو عن قدر الله تعالى ورزقه لكم. فلا تتخذوا نعم الله أشرًا وبطرًا، تفخرون بها على الناس. ولهذا قال تعالى:(وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) أي متكبر على الناس متعال عليهم، ولكن علينا أن نجعل الفرح شكرًا، والحزن صبرًا. ثم قال تعالى:(الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) أي يبخلون بما يجب عليهم، ويحضون الناس عليه (وَمَنْ يَتَوَلَّ) أي عن أمر الله وطاعته (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) كما قال تعالى حاكيًا عن موسى عليه السلام:(إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ).

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحديد:٢٥].

يقول تعالى:(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ) أي بالمعجزات والحجج والدلائل القاطعة، (وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ) وهو النقل الصدق (وَالْمِيزَانَ) أي العدل، وهو الحق الذي تشهد به العقول السليمة؛ (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) أي بالحق والعدل، وهو اتباع الرسل فيما أمروا ونهوا، وهو الحق الذي ما بعده إلا الضلال، قال تعالى:(وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) أي صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأوامر والنواهي.

وقوله تعالى:(وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) أي وجعلنا الحديد رادعًا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه، ولهذا قام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوّة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين، وبيان وإيضاح للتوحيد، فلما قامت الحجة على من خالف، شَرَع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف، وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده، ولهذا قال تعالى:(فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) يعني السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها، (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) أي في معايشهم كالسكة والفأس والقدوم والمنشار وآلات الحياكة والحراثة،

والطبخ والخبز، وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك. وقوله تعالى:(وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ) أي مَنْ نيَّته في حمل السلاح نصرة الله ورسوله، (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) ينصر من ينصره من غير احتياجٍ منه إلى الناس، وإنما شرع الجهاد ليبلوَ بعضكم ببعض.

الفوائد:

....

....

....

●**قال تعالى:(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ❖ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) [الحديد:٢٦ -٢٧].**

يخبر تعالى أنه منذ أن بعث نوحًا عليه السلام، وكذلك إبراهيم عليه السلام، لم ينزّل من السماء كتابًا ولا أرسل رسولًا، ولا أوحى إلى بشرٍ من بعدهما إلا من سلالتهما، حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى بن مريم الذي بشّر من بعده محمد صلوات الله وسلامه عليهما، ولهذا قال تعالى:(ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ) وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه، (وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ) وهم الحواريّون (رَأْفَةً) أي رقة، وهي الخشية (وَرَحْمَةً) بالخلق. وقوله تعالى:(وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا) أي ابتدعها أمة النصارى (مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) أي ما شرعناها وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم (إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ) أي ما كتبنا عليهم ما ابتدعوه من الرهبانيّة أي ما شرعناه لهم إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، (فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) لأنهم ابتدعوا في الدين ما لم يأمر به الله، ولم يقوموا حتى بما ألزموا أنفسهم به مما زعموه قربةً إليه تعالى، فإن الله لا يتقبَّل قربة إليه إلا بما شرعه، لا بما ابتدعه الناس. وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" يا ابن مسعود! قلت: لبيك يا رسول الله، قال: هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة لم ينجُ منها إلا ثلاث فرق، قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى بن مريم عليه السلام، فدعت إلى دين الله، ودين عيسى بن مريم، فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت. ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال، فقامت بين الملوك والجبابرة، فدعوا إلى دين الله ودين عيسى بن مريم، فقتلت وقطعت بالمناشير، وحرقت بالنيران فصبرت ونجت. ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تُطِق القيام بالقسط، فلحقت بالجبال فتعبدت وترهَّبت، وهم الذين ذكر الله تعالى:(وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ).

وروى الحافظ أبو يعلى عن سهل بن أبي أمامة: أنه دخل وأبوه على أنس بن مالك رضي الله عنه في المدينة زمن عمر بن عبد العزيز وهو أمير، وهو يصلي صلاة خفيفة وقعة كأنها صلاة مسافر أو قريبًا منها، فلما سلم قال: يرحمك الله! أرأيت هذه الصلاة، المكتوبة أم شيء تنفلته؟ قال: إنها المكتوبة، وإنها صلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئًا سهوت عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقول:" لا تشدِّدوا على أنفسكم فيشدّد الله عليكم، فإن قومًا شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم، ثم غدوا من الغد فقالوا نركب فننظر ونعتبر، قال: نعم، فركبوا جميعًا فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا، خاوية على عروشها، فقالوا: أتعرف هذه الديار؟ قال: ما أعرفني بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكهم البغي والحسد، إن الحسد يطفئ نور الحسنات، والبغي يصدق ذلك أو يكذبه، والعين تزني والكف والقدم والجسد واللسان، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه". روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجلًا جاءه فقال: أوصني، فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك:" أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض" تفرَّد به أحمد والله تعالى أعلم.

●قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [الحديد:٢٨ -٢٩].

قد تقدّم أنه ورد في الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن مؤمني أهل الكتاب يؤتون أجرهم مرَّتين، كما في الآية الرابعة والخمسين من سورة القصص، قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى هذه الآية في حق هذه الأمة:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ) أي ضِعفين (مِنْ رَحْمَتِهِ)، وزادهم (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ففضلهم بالنور والمغفرة، رواه ابن جرير. وهذه الآية كقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) روى أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالًا فقال: من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ ألا فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ ألا فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين عملتم، فغضبت النصارى واليهود وقالوا: نحن أكثر عملًا وأقل عطاء، قال: هل ظلمتكم من أجركم شيئًا؟ قالوا: لا، قال: فإنما هو فضلي أوتيه من أشاء" ورواه

البخاري. قال ابن جرير:(لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) أي ليتحققوا أنهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع (وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).

الفوائد:

....

....

....

المراجع :

- ✓ المرجع الرئيس :
- ✓ مختصر تفسير ابن كثير للرفاعي
- ✓ المراجع المساعدة:
  - تفسير القرآن العظيم لابن كثير
  - جامع البيان للطبري

مادة العقيدة الإسلامية(٤)

أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية المعاصرة

المقدمة

الحمدلله والسلاة والسلام علي رسول الله، وبعد:

لقد أكمل الله تعالى لهذه الأمة دينها وتشريعاتها فقال سبحانه: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا.} [المائدة:٣] وبينها رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام أتم بيان، وعلمنا كل شيئ، ثم توفى رسول صلى الله عليه وسلم وخلفه أصحابه لتولي مهمة هذا الدين، وكانت خلافتهم على مناهج النبوة، وكانت القرون الثلاثة الأولى المفضلة خير القرون كما أخبر بذلك النبي –عليه الصلاة والسلام– بقوله: "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[رواه البخاري]. لقربهم من عهد النبوة؛ فهم أحق بالاقتداء والسير على طريقتهم وعدم سلوك طريق الفرقة والافتراق، الذي حذرنا منه الإسلام وبين مخاطره على الفرد والمجتمع، وبين أن تسليط أعداء الإسلام علينا إلا بسبب الافتراق في الدين، والانحراف عن النهج القويم، والصراط المستقيم، الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكلما ابتعد الناس عن منهج القرآن والسنة والتمسك بهما؛ كلما شهد الإسلام تراجعاً بيناً بسبب هذا البعد، وأثَّر ذلك البعد في حصول البدع والانحرافات، وقد كانت أول بدعت حصلت هي بدعة القدر، ثم بدعة الخوارج، ثم التشيع، ثم المرجئة وهلم جرا، إلى أن صار واقع المسلمين اليوم كما هو مشاهد يكتظ بالفساد، ويعاني من التفرق والفرق والبدع والمحدثات، والمفاهيم المغلوطة عن هذا الدين بسبب البعد عن منهج الإسلام الصحيح، وذلك على مسلم غيور على دينه وأمته أن يسعى حثيثاً لدرء أسباب ومظاهر الافتراق والاختلاف، وذلك بالتمسك بمنهج الإسلام الصحيح الذي كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم وأهل السنة وجماعة المسلمين، والالتفاف حول علماء الأمة، والصدور عن رأيهم فيما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، ومعرفة مكامن الخلل وأسباب الفرقة وجمع الكلمة، ولفت الأنظار إلى مواقع الخلاف؛ للابتعاد عنه، فـ "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

وبين أيدكم مقرر العقيدة الإسلامية للمستوى الثاني -الفصل الثاني) نسلط فيه الضوء على أهم الفرق والأديان والمذاهب الفكرية المعاصرة، بنوع من الإيجاز والتبسيط، سالكين في ذلك طريق التوسط في استعراض المادة العلمية، وسهولة العبارة ووضوح المقصود، وسلاسة الترتيب، وقد تم جمع هذه المادة من عدة مراجع، من أهمها:

١. الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب الفكرية المعاصرة – إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامية.

٢. مدخل إلى علم العقيدة – د. محمد يسري

٣. الفرق والأديان والمذاهب الفكرية المعاصرة - الحوالي.

٤. العلمانية نشأتها وتطورها - الحوالي

٥. حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها - سليمان الخراشي

٦. المذاهب الفكرية المعاصرة -غالب عواجي.

٧. الأديان والمذاهب - جامعة المدينة العالمية.

٨. الأديان الوضعية - جامعة المدينة العالمية.

ويتكون هذا المقرر من تمهيد، وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عن الفرق، المبحث الثاني: عن الأديان، والمبحث الثالث: عن المذاهب الفكرية المعاصرة.

مدخل:

أولاً: أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة.

تعريف الاعتصام لغة: الإمساك والامتناع وملازمة الشَّيء، وأصلُ العصمة الحبل، وكلُّ ما أمسك شيئاً فقد عَصَمَه.

اصطلاحاً: هو الاستمساك بالشَّيء، قال الله عز وجل: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}[آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[آل عمران:١٠١]. قال ابن كثير: " فالاعتصام بالله والتوكلُ عليه هو العمدة في الهداية، والعُدَّة في مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرَّشاد، وطريق السَّداد، وحصول المراد ".

أما الاعتصام بالكتاب والسنة فهو: الالتجاء إليهما والاحتماء بهما عند كلِّ فتنة، والتَّمسك بهما عند كلِّ اختلاف، والتحاكم إليهما في كلِّ صغيرٍ وكبيرٍ وعند كلِّ فرقةٍ واختصام.

وقد وردت النَّصوص الكثيرة التي تحث على التَّمسك بالكتاب والسُنَّة والاعتصام بهما، ومن ذلك: قوله تعالى: {اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}[الأعراف:٣]، وقالَ تعالى: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[الزخرف:٤٣]، وقالَ تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ}[الجاثية: ١٨].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وقد تركت فيكم ما لن تضِلُوا بعده إنْ اعتصمتم به، كتاب الله ". [رواه مسلم]، وعن العِرْبَاض بن سَارية، قال: "... وإيَّاكم ومحدثات الأمور فإنَّها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديِّين، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذ ". [رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح].

قال الزهري: " كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسُنَّة نجاة ".

قال ابن القيم:" ومدار السعادة الدنيوية والأخروية على الاعتصام بالله، والاعتصام بحبله، ولا نجاة إلا لمن تمسَّك بهاتين العِصْمَتين، فأمَّا الاعتصام بحبله فإنَّه يَعْصِم من الضَّلالة، والاعتصام به يَعْصِم من الهلكة ". قال ابن مسعود: عليكم بالجماعة، فإنها حبلُ الله الذي أمر به، وإنَّ ما تكرهون في الجماعة خيرٌ مما تُحبون في الفرقة.

ثانياً: خطورة التفرق والاختلاف وذمهما:

يعتبر التَّفرق والاختلاف من أخطر الأمراض التي تصيبُ المجتمعَ فتؤدي به إلى الهلاك والموت، ولذلك وردت نصوصٌ متعددةٌ من الكتاب والسُنَّة تَنْهى عن التَّفرق وتأمر بالاجتماع والائتلاف، قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}[آل عمران:١٠٣]، وقال تعالى:{وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ}[آل عمران:١٠٥]، وقال تعالى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ❖ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}[الروم:٣١_ ٣٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ الله يرضى لكم ثلاثاً، ويَسْخط لكم ثلاثاً" وذكر منها"وأنْ تعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تَفرَّقوا ".[رواه مسلم]. وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له:"... تَلزم جماعة المسلمين وإمامهم "، فقلت: فإنْ لم تكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال:" فاعْتَزل تلك الفرق كلَّها، ولو أن تَعضَّ على أصلِ شجرة، حتى يُدْرِكَكَ الموت، وأنت على ذلك ".[رواه البخاري ومسلم]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من خرج من الطَّاعة، وفارق الجماعة فمات، مات مِيَتةً جاهليةً ". [رواه مسلم].

قال الإمام الغزالي:" إنَّ الألفة ثمرة حسن الخلق، والتّفرُّق ثمرة سوء الخلق، فحسن الخلق يوجب التّحابّ والتّآلف والتَّوافق، وسوء الخلق يثمر التَّباغض والتَّحاسد والتّدابر". وقال السَّعدي صاحب التفسير:" يَتَوعَّد الله تعالى الذين فرَّقوا دينهم، أي شَتَّتُوه وتَفرَّقوا فيه، وكلُ أخذ لنفسه نصيباً من الأسماء التي لا تفيد الإنسان في دينه شيئاً، كاليهودية، والنصرانية، والمجوسية، ولا يكمل بها إيمانه، بأنْ يأخذ من الشَّريعة شيئاً، ويجعله دينه، ويدع مثله، أو ما هو أولى منه، كما هو حال أهل الفرقة، من أهل البدع والضلال، والمُفرِّقين للأمَّة ".

ثالثاً: أسباب التفرق والاختلاف:

- عدم الرجوع إلى الكتاب والسُنَّة والتَّلقي من غيرهما، فمن أعرض عن هذين المصْدرين بالاعتماد على غيرهما والصُّدور عن سواهما تفرَّقت به السُّبل واختلفت عليه الطُّرق، قال تعالى:{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: ١٥٣]، فالوحي –

كتاباً وسنة - هو المصدر المحفوظ المعصوم، الذي لا يَضلُّ من تمسَّك به، ولا يشقى في الدنيا والآخرة، وقد ضَلَّت الفرق وتَفرَّقت الأمَّة عندما اتخذت مصدراً سِواه، وتُوهِم فيه العِصْمة والحق.

- الأخذ ببعض الدين وترك البعض الآخر، قال تعالى: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}[المائدة:١٤]، فالدين شامل وكامل، فإذا أخذت طائفة بجانب وتركت آخر وقعت العداوة والبغضاء والفرقة.

- كيد أعداء الإسلام، قال تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}[البقرة: ١٢٠]، وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} [آل عمران: ١٤٩]، فأعداء الإسلام يعملون ليلاً ونهاراً من أجل إطفاء نور الله وتدمير الأمَّة المصْطفاة، وكلهم مُتَّفقون على ذلك وإنْ اختلفت أديانهم وآراؤهم، ومن ذلك إيجاد الفُرْقَة بين أهله وبذر البدع والضَّلالات فيهم.

رابعاً: بداية الافتراق:

لقد نشأت الفرق الإسلامية في أواخر عصر الخلفاء الراشدين، وتبلورت أفكارها في العصور التالية بعدهم، ففي عهد الرسالة وبداية عهد الخلفاء الراشدين كان المسلمون يشكلون وحدة حقيقية، عقيدة وفكراً وجماعة، وإذا ظهر خلاف ما في الرأي، فسرعان ما ينتهي إلى وفاق وتفاهم، بسبب الاحتكام المباشر إلى الكتاب والسنة، ولايعدو أن يكون الخلاف بين الصحابة اختلاف في الأفهام والاجتهادات وليس في العقيدة والدين.

وبدأت الفتن والفرقة بين المسلمين في أواخر عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، حين اشتكى بعضهم أو بعض المنافقين ببعض الولاة الذين عينهم عثمان رضي الله عنه، ثم تحركت الأمور بيد المنافقين والمغرر بهم إلى الشكوى من عثمان رضي الله عنه ذاته بمقولة: إنه يولي العمال من ذوي رحمه، ثم تحولت الشكوى إلى الطعن في دينه على يد بعض المارقين الضالين.

ثم قُتل عُثمان رضي الله عنه مظلوماً بيد فئة ضالة ظالمة غُرر بها... ففُتِح بذلك باب القتل والقتال بين المسلمين، وبذلك بدأت الفتن والفرقة بين المسلمين في أواخر عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وبعد أن تولى الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة، اتهمه بعضهم أنه لم يقتص من قتلة عثمان رضي الله عنه؛ فوقع القتال بين علي وبين الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم جميعاً، ثم وقع قتال بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وانتهى بواقعة التحكيم المعروفة.

وبعد التحكيم كانت البداية الفعلية للافتراق في الأمة بظهور الخوارج والشيعة، وهنا بدأ الانحراف والأفكار المخالفة، وكانت الفرقة الأولى في الظهور هي الخوارج، ثم الشيعة أو الرافضة، ثم توالت بقية الفرق في الظهور وأخذت منحى مغايراً لما عليه الصحابة رضوان الله عليهم، كما سيأتي بيانه في هذا المقرر بحول الله تعالى...

خامساً: أهم الأصول التي وقع فيها الافتراق:

الأصل الأول: الإيمان: دلّت النّصوص من الكتاب والسُنَّة على أنَّ الإيمان قولُ وعملُ، يزيد وينقص، وعلى ذلك أجمع الصحابة والسَّلف، وهو مذهب أهل السُنَّة والجماعة موافق للكتاب والسنة.

وخالفت في هذا فرقتان:

١ - الخوارج والمعتزلة:

فقالوا: إنَّ الإيمان شيءٌ واحدٌ لا يزيدُ ولا ينقصُ، وهو فعل جميع الطَّاعات وترك جميع المحرَّمات، ومن ترك واجباً أو فعل محرماً فهو كافرٌ عند الخوارج، وفي منزلة بين الإيمان والكفر عند المعتزلة، وهو مخلدٌ أبداً في النَّار عند الطرفين، وهذا مخالف للكتاب والسنة.

٢ - المرجئة:

فقالوا: أنَّ الإيمان شيءٌ واحدٌ لا يزيد ولا ينقص، وهو التَّصديق أو المعرفة بالقلب وحده دون إقرار اللسان وعمل الجوارح كما يقول الغُلاة منهم، أو التَّصديق بالقلب والإقرار باللسان دون عمل الجوارح كما يقول بقيتهم، وتقول المرجئة: إنَّ من ترك واجباً أو فعل محرماً فهو كامل الإيمان ما دام عنده تصديق أو تصديق وإقرار، وهذا مخالف للكتاب والسنة.

الأصل الثاني: القدر: دلّت النُّصوص من الكتاب والسُنَّة على أنَّ الإيمان بالقَدَر ركنٌ من أركان الإيمان، وأصلٌ من أصول الدِّين وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

وخالف في هذا الأصل فرقتان:

١ - القَدَرية: نفاة القَدَر وعلى ذلك المعتزلة الذين يرون أنَّ العبد يخلق أفعاله بقدرته مستقلاً عن قدرة الله، ويريد ويدبِّر بإرادته الحرة قبل أن تتدخل إرادة الله تعالى في إرادته أو مع إرادته.

٢ - الجبرية: الذين نفوا مشيئة العبد وإرادته ومنهم الجهمية الذين يرون أنَّ العبد مجبور على عمله من خيرٍ وشرٍ، وتنسب إليه الأعمال مجازاً كما تنسب إلى الجماد.

الأصل الثالث: الأسماء والصفات: وهي معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته هي أشرف أنواع العلوم والمعارف، فلا تطمئن القلوب وتأنس إلا بمعرفة مَعْبُودها سبحانه، ولذلك آمن السَّلف بكلِّ ما ورد في الكتاب والسُنَّة من أسماء الله وصفاته وحققوا مقتضياتها ولوازم الإيمان بها، ومع إثباتهم لكلِّ

أسمائه تعالى وصفاته يؤمنون إيماناً جازماً بأنَّه تعالى لا مثلَ له ولا شبيهَ ولا ندَ ولا شريك، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهذا مايعتقده أهل الحق من المسلمين.

وخالف في هذا فريقان:

١ - فريقٌ يثبت لله تعالى صفات كصفات المخلوقين، فيقولون: عِلمه كعِلمنا ويَده كيَدنا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وهم يُسمَّون المشبِّهة، وعلى هذا المذهب قُدماء الشِّيعة والرَّوافض.

٢ - فريقٌ ينفي صفات الله تعالى زاعماً أنَّ إثباتها يلزم منه التَّشبيه فيقولون ليس له وجهٌ ولا يدٌ ولا قدرةٌ ولا علمٌ.

الأصل الرابع: الإمامة:

من عقيدة السَّلف أنَّ أولى النَّاس بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، وأنَّ الأئمة من قريش لا تخرج الإمامة العظمى عنهم كما صَحَّت بذلك السُنَّة، وأنَّ الإمامة العظمى مَنصِبٌ شرعي غَرضه إقامة الدِّين وسياسة الدنيابه، وطريقتها الشُّورى واختيار أهل الحَلِّ والعَقْد من العلماء وذوي الشأن.

وخالف في هذا فرقتان:

١ - الشِّيعة، ومذهبهم أنَّ أولى النَّاس بالخلافة هو عليٌ رضي الله عنه، والإمامة عند الشِّيعة ليست مجردُ منصبٍ شرعي بل هي ركنٌ من أركان الدين وأصلٌ من أصوله، وطريقتها الوارثة والتَّعيين في ذرية الحسين عند الشيعة وفي ذرية الحسن والحسين عند الجارودية، ولا تخرج عنهم، وهذا ولا شكل مخالف لإجماع المسلمين.

٢ - الخوارج وهم يُقِرُّون بخلافة الشَّيخين أبي بكر وعمر، ويطعنون في عثمان وعلي رضي الله عنهم، وقد يُكفِّرونهما ويقولون: الإمامة جائزة في كلِّ النَّاس قريش وغيرها .

سادساً: أصولُ الفِرَق ومنهجُ أهل السنة والجماعة في معاملتهم:

افترقت الأمة الإسلامية على ثلاث وسبعين فرقة، وتعددت معتقداهم وأفكارهم مابين الغالي والجافي، والمُفَرِط والمنحل عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، ويرجع أصل هذه الفرق إلى ست فرق كبرى وهي على النحو التالي:

١ - فرقة الخوارج، وهم أوَّلُ الفرق خروجاً عن السُنَّة والجماعة، وأهم معتقدهم تكفير المسلمين بالذنب، وقد ناظرهم الصحابة وأقاموا عليهم الحجة فتاب بعضهم ومن لم يتب قاتلوه وقتلوا منهم الآلاف.

٢ - فرقة الشِّيعة: ومعتقدهم هو حصر الإمامة في علي بن أبي طالب ونسل الحسين رضي الله عنهم، وتكفير غالب الصحابة رضوان الله عليهم.

٣ - فرقة القَدَرية: في أواخر عصر الصَّحابة ظهرت القدرية الذين ينكرون القدر لله تعالى، وقد أنكر عليهم الصَّحابة إنكاراً شديداً وأعلنوا براءتهم منهم وأمروا الأمَّة بالبراءة منهم وعدم السَّلام عليهم أو الصَّلاة على جنائزهم أو عيادة مرضاهم، وقد لقي غَيْلان الدِّمشقي أحد مؤسِّسي بدعتهم مَصْرعه على يد الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك بناء على فتوى بعض التابعين.

٤ - فرقة الجهمية: بعد انقراض عصر الصَّحابة ظهرت بدعة إنكار الصِّفات على يد الجَعَد بن دِرْهَم وتلميذه الجَهم بن صفوان الذين ينسبون إليه فيقال لهم الجهمية، وهذه البدعة قاومتها الأمَّة أشدَّ المقاومة ولقي الجعد والجهم مصرعهما جزاءً لإلحادهما.

٥ - وفي نفس الوقت ظهرت (فرقة المعتزلة) على يد واصل بن عطاء وعَمرو بن عُبيد اللذين كانا تلميذين في حلقة الحسن البصري، وكانت بدعتهم أوَّل الأمر في الإيمان ثم زادوا عليها إنكار القَدَر والصَّفات، وقد طرد الحسن البصري واصلاً وعمراً من حلقته واتَّفق علماء الأمَّة على نَبْذِ المعتزلة وهجرهم اتباعاً لما فعله الصَّحابة بأسلافهم القَدَرية.

٦ - في مقابل الخوارج والمعتزلة ظهرت (فرقة المرجئة)، وكانت بدعتهم أنه لايضر مع الإيمان معصية، وكان منهم الغلاة وهم الجهمية وكانت بدعتهم إنكار الصفات لله تعالى، وهذا مخالف لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية وأهل العلم.

وهكذا ظهرت أصول الفرق وهي: (الخوارج، الشيعة، المرجئة، القَدَرية، الجهمية)، وأما المعتزلة فمذهبهم مركَّب من هذه الأصول، واسم القَدَرية يطلق عليهم، وقد تفرَّع عن هذه الأصول فرقٌ كثيرة، وقد تَبيَّن أنَّ لأهل السُنَّة والجماعة موقفاً واضحاً في معاملة أهل البدع وهذا الموقف هو من أصول منهج أهل السُنَّة والجماعة، وظلَّت الأمَّة ملتزمة بهذا الموقف وظلَّ أهل البدع بين مقتول ومَرذولٌ إلى زمان المأمون بن هارون الرشيد الذي تولَّى الخلافة بين سنتي (١٩٨ - ٢١٨ هـ)، وارتفع في عهده شأن البدعة وأهلها وفتح الباب على مِصْرَاعَيه للفلسفة وعلم الكلام.

سابعاً: أهل السنة والجماعة وخصائصهم:

- **تعريفهم وسبب تسميتهم:**

أهل السُنَّة والجماعة هم: الفرقة الناجية والطائفة المنصورة الذين أخبر النبي صلى الله عنهم بأنَّهم يسيرون على طريقته وأصحابه الكرام دون انحراف؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تفترق هذه الأمَّة على ثلاثٍ وسبعين فِرقة كلُّهم في النَّار إلا واحدة"، قالوا وما تلك الفرقة، قال:" ما أنا عليه اليوم وأصحابي" .[رواه الترمذي وحسنه الألباني].

وأما تسميتهم بأهل السُنَّة؛ لَاسْتمسَاكِهِم واتِّباعهم لسُنة النبي صلى الله عليه وسلم، وسُمُّوا بالجماعة؛ لأنَّهم جماعة الإسلام الذي اجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا في الدين، وتابعوا منهج أئمة الحق ولم يخرجوا عليه في أيِّ أمر من أمور العقيدة.

- **خصائص وسمات أهل السنة والجماعة:**

١. اتباع الكتاب والسُنَّة فلا يُقدِّمون عليهما شيئاً، لا العقل ولا الرأي ولا الكَشْف ولا المذهب ولا الطريقة ولا قول أحد من البشر، أو حكمه وشرعه، ولهذا يهتمون بكتاب الله حفظاً وتلاوةً وتفسيراً كما يهتمون بمعرفة الحديث الصحيح وتمييزه عن الضعيف والموضوع.

٢. الدخول في الدِّين كلِّه، والإيمان بالكتاب كلِّه، فيؤمنون بنصوص الوعد، ونصوص الوعيد، وبنصوص الإثبات، ونصوص التنزيه ويجمعون بين الإيمان بقَدَر الله، وإثبات إرادة العبد، ومشيئته، وفعله.

٣. الاقتداء والاهتداء بأئمة الهدى العدول، المقتدى بهم في العلم والعمل والدعوة من الصَّحابة رضوان الله عليهم ومن سار على نهجهم، ومجانبة من خالف سبيلهم.

٤. الرَّبانية في الانتماء والانتساب، فكما أنها فِرقة ربَّانية في مصدرها ومنهجها هي كذلك ربَّانية في انتمائها وانتسابها، فهي لا تنتسب إلى رجل ولا طريقة ولا مذهب اعتقادي، وإنَّما إلى الإسلام والسُنَّة.

٥. التوسط، فأهل السنة هو سوط في الاعتقاد، وسط بين فِرَق الغلو وفِرَق التَّفريط، وهم في الأعمال والسُّلوك وسط بين المُفرِّطين والمُفرِطِين.

٦. الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق وتوحيد صفوفهم على التوحيد والإتباع، وإبعاد كل أسباب النزاع والخلاف بينهم.

٧. الدعوة إلى الله الشَّاملة لكلِّ شيء في العقائد والعبادات وفي السلوك والأخلاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله والعمل لإقامة شرعه وحكمه في كل صغيرة وكبيرة.

٨. مراعاة حق الله تعالى في الأحكام بالإنصاف والعدل، فهم يراعون حقَّ الله تعالى لا حقَّ النفس أو الطَّائفة، ولهذا لا يَغْلُون في مُوالٍ، ولا يَجُورُون على مُعَاد، ولا يَغْمَطون ذا فضل فضله أيًّا كان، ومع ذلك فهم لا يُقدِّسون الأئمة والرجال على أنَّهم معصومون، ولا يكفِّرُون إلا من كفَّره الله ورسوله ولا يُخطِّئون إلا من خطَّأه الله ورسوله.

٩. يَعْتنون بالمصالح والمفاسد ويراعونها، ويَعْلَمون أنَّ الشَّريعة جاءت بتحصيل المصالح وتعطيل المفاسد وتقليلها، حيث درء المفاسد مُقدَّمٌ على جلب المصالح.

١٠. يَقُومون بالواجب تجاه أهل البدع ببيان حالهم، والتَّحذير منهم وإظهار السُنَّة وتعريف المسلمين بها وقمع البدع بما يوجبه الشرَّع من ضوابط، وبعدل وإنصاف، دون إفراط أو تفريط.

١١. يُصَلون الجُمَع والجماعات والأعياد خلف الإمام مستور الحال ما لم يظهر منه بدعةٌ أو فجورٌ فلا يَرُدُون بدعة ببدعة.

١٢. إخلاص التوحيد لله تعالى والبعد عن الشَّرك والبدعة مما ينقص الإيمان أو ينَقُضُه من أصله، وكذلك التَّعرف على الله جل وعلا بفهم أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

١٣. طاعة الله ورسوله بأداء الفرائض والنَّوافل كاملة مع العناية بالذِّكر وتلاوة القرآن الكريم والصَّلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والصيام وإيتاء الزكاة وأداء الحج والعمرة وغير ذلك مما شرع الله تعالى.

١٤. التَّوافق في الأفهام، والتَّشابه في المواقف، فهم مُتَّفقون في أصول العقيدة على الرَّغم من تباعد الأقطار واختلاف الاعصار، وما ذلك إلا لأنَّ مصدرهم الذي يتلقون عنه واحدٌ ومنهجهم في تلقيه واحد.

١٥. الإحسان والرحمة وحُسْن الخُلق مع النَّاس كافَّة فهم يَأْتمُّون بالكتاب والسُنَّة بفهم السَّلف الصالح في علاقاتهم مع بعضهم أو مع غيرهم.

المبحث الأول: الفرق (أصولها - تعريفها – أهم معتقداتها)

مقدمة:

الفرقة مأخوذة من الافتراق، وهو: الافتراق لغةً: خلاف الجماعة والاجتماع والجمع، قال تعالى: {اعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ} . [آل عمران:١٠٣]، أي: لا تتفرقوا بعد الاجتماع، فالافتراق نقيض الاجتماع.

والافتراق في الاصطلاح: يطلق على أمور منها: التفرق في الدين والاختلاف، ومفارقة جماعة المسلمين وهم عموم أمة الإسلام.

وعلى هذا لقد كان عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة هم جماعة المسلمين ومن تبعهم واهتدى بهديهم واجتمعوا على إمام واحد يسمون أهل السنة والجماعة، وكل من كان على هديهم بعد ظهور الافتراق كذلك، ومن خالف سبيلهم في أمر يقتضي الخروج عن أصولهم في الاعتقاد أو الشذوذ عنهم في المناهج أو الخروج على أئمتهم أو استحلال السيف فيهم فهو مفارق، فالخروج عن أهل السنة والجماعة ولو في أصل واحد من أصول الدين الاعتقادية أو العملية المتعلقة بالقطعيات، أو بمصالح الأمة العظمى أو بهما معاً فإنه يعتبر تفرقاً، وكل ما يؤدي إلى الفتن، والقتال، والبغي، والبدع يعد من الافتراق، وبذلك يتضح أن أهل الافتراق هم أهل الأهواء والبدع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" والبدعة مقرونة بالفرقة،كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة كما يقال: أهل البدعة والفرقة.

وفي هذا المبحث سيتم تناول أهم الفرق التي خالفت هدي النبي عليه الصلاة والسلام وجماعة المسلمين، والتعريج على بعض معتقداتهم وأماكن انتشارهم.

أولاً: فرقة الخوارج

- **تعريف الخوراج:**

الخوارج : هم كلُّ من خرج على الإمام الحق الذي اتَّفقت الجماعة عليه يُسمَّى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصَّحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التَّابعين لهم بإحسان والأئمة في كلِّ زمان.

والخوارج فرقةٌ كبيرةٌ من الفِرَق الاعتقادية، وتُمثْل حركة عنيفة في تاريخ الإسلام السِّياسي، شغلت الدولة الإسلامية فترة طويلة من الزَّمن، وقد بَسَط الخوارج نُفوذهم السِّياسي على بِقَاعٍ واسعة من الدولة الإسلامية في المشرق وفي المغرب العربي، ولا تزال لهم ثقافتهم المتمثلة في المذهب الإباضي المنتشر في تلك المناطق.

-أسماء الخوارج وسبب تلك التسميات:

للخوارج أسماء كثيرة، ومن تلك الأسماء:

١ - الخوارج؛ لخروجهم على الخليفة علي رضي الله عنه.

٢ - الحَرُورية؛ نسبة إلى المكان الذي خَرَج فيه أسْلَافهم على عليٍّ رضي الله عنه، وهو حَرُوراء قرب الكوفة.

٣ - الشُّراة: نسبة إلى الشِّراء الذي ذكره الله بقوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} .[التوبة:١١١].

٤ - المَارِقة؛ لمُرُوقهم من الدِّين كمُرُوق السَّهم من الرَّمِيَّة كما في أحاديث المُرُوق الواردة في الصَّحيحين.

٥ - النواصب؛ لمبالغتهم في نصب العِداء لعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

-أهم فرق الخوراج:

الخوارج فرق كثيرة وهم يتفاوتون في الغلو فأشدُّهم الأزارقة ثم النَّجدات ثم الأباضية:

أولاً: الأزارقة: وهم أتباع نافع بن الأزرق الذي ظهر أمره في خلافة ابن الزبير .

وأهم عقائدهم:

١ - تكفير عثمان وعلي رضي الله عنهما. ٢ - تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النَّار. ٣ - تكفير من خالفهم من المسلمين بل من لم يهاجر إليهم ولو كان على مذهبهم. ٤ - الحكم بأنَّ دار مخالفيهم من المسلمين دار كفر. ٥ - إسقاط حدِ الرَّجم والقذف.

ثانياً: النَّجَدَات: وهم أتباع نَجْدَة بن عامر الحنفي الذي انشق عن نافع وخفَّف بعض غلوه.

أهم عقائدهم:

١ - تكفير من خالفهم من المسلمين ومن ذلك الأزارقة إلا الجاهل فإنَّه معذور عندهم حتى تقام عليه الحجة. ٢ - الحُكْم على دار مخالفيهم بأنَّها دار نِفَاقٍ لا دار كفرٍ. ٣ - موالاة أصحاب الحُدود والجنايات إذا كانوا على مذهبهم مع الحُكْم بتخليدهم في النَّار. ٤ - أنَّ المؤمن وهو من كان على مذهبهم لا يُكفَّر بمجرد فعل الكبيرة كما تقول الأزارقة بل بالإصرار على المعصية كبيرة كانت أم صغيرة.

ثالثاً: الإباضية: وهم أتباع عبدالله بن إباض التميمي الذي انشقَّ عن نافع الأزرق، وقد نُسبوا إلى عبد الله بن إباض لشهرة مواقفه مع الحُكَّام، وهو تابعي، وهم يُعظِّمون أبا الشَّعْثاء جابر بن زيد أحد التَّابعين وينسبون مذهبهم إليه، والإباضية هي الفرقة الوحيدة من الخوارج التي استمرت إلى عصرنا الحاضر وتأثرت بعقائد المعتزلة.

تواجد الإباضية:

قامت للإباضية دولتان: إحداهما في المغرب والأخرى في المشرق(دولة عُمان) تمتع المذهب الإباضي فيهما بالنُّفوذ والقوة، وساعد انتشار المذهب الإباضي في عُمان بُعْدُها عن مقر الخلافة، ثم مَسَالِكُها الوعِرة، ويرجع دخول المذهب الإباضي إلى عُمان بسبب فرار بعض الخوارج بعد معركة النَّهروان إلى هذا البلد؛ كما يرى بعض العلماء.

- **أهم عقائدهم:**

١ - إنكار صفات الله تعالى موافقة للمعتزلة، وقد انقسموا إلى فريقين: فريقٌ نفى الصِّفات نفياً تاماً خوفاً من التَّشبيه بزعمهم، وفريقٌ منهم يرجعون الصِّفات إلى الذَّات فقالوا أنَّ الله عالمٌ بذاته وقادرٌ بذاته وسميعٌ بذاته... وهكذا بقية الصِّفات، فالصِّفات عندهم عين الذَّات. ٢ - أنَّ القرآن مخلوق. ٣ - أنَّ مرتكب الكبيرة مخلَّد في النَّار لا يخرج منها أبداً مع عدم حكمهم بتكفيره كفراً أكبر. ٤ - إنكار رؤية الله تعالى في الآخرة ومن يثبتها فهو كافر. ٥ - تأويل الصِّفات. ٦ - واختلفوا في إثبات عذاب القبر، فذهب قسمٌ منهم إلى إنكاره موافقين بذلك سائر فرق الخوارج، وذهب قسمٌ آخر إلى إثباته. ٧ - إنكار الميزان والصِّراط في الآخرة.

وتعتبر عقائد الخوارج عموماً وكل من سار على منهجهم عقائد باطلة ومخالفة لنصوص القرآن والسنة ومنهج الصحابة؛ لما اتَّصفت به من الغُلو والتَّشدد والمبالغة في التَّمسك بالدِّين، وأيضاً لِما فيها من الأخذ بجانب من النُّصوص وترك الجانب الآخر، ولذلك ردَّها سلف هذه الأمَّة وبيَّنوا فسادها بالأدلة والبراهين الواضحة، فأيُّ منهجٍ أراد الإيمانَ ببعضِ النُّصوص وتركَ البعض الآخر أو اتَّصف بالغُلو والتَّشدد فهو باطلٌ مردودٌ لمخالفته العقيدة الصَّحيحة السَّليمة المتَّصفة بالشُّمول والتَّوسط.

ذم الغلو في الدين وخطره:

إن التجاوز على حدود الدِّين والتّشدّد فيه يعتبر غلواً ويشكل خطراً على الفرد والمجتمع، ولذلك فإن الله عز وجل في آيات كثيرة نهانا عن المعصية، وعن التقصير، والكسل وحب الدنيا، لكن في آيات أخرى أيضاً نهانا عن الغلو في الدين، معنى ذلك كما يقولون: الإسلام وسطي؛ أي يبتعد عن التطرف، لا إلى اليمين، ولا إلى اليسار، لا إلى جهة الإفراط، ولا إلى جهة التفريط، الإيمان وسطي، يعتمد على التوازن بين جوانب الإنسان بين الدنيا والآخر، وبين العبادة والعمل، ولذا كان الرسول – صلى الله عليه وسلم –يحذر من الغلو، ويرشد إلى اتباع السنة، وتجنب طرق أهل الغلو.

وقد وردت النُّصوص الكثيرة من الكتاب والسُنَّة في ذم الغُلُو في الدِّين والتَّشدد فيه ومن ذلك: قوله تعالى:{يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ}[النساء:١٧١]، وقوله

تعالى:{قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ }[المائدة: ٧٧].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها النَّاس إيَّاكم والغُلُو في الدِّين، فإنَّه أهلَك من كان قبلكم الغُلُو في الدِّين". [رواه ابن ماجه وصححه الألباني]. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال:" إنَّ الدِّين يسرٌ، ولن يشادَّ الدِّين أحدٌ إلّا غلبه فسدّدوا وقاربوا وأبشروا ". [رواه البخاري]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم:" هلك المتنطِّعون قالها ثلاثاً ". [رواه مسلم].

قال عمر رضي الله عنه:" لن تزالوا بخير ما عجَّلتم الفطر، ولم تتنطَّعوا تنطّع أهل العراق ". وقال قال الإمام القرطبيّ: "الغلوّ في الدّين: الإفراط فيه كما أفرطت اليهود والنّصارى في عيسى، غلوُّ اليهود في عيسى قولهم: ليس ولدُ رشدة، وغلوُّ النَّصارى قولهم: إنّه إلهٌ". وقال النووي:" المتعمِّقُون الغَالُون المُجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم". وقال ابن تيميّة:" نهى الشّارع عن الغلوّ والتّشديد نهيا عامّا في الاعتقادات والأعمال ". وقال ابن حجر:" لا يتعمَّق أحد في الأعمال الدِّينيَّة ويترك الرِّفق إلا عجز وانقطع فيغلب ".

ثانياً: فرقة الشيعة

- **تعريف فرقة الشيعة:**

الشِّيعة لغة: الأعوان والأنصار والأتباع.

أما الشيعة في الاصطلاح: هم من اعتقد أن علياً - رضي الله عنه - أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالإمامة، ولا تخرج من أولاده من بعده.

- **الشيعة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وحكمه فيهم:**

كانت الشِّيعة أوَّل ظهورها في عهد علي رضي الله عنه على ثلاثة أصناف:

١ - المُفضلِّة: أي الذين يفضِّلُون عليّاً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقد كان علي رضي الله عنه ينكر عليهم ويعلن أنَّ أفضل الأمَّة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقال: "لا أوتى برجلٍ يُفضِّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدَّ المفتري، ثمانين جلدة ".

٢ - السَّبَابَة: وهم الذين يبالغون في ذلك حتى أنهم يسبُّون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وحكم علي رضي الله عنه عليهم بالقتل، فقد بلغه ذلك عن بعض شيعته فطلبهم ليقتلهم ولكنهم هربوا.

٣ - الغلاة وهم الذين يُؤَلِّهونه أي يعتقدون أنَّه إلهٌ أو حلَّ فيه جزءٌ من الإله كما يعتقد النصارى في عيسى إنَّه إلهٌ ويبطنون الكفر، وحكَم عليٌ رضي الله عنه عليهم بإحراقهم في النَّار كما ثبت ذلك في صحيح البخاري.

- **مؤسس التشيع:**

يعتبر عبدالله بن سبأ مؤسس التَّشيع، وهو رجلٌ يهودي ماكرٌ أظهر الإسلام ليفسده ويهدمه، فكان هو رأس الفتنة التي ثارت على عثمان وأودت بحياته، كما كان هو وأتباعه مُثِيري الحرب يوم الجمل بعد الاتفاق على الصلح، وقد أظهر عبدالله بن سبأ الغلو في علي رضي الله عنه مِثْلَما أعلن بُولِس اليهودي الغلو في عيسى عليه السلام.

أسباب انتشار التشيع في بلاد فارس:

الفُرس أمَّة كثيرة فتح المسلمون بلادهم في عهد الفاروق عمر رضي الله عنه، ودخل طوائف منهم في دين الله أفواجاً، ونَبَغَ منهم قادة وعلماء كان لهم في الجهاد والعلم قدم راسخٌ وفضلٌ عظيمٌ، ولكنها مع ذلك وجدت في هذه الأمة بيئةٌ للكثير من الفرق الضَّالَّة، ولما نفى أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبدَالله ابن سبأ إلى المدائن، لم تؤثر هذه العقوبة في إزالة الخُبث اليهودي من نفسه، بل وجدها فُرصة عُظمى لنشر ضلالاته وسمومه في تلك النواحي، ووجد فيها تقبلاًّ وبيئة خَصبة ولذلك لأسباب منها:

١ - أنَّها بلاد أعجمية حديثة العهد بالإسلام، لم تتخلَّص نفوس عامتها من رواسب العقائد السَّابقة فهم قابلون لتَلَقُّف أيِّة دعوة والتَّحمس لها.

٢ - أن بعض أبناء فارس يحملون حقداً شديداً على الإسلام وأهله؛ لأنَّ الإسلام أسقط دولتهم وهدم حضارتهم وطمس ديانتهم المجوسية.

٣ - أنَّ طبيعة أهلها تقديس الأسر الحاكمة والغلو في الخضوع لها إلى حدِّ تأليهها، وهي أسر تتوارث الملك حتى أنَّه إذا لم يوجد في الأسرة إّلا امرأة اختاروها للملك، كما فعلوا حين ولّوا ابنة كسرى مع وجود رُسْتم وأمثاله.

واعتماداً على هذه الأركان الثلاثة: الجهل، والحقد، والغلو في التَّعظيم والتَّقديس، أسَّس ابن سبأ معظمَ عقائد هذه الفرقة.

- **أهم عقائد الشيعة:**

افترقت الشِّيعة على طوائف وفرق كثيرة وأكبر هذه الفرق هي الشيعة الإمامية الاثناعشرية، وإليها ينصرف الاسم عند الاطلاق إذا قيل الشِّيعة أو الرَّافضة، وأهم عقائدها:

١ - أنَّ الإمامة ركنٌ من أركان الدِّين ويجب على النبي صلى الله عليه وسلم أنْ يُعيِّن الخليفة من بعده.

٢ - أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم نصَّ على تعيين عليٍ رضي الله عنه إماماً وقد نزلت عليه بذلك آيات من القرآن، ولكنَّ الصَّحابة اتَّفقوا على كتم هذه الآيات والأحاديث وخالفوها، واغتصب أبو بكر

وعمر وعثمان رضي الله عنهم الخلافة وبذلك كفر الصَّحابة وخرجوا من الإسلام إلا عدداً قليلاً جداً.

٣ - أنَّ الأئمة (الإثني عشر) معصومون عن السَّهو والغفلة والخطأ والنسيان، ويَتَلَقون العلم من الله مباشرة ويعلمون ما كان وما سيكون، وتخضع لهم جميع ذرَّات الوجود ويعلمون متى يَمُوتون ولا يَمُوتون إلا باختيارهم.

٤ - أنَّ الأئمة اثنا عشراً إماماً وهم: علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي ويلقبونه بالمرتضى، رابع الخلفاء الرَّاشدين، وقد مات غِيلةً حينما أقدم الخارجي عبد الرحمن بن مَلْجَم على قتله في مسجد الكوفة في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ.

٢ - الحسن بن علي رضي الله عنهما، (٣ - ٥٠هـ) . ويلقبونه بالمُجْبتى

٣ - الحسين بن علي رضي الله عنهما (٤ - ٦١هـ) . ويلقبونه بالشَّهيد

٤ - علي بن الحسين (٣٨ - ٩٥ هـ) ويلقبونه زين العابدين والسَّجَّاد.

٥ - محمد بن علي بن الحسين (٥٧ - ١١٤هـ) ويلقبونه بالبَاقر.

٦ - جعفر بن محمد (٨٣ - ١٤٨هـ) ويلقبونه بالصَّادق.

٧ - موسى بن جعفر (١٢٨ - ١٨٣هـ) ويلقبونه بالكَاظم.

٨ - علي بن موسى (١٤٨ _ ٢٠٣هـ) ويلقبونه بالرِّضَى.

٩ - محمد بن علي (١٩٥ - ٢٢٠هـ) ويلقبونه بالجواد وبالتَّقي.

١٠_ علي بن محمد (٢١٢ - ٢٥٤هـ) ويلقبونه بالهادي وبالنَّقي.

١١ - الحسن بن علي (٢٣٢ - ٢٦٠هـ) ويلقبونه بالعسكري وبالزَّكي.

١٢ - محمد بن الحسن العسكري (٢٥٦هـ) الذي ليس له وجود حقيقي ويلقبونه بالمهدي وبالحُجَّة القائم وبالمنتظر.

ويزعمون بأنَّ الإمام الثاني عشر اختفى في السِّرداب بِسَامِراء سنة (٢٦١هـ) وسوف يخرج آخر الزمان ويحكم النَّاس بحكم داود، ويأمر بإحياء أعداء عليٍّ وأهله وأوَّلهم أبو بكر وعمر ثم سائر الصحابة والخلفاء وملوك المسلمين إلى زمن خروجه فيقتلهم جميعاً.

٥ - أنَّ القرآن فيه تحريفٌ ونقصٌ أحدثهما الصَّحابة فيه، والمصحف الكامل هو مصحف علي الذي ورثه الإمام الثاني عشر، ودخل به السِّرداب وهو ثلاثة أضعاف هذا القرآن وليس فيه من قرآنِ أهل السُنَّة حرفٌ واحدٌ.

٦ - اعتقاد أنَّ القرآن الكريم مخلوق.

٧ - إنكار الصِّفات والقَدَر، وبالجملة هم معتزلة في العقيدة، وينفردون بالقول بالبَداءَ.

٨ - الغَيْبَة: ويقصدون به إمام غاب عن العالم وعن الأنظار حتى يأذن الله له بالظهور ليملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما وجوراً، وتكون غيبته مصاحبة بإيمان من أتباعه أنه حي يرزق ويعيش بين الناس إلا أنه مخفي عن الأنظار، يرون أنَّ الزَّمان لا يخلو من حجة لله عقلاً وشرعًا، ويترتب على ذلك أنَّ الإمام الثاني عشر(محمد بن الحسن العسكري) قد غاب في سِرْدابه، كما زعموا، وأنَّ له غَيْبَة صغرى وغَيْبَة كبرى، وهذا من أساطيرهم.

٩ - الرَّجْعَة: يعتقدون أنَّ محمد بن الحسن العسكري سيعود في آخر الزمان عندما يأذن الله له بالخروج، وكان بعضهم يقف بعد صلاة المغرب بباب السِّرداب وقد قدموا مركبًا، فيهتفون باسمه، ويدعونه للخروج، حتى تشتبك النجوم، ثم ينصرفون ويرجئون الأمر إلى الليلة التالية.

١٠ - التَّقِيَة: هي أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن تديّنا؛ فينسبون الكذب والخداع لدين الله ظلما وعدواً، وهم يعدونها أصلاً من أصول الدين، ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصَّلاة، وهي واجبة لا يجوز رفعها حتى يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى وعن دين الإمامية، كما يستدلُون على ذلك بقوله تعالى:{إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}[آل عمران:٢٨] وينسبون إلى أبي جعفر الإمام الخامس قوله:" التَّقِيَة ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تَّقِيَة له"، وهم يَتَوسَّعون في مفهوم التَّقِيَة إلى حدٍ كبير.

١١ - المُتْعَة: هي الزواج المؤقت إلي أجل محدد ولا ميراث فيه للزوجة، ويرون بأنَّ مُتْعَة النساء خير العادات وأفضل القربات مستدلين على ذلك بقوله تعالى: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً}[النساء:٢٤]، وقد حرَّم الإسلام هذا الزواج الذي تشترط فيه مدة محدودة، فيما يشترط معظم أهل السُنَّة وجوب استحضار نية التَّأبيد، ولزواج المتعة آثار سلبية كثيرة على المجتمع تبرر تحريمه.

١٢ - البَراءة: وهي التبرَّؤ من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ويَنْعتونهم بأقبح الصِّفات؛ لأنَّهم حسب زعمهم اغتصبوا الخلافة دون عليّ رضي الله عنه الذي هو أحقُّ منهم بها، كما يبدؤون بلعن أبي بكر وعمر بدل التسمية في كل أمرٍ ذي بالٍ، وهم ينالون كذلك من كثير من الصَّحابة باللَّعن، ولا يتورعون عن النَّيل من أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

١٣ - المُغالاة: بعضهم غالى في شخصية عليٍّ رضي الله عنه والمُغَالُون من الشِّيعة رفعوه إلى مرتبة الألوهية كالسَّبئية.

١٤ - لا يعترف الشِّيعة بكتب السُنَّة المعروفة مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم، وإنما السُنَّة عندهم ما جاء عن طريق آل البيت فقط.

وتعتبر الشيعة وعقائدها مخالفة للكتاب والسنة وعقيدة الصحابة وجماعة المسلمين، وليس الشِّيعة جميعاً على مبدأٍ واحدٍ في غير دعوى التَّشيع، فمنهم الغُلاة الخارجون عن الملَّة بدون شكٍ، ومنهم من يَصْدق عليهم أنَّهم مبتدعون متفاوتون في ابتداعهم.

ثالثاً: فرقة المرجئة

تعريفها ومؤسسها:

الإرجاء في اللغة: يطلق على عدة معاني منها: التأخير وإعطاء الرجاء.

والإرجاء في الاصطلاح مأخوذ من معناه اللغوي، بمعنى: التَّأخير والإمهال وهو إِرجاء وتأخير العمل عن درجة الإيمان، وجعله في منزلةٌ ثانيةٍ بالنسبة للإيمان لا أنَّه جزءٌ منه.

والمرجئة: هم القائلون: الإيمان تصديق بالقلب، ونطق باللسان، والأعمال ليست من الإيمان، ومنهم من يقول: إن الإيمان هو مجرَّد النطق باللسان، وغلاتهم يقولون: هو تصديق بالقلب فقط، وإن لم ينطق بالشهادتين. وقالوا: لا يضرّ مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

- **مؤسس الإرجاء**

ذكر أهل العلمأن أن أول من تكلم في الإرجاء رجلٌ من أهل المدينة يقال له: الحسن بن محمد، بخصوص عليٍ وعثمان وطلحة والزبير، حينما خاض النَّاس فيهم وهو ساكتٌ ثم قال: قد سمعت مقالتكم ولم أر شيئاً أمثل من أنْ يُرْجأ عليٌ وعثمانُ وطلحةُ والزبيرُ، فلا يُتَولَّوا ولا يُتبرَّأ منهم، ولكنَّه ندم بعد ذلك على هذا الكلام وتمنى أنَّه مات قبل أنْ يقوله، فصار كلامه بعد ذلك طريقاً لنشأة القول بالإرجاء، وقد بلغ أباه محمد كلامُ الحسن فضربه بعصا فَشَجَّهُ، وقال: لا تتولّى أباك عليّاً؟ ولم يلتفت الذين تبنوا القول بالإرجاء إلى ندم الحسن بعد ذلك، فإنَّ كتابه عن الإرجاء انتشر بين النَّاس وصادف هوى في نفوس كثيرة فاعتنقوه.

ولكن ينبغي معرفة أنَّ إرجاء الحسن إنما هو في الحُكْم بالصَّواب أو الخطأ على من ذكرهم، ولم يتعلَّق إرجاؤه بالإيمان أم عدمه كما هو حال مذهب المرجئة أخيراً، وأما القول بالإرجاء على طريقة الغُلو فيه فأوَّل من قال به رجل يُسمَّى ذرُّ بن عبد الله الهمداني وهو تابعي، وقد ذمَّه علماء عصره من أهل السُنَّة.

- **عقائد المرجئة:**

تكاد فرق المرجئة تتَّفق في أصولها على مسائل هامة هي:

١_ تعريف الإيمان بأنه التَّصديق بالقول أو المعرفة أو الإقرار.

٢_ أنَّ العمل ليس داخلاً في حقيقة الإيمان، ولا هو جزءٌ منه، مع أنَّهم لا يغفلون منزلة العمل من الإيمان تماماً إلا عند الجهم ومن تبعه في غُلوه.

٣_ أنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأنَّ التَّصديق بالشَّيء والجزم به لا يدخله زيادة ولا نقصان.

٤_ أنَّ أصحاب المعاصي مؤمنون كاملوا الإيمان بكمال تصديقهم وأنَّهم حتماً لا يدخلون النَّار في الآخرة.

٥_ القول بأنَّ الإنسان يخلق فعله، وأنَّ الله لا يرى في الآخرة، وقد تأثَّروا في هذه الآراء بالمعتزلة.

٦ _ أنَّ الإمامة ليست واجبة، فإنْ كان ولا بدَّ فمن أيِّ جنس كان ولو كان غير قرشي، وقد تأثروا بهذا الرأي من الخوارج الذين كانوا ينادون به ولم يطبقوه.

٧_ من عقائد المرجئة الجهمية: أنَّ الكفر بالله هو الجهل به - وهو قول جهم -، وأنَّ الإيمان هو المعرفة بالله فقط وأنه لا يتبعض.

٨_ أنَّ الجنة والنَّار تَفْنَيان وتَبِيدان ويَفْنى أهلهما ولا خُلُود لأحدٍ فيهما.

٩_ اختلفوا في القول بخلق القرآن، فمنهم من قال: إنَّه مخلوقٌ، ومنهم من قال: غيرُ مخلوقٍ، ومنهم من توقَّف.

١٠_ اختلفوا في القول بالقَدَر فبعضهم نفى القَدَر وقال بأقوال المعتزلة، وبعضهم أثبته، واختلفوا في أسماء الله وصفاته، فبعضهم قال بأقوال عبد الله ابن كُلَّاب، ومنهم من قال بأقوال المعتزلة.

- **أقسام المرجئة:**

انقسمت المرجئة في اعتقاداتها إلى أقسامٍ كثيرةٍ وفرقٍ كثيرةٍ وأبرز تلك الفرق:

١ _ مرجئة الفقهاء: وهؤلاء أخَّروا العمل عن حقيقة الإيمان.

٢ _ مرجئة الجبرية: وهم الجهمية أتباع جهم بن صفوان، وهم الذين اكتفوا بالمعرفة القلبية وأنَّ المعاصي لا أثر لها في الإيمان، وأنَّ الإقرار والعمل ليس من الإيمان.

٣ _ مرجئة القَدَرية: الذين تزعَّمهم غَيْلان الدِّمشقي، وهم الغَيْلانيَّة.

٤ _ مرجئة خالصة: وهم فرق اختلف العلماء في عدِّهم لها.

٥ _ مرجئة الكرامية: أصحاب محمد بن كرَّام، وهم الذين يزعمون أنَّ الإيمان هو الإقرار والتَّصديق باللِّسان دون القلب.

٦ _ مرجئة الخوارج: الشَّبيبية وبعض فرق الصّفرِيَة الذين توقَّفوا في حكم مرتكب الكبيرة.

- **حكم عقائد المرجئة:**

مذهب المرجئة المتأخرين الذين أخرجوا العمل من مسمى الإيمان مذهبٌ رديءٌ وخطيرٌ، يُهوِّن المعصية، ويدعو إلى الكسل والخُمُول، ولذا تجد السَّلف يُحذِّرون منه كثيراً ويَذمُّونه لما اشتمل عليه من فَسَادٍ وإخْمالٍ لشُعْلة الإيمان في القلوب، وتَمييع لمنزلة العمل في النُّفوس، فهذا مذهب مخالف لنصوص الوحيين وعقيدة الصحابة والسلف رضوان الله عليهم.

قال إبراهيم النخعي: الإرجاء بدعة. وقال الزهري: ما ابتدعت في الإسلام بدعة هي أَضرُّ على أهله من الإرجاء. وقال الأوزاعي: كان يحيى بن أبي كَثير وقتادة يقولان: ليس شيءٌ من الأهواء أخوف عندهم على الأمَّة من الإرجاء.

- **صور من الإرجاء المعاصر:**

١. من المفاهيم الإرجائية هو تعريف الإيمان في الاصطلاح بأنَّه التَّصديق فقط؛ وهذا مخالف للصواب، فليس الإيمان تصديق بالقلب فقط بل الإيمان قولٌ وعملُ، يزيد وينقص، وعلى ذلك أجمع الصحابة والسَّلف، وهو مذهب أهل السُنَّة والجماعة موافق للكتاب والسنة.

٢. ومِن الصور أيضًا: التهوينُ من الالْتِزام بأحكام الشَّرْع الظاهِرَة بحُجَّة أنَّ الإيمانَ في القلب، فقدْ وُجِدَ في الأمَّة مَن يرى أنَّ الالتزام بالأحكام الظَّاهرة ليس معيارًا للصَّلاح، وأنَّ الباطِنَ هو المهِمُّ بحُجَّة أنَّ الإيمانَ في القلب، وهذا مردود ومجانب للصواب، ويُرَدُّ على مِثْل هذا بِقَوْل الحسن البصريِّ: "ليس الإيمانُ بالتحلِّي ولا بالتمَنِّي، ولكنَّه ما وقَرَ في القلوبِ وصَدَّقَتْه الأعمالُ". فلا يمكن أن يكون الإيمان بدون عمل ولا التزام بشرع الله تعالى وأحكامه.

٣. ومِن الصور أيضًا: أن المتلوثين بفكر الإرجاء يَرَوْنَ أنَّ الأعمالَ لَيْسَتْ داخلة في حقيقة الإيمان، ويرَون أنَّ المُسْلِمَ لا يَكْفُرُ مهما فعل من المعاصي والذنوب والمحرمات، وإنْ تَرَكَ الفرائِضَ من صلاةٍ وصَوْمٍ وزكاةٍ، وفَعَلَ المحارِمَ مِنْ زِنًا وشُرْبِ خَمْر، فلا يَكْفُر بذلك، فكلُّها آثامٌ ومَعاصٍ وذنوبٌ يُتَوَعَّدُ عليها بالنار، ولا يَخْفَى خُطورةُ مثلِ هذا القولِ على المجتَمَعِ المُسْلِم؛ إذ يَكتفي مَنْ في قَلْبِه مَرَضٌ بأنْ يَقولَ إنَّه مُسْلِمٌ، ثم يتركُ الفرائضَ، فلا يُصَلِّي ولا يصوم ولا يَحُجُّ، هذا فضلًا عن ارتكابِه للمحَرَّمات، وحَسْبُك فسادًا بهذا القول أنَّه يؤدِّي إلى الاستهانة بالفرائض والواجبات، والجُرْأة على المحرَّمات، وهذا مخالِفٌ لإجماعِ السَّلَف على أن العمل ركن في الإيمان.

٤. ومن الصور كذلك: التَّهوينُ مِن شأنِ عَدَمِ تحكيمِ الشريعة، وأنَّ هذا ناتِجٌ عن إخراج العمل من حقيقة الإيمان ومسماها، وحَصْر الكُفْر في القلبِ فقط!، وبناءً عليه عند مَنْ تأثَّر بفكر الإرجاء فالحُكْم بغير ما أنزل الله بكلِّ صُوَرِهِ ما دام صاحِبُه غَيْرَ جاحدٍ لوجوبه، فهو كُفْرٌ أصغرُ وليس كُفْراً أكبر، وهذا بلا شَكٍّ من آثار الفكر الإرجائيِّ الذي يقلل من قيمة أحكام الشريعة الإسلامية؛ وهذا خطأ بين، وزللٌ عظيم، كون الحكم بما أنزل الله تعالى في كل صغيرة وكبيرة بين الناس واجبٌ بنصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة.

٥. لقد جاءت نصوص في القرآن الكريم والنسة النبوية صريحة في أن اليهود والنصارى ضالين ومغضوب عليهم وأنهم كفار، ومثلهم والوثني، والبُوذي، والشيوعي، وغيرهم من الكفار الأصليِّين، أو المسلم الذي ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام؛ بأنْ صَرَف شيئاً من العبادة لغير الله

وعبد غير الله تعالى، أو أنكر معلوماً من الدِّين بالضرورة، أو سبَّ الله ورسوله، إلا أن المتأثرين بالفكر الإرجائي من المعاصرين لايكفرون من كفرهم الله ورسوله من اليهود والنصارى ومن على شاكلتهم، بل ويتساهلون في ذلك، ويَرون أن من كفر اليهود والنصارى ومن سار على شاكلتهم أنه تكفيرون ومتطرفون متشددون، وقد قال ابن تيمية:" اليهود والنصارى كفَّار كفراً معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام".

- **الآثار السيئة للإرجاء المعاصر**

١ - التشجيع على التفلت من التكاليف الشرعية – فمتى شاع أن من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن، ولو لم يعمل عملاً واحداً من أعمال الإسلام، فلماذا يُتعب بعض الكسالى وضعاف الإيمان أنفسهم، وقد وجدوا مستساغا لكسلهم وتفريطهم، وبخاصة أن فكر الإرجاء لا يُطلق على هؤلاء أي وصف يبغضهم في المعصية من نحو الفسق، بل يستوي هؤلاء والعاملون بدينهم في مسمى الإيمان والاتصاف به.

٢ - يُساعد فكر الإرجاء على نشوء جو النفاق، فحسب الكافر أن يتلفظ بشهادة التوحيد مرة في عمره، ويكتسب بذلك لقب الإيمان، ويفعل في مجتمعات المسلمين ما لا يتمكن من فعله لو احتل بلادهم مع كفره.

٥ - الفكر الإرجائي يعطل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعزز مقولة الشيوعيين ممن ينتسبون إلى الإسلام: لا تسمح لأحد أن يتدخل بينك وبين ربك، فإذا حدثت أحداً عن الصلاة مثلا، وسألته: كيف حالك في الصلاة، رد عليك بأن هذه علاقة بينه وبين ربه، ولا يسمح لك بالتدخل بينه وبين الله!

٦ - الفكر الإرجائي يفرغ القلب من الخوف من الله، وَلَا يَصُدُّ عَنْ نَارِ الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف، وقد ذكر الله الخوف الذي يحمل على الاستقامة في كتابه، فقال : {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرحمن: ٤٦].

٧ - تسويف التوبة، أو عدم التفكير فيها أصلا، وذلك يؤدي إلى تكرار الذنب بعد الذنب حتى يعلو القلبَ الرانُ، وتضيع فرصة التوبة.

٨ - اتهام المصلحين والناصحين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بأنهم تكفيريون متطرفون! فيُصبح تكفير اليهود والنصارى والمرتدين جريمة.

٩ - هذا المذهب يخدم الاستبداد السياسي، فإنه إذا كان لا يجوز الخروج على الحاكم إلا بالكفر البواح، فإن الإرجاء يجعل الحاكم المستبد مهما استبد وظلم وطغى وبدل في دين الله ، يجعله في

أمان من الكفر بدعوى عدم الاستحلال؛ ولذلك قال النضر بن شميل: " الإرجاء: دين يوافق الملوك، يصيبون به من دنياهم، وينقصون من دينهم".

رابعاً: فرقة أهل علم الكلام

- **مقدمة:**

بعث الله نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى والنُّور وأنزل عليه الكتاب والحكمة، فبيَّن للنَّاس طريق الحقِّ والرَّشاد في الأحكام والاعتقاد أصول الدِّين وفروعه، فليس ضلالة ولا شبهة إلا وفي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يَدحضُها ويبطلها، ولكن بعض المنتسبين للإسلام ضَلُوا السَّبيل والتمسوا الحق من غير طريقه ولم يقنع بما جاء في الكتاب والسُنَّة، فلقيت رَوَاسب الفلسفة اليونانية روَاجاً عند المبتدعة مثل الجَعد بن دِرْهَم مؤسِّس الجهمية، وواصل بن عَطاء مؤسِّس الاعتزال، ثم ظهرت المعتزلة فتوسَّعوا في نقل الفلسفة اليونانية وترجموا كتبهم في عصر المأمون، فأعرضوا عن منهج الكتاب والسُنَّة في عرض العقيدة والاستدلال عليها والدِّفاع عنها ووضعوا قواعد ما سمِّي بـ(علم الكلام).

- **تعريف أهل علم الكلام والغرض منه:**

أهل علم الكلام: هم الذين يثبتون العقائد والدِّفاع عنها بالعقل والرَّأي، وأعرضوا عن أدلة ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، ويدخل فيهم كثير من الطوائف كالجهمية أتباع الجهم بن صفوان، والمعتزلة أتباع عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وغيرهم.

- **غرض المتكليمن من علم الكلام:**

تعلَّم أهلُ الكلام فلسفةَ اليونان ومنطقهم واستخدموا أساليبهم في المناظرة والجدل، زاعمين أنَّ ذلك هو الأسلوب الصحيح في رد شبهات الملاحدة وإقناع الجاحدين، والحقُّ أنَّ بعضهم -كان غرضه كذلك بغضِّ النَّظر عن صحة العمل والأسلوب إلا أن بعضهم كان مُلْحِداً جاحداً لكنه تستَّر بهذا العلم لإثارة الشُّبهات وزَعزَعة العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين.

- **حكم علم الكلام:**

علم الكلام علمٌ بدعِيٌ لا يجوز الخوض فيه إلا بغرض إبطاله، لمخالفته الصَّريحة لمنهج الكتاب والسُنَّة في عرض العقيدة والدِّفاع عنها، وقد اتَّفق أئمة الإسلام مثل أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وابن المبارك والبخاري وغيرهم كثير على هَجْر أهل الكلام ومقاطعتهم وتحذير النَّاس منهم.

- **أسباب الإنكار على أهل الكلام ومنهجهم:**

١ - أنَّ العقيدة إنما تثبت بالوحي (الكتاب والسُنَّة) لا بعقول المخلوقين وآرائهم ودين الإسلام إنما يقوم على الاتِّباع والاستسلام.

٢ - أنَّ الوحي مصدرٌ معلومٌ معصومٌ أمَّا العقول فهي مع جَهْلِها وقُصُورها عن معرفة حقائق الغيب مختلفة متناقضة، ولهذا لا يكاد الفلاسفة والمتكلمون يتَّفقون على شيءٍ إلا ما هو متَّفق عليه بين جميع بني آدم الذين لا يعرفون فلسفة ولا كلاماً.

٣ - أنَّ الكتاب والسُنَّة يشتملان على الحجج والبراهين التي ليس بعدها حُجَّة ولا برهان، وأكثر العقول قوَّة وكمالاً هي أكثرها فهماً لتلك الحجج والبراهين واستنباطاً منها، وليس دين الإسلام مجرَّد أخبارٍ مرويَّة لا برهان فيها يتناقلها النَّاس على سبيل التَّقليد كما يظن المتكلِّمون.

- **أثر علم الكلام على الأمة الإسلامية:**

١ - إخضاع عَالَم الغيب لعَالَم الشَّهادة، فالمتكلِّمون يتحدَّثون عن الله تعالى واليوم الآخر وسائر المغيّبات مستخدمين المصطلحات والمعايير التي وضعوها للأمور المشاهدة مثل (الجَوهَر - العَرَض - الكَمِّيَة - الكيفيّة - الحَدوث - التَغير).

٢ - إثارة الشُّكوك والرّيب في أمورٍ قطعيَّة يجب الإيمان والتَّسليم بها بلا اعتراضٍ ولا مناقشةٍ، مثل قضية إثبات وجود الله تعالى، وكون العالم مخلوقاً.

٣ - افتعال التَّعارض بين العقل الصَّريح والنَّقل الصَّحيح، مثل تكذيب الأحاديث المتَّفق على صحَّتها بدعوى مخالفتها للعقل، وأحياناً يذكرون أحاديث موضوعة ويقولون هذا مما ورد به السَّمع وإنْ خالف العقل.

٤ - تحويل الفائدة الإيمانية إلى قضايا عقلية جافَّة وجدلٍ فارغٍ طويلٍ لا أثر له في الإيمان ولا الأخلاق.

٥ - فتح الباب للملاحدة والحاقدين للطعن في الإسلام، وذلك لأنَّ المتكلِّمين يزعمون أنَّ الإسلام هو ما قرَّروه وأثبتوه من القضايا، فإذا رأى الملاحدة ضعفها وخطأها واستطاعوا نقدها تَوجَّه هذا الخطأ والنَّقد إلى الإسلام نفسه.

٦ - تفريق الأمَّة وفتح باب الخصومة بين المسلمين في أمور ما أنزل الله بها من سلطان، ولا تعبد النَّاس بمعرفتها فكلُّ طائفةٍ من المتكلِّمين تُكفِّر الأخرى بل ربما كَفَّر التَّلميذ شيخه وكَفَّر الابن أباه.

خامساً: فرقة المعتزلة

تعريف المعتزلة:

المعتزلة: هي اسمٌ يطلقُ على فِرقةٍ ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلَكت منهجاً عقلياً متطرِّفاً في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغَزَّال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وكان أول من أسس فكرة الاعتزال.

أصول المعتزلة الخمسة:

تستند المعتزلة في عقيدتهم على خمسة أصول تشكل محور عقيدتهم واهتماماتهم وهي:

١ -التوحيد: ويعنون به نفي جميع صفات الله تعالى، حيث أصبح التوحيد عند المعتزلة مصطلحًا حولوا به العقيدة النابضة بالحياة إلى نظريات يدور حولها النقاش وتختلف عليها وجهات النظر بين أخذ ورد، وهذه عقيدة باطلة بنصوص القرآن الكريم المليء بإثبات صفات الله تعالى وأسمائه، فعن صفة العلم نقرأ قوله تعالى: (وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) [طه، الآية:٧] وقوله سبحانه:(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ❖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ) [الرعد، الآية: ٨، ٩]. وتَفردُّه - عز وجل - بالألوهية: (قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [الأنبياء، الآية: ١٠٨] وعن صفة القدرة نقرأ قوله سبحانه: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الحج، الآية: ٦] .

٢ - العدل: ويعنون به نفي قدرة الله تعالى على خلق أفعال العباد وما يصدر عنهم من التصرفات والسلوكيات، وقالوا أن العباد هم الذين خلقوا أفعالهم سواء كانت خيراً أو شراً، وهذا باطل لأن الله تعالى هو الذي خلق أفعال العباد وجعل لهم مشيئة وإرادة تابعة لمشئيته وإرادته سبحانه.

٣ -المنزلة بين المنزلتين: يقصدون بها نفي وصف الإيمان عن عصاة أهل المسلمين، وأن مرتكب الكبيرة إذا مات لا كافر و لا مؤمن في الدنيا، فلا يحكموا بإسلامه لأجل هذه الكبائر، ولا يحكموا عليه بالكفر؛ فيجعلون له منزلة بين الكفر والاسلام في الدنيا، فالفاسق في الدنيا لا يسمى مؤمناً بوجه من الوجوه، ولا يسمى كافراً بل هو في منزلة بين هاتين المنزلتين، فإن تاب رجع إلى إيمانه، وإن مات مصراً على فسقه كان من المخلدين في عذاب جهنم.

والصحيح عند أهل السنة أن حكم مرتكب الكبيرة و العاصي في الشرع غير خارج من الملة بفسقه بل هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، ولم تخرجه النصوص عن الإيمان لا في كتاب الله ولا في سنة نبيه، ولا في إجماع الأمة.

٤ - الوعد والوعيد: ويقصدون به أن الله تعالى يجب أن ينفذ الوعيد في الآخرة في تحقيق العقوبة لمرتكبي الكبيرة وعصاة الموحدين بأن يدخلوا النار، وأن لا يقبل فيهم شفاعة، ولا يخرج أحداً منهم من النار، فهم مخلدون في نار جهنم، والمراد منه تكفير مرتكب الكبيرة وأنهم خارجون عن الملة، وهذا تعالي على الله سبحانه وفرض عليه ما لم يفرضه على نفسه سبحانه.

وعلى هذا يعتقدون أنه يجب على الله تعالى إثابة المطيع ومعاقبة العاصي إن لم يتب، وخلطوا بين الوعد(وهو إثابة المطيعين) والوعيد(وهو التهديد بعقاب المذنبين)، بينما يعتقد أهل السنة أنه يجوز على الله تعالى إخلاف الوعيد(التهديد) لا إخلاف (الوعد) والفرق بينهما واضح، حيث إن الوعيد حق لله تعالى فخلافه عفو وهبة، وإسقاط ذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه والوعد على نفسه بوعده، والله لا يخلف الميعاد، ويعتقد أهل السنة والجماعة أنه من موانع وقوع الوعيد التوبة والتوحيد والحسنات العظيمة والمصائب المكفرة وإقامة الحدود في الدنيا.

٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: المراد منه عندهم وجوب الخروج عن السلطان الجائر عند القدرة على ذلك وغلبة الظن بحصول الغلبة وإزالة المنكر، وقتالهم لمجرد فسقهم، وحمل السلاح في وجوه المخالفين لهم سواء كانوا من الكفار أو من أصحاب المعاصي من أهل القبلة.

والصحيح أن جور السلطان وارتكابه المعاصي لا يوجب الخروج عليه لما يترتب على ذلك من المفاسد ومن سفك الدماء وتفريق كلمة الأمة، فإن الإسلام لا يبيح الخروج عليه إلا عندما يظهر الكفر منه صراحة.

وأما حمل السلاح في وجوه المخالفين لهم من أهل القبلة فلا دليل لهم على ذلك، ولا يجوز أن يستحل دم المسلم إلا بما حدده الشرع، وصاحب الكبيرة ليس بكافر، فلا يجوز قتاله واستحلال دمه ولم يأمر الشرع بذلك، فيجب على المسلم الالتزام وترك تنطع الخوارج والمعتزلة.

فهذه هي أصول المعتزلة الخمسة التي اتفقوا عليها، وهناك عقائد أخرى للمعتزلة منها ما هو محل اتفاق بينهم، ومنها ما اختلفوا فيه، فمن تلك العقائد:

- أنكروا رؤية الله عز وجل في الآخرة.
- قالوا بأن القرآن مخلوق.
- ونفوا علو الله سبحانه على عرشه.
- ونفوا شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته.
- ونفوا كرامات الأولياء.

سادساً: فرقة الزيدية

تعريفها:

الزيديَّة: هم أتباعُ زيد بن علي بن الحسين، إحدى فرق الشِّيعة، يقولون بتفضيل علي على سائر الصَّحابة، وبخلود أصحاب الكبائر في النّار، وبالخروج على أئمة الجور، وهم فرق متعددة.

مؤسسها:

ترجع الزيدية إلى مؤسِّسها زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهما، الذي صَاغ نظريَّة شيعيَّة في السِّياسة والحكم، وقد جاهد من أجلها وقتل في سبيلها، وكان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً، ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصَّحابة ومن مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل. وزيد بن علي؛ لما كان مذهبه هذا المذهب، أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم. فتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء الغزال الألثغ رأس المعتزلة ورئيسهم، فاقتبس منه الاعتزال، وصارت أصحابه كلهم معتزلة.

أقسام الزيدية:

خرجت عن الزيدية ثلاثُ فرقٍ طعن بعضها في الشَّيخين، كما مال بعضها عن القول بإمامة المفضول، وهذه الفرق هي: ١ – الجَارُوديّة: أصحاب أبي الجَارود زياد بن المنذر الهمداني. ٢ – الجريرية أصحاب سليمان بن جرير، وقد تسمى السليمانية. ٣ – وتعتبر الصالحية المنسوبة للحسن بن صالح بن حي والبترية المنسوبة للأبتر وهو كثير النوى فرقة واحدة ، ويذكر أن كل فرق الزيدية باستثناء الجارودية انتهت ولم يعد لها وجود.

أهم عقائد الزيدية:

١ – جعلوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة، أن يكون إماماً واجب الطاعة، كان من أولاد الحسن، أو من أولاد الحسين رضي الله عنهما.

٢ – إمامة علي والحسن والحسين عندهم بالنص الخفي وما سواهما ليست بالنص إذ لا يشترط فيها أنْ يَنُصَّ الإمام السَّابق على الإمام اللَّاحق، بمعنى أنها ليست وراثية بل تقوم على البيعة، فمن كان من أولاد فاطمة وفيه شروط الإمامة كان أهلاً لها.

٣ – كان الإمام زيد رحمه الله يقول بإمامة المفضول على الفاضل، أما الجارودية الذين هم بقايا الزيدية فلا يقولون بهذا القول، ولا يرون صحة إمامة من سبق علياً، ولما سقطت الدولة الزيدية في اليمن عام ١٩٦٢م، وتحت الضغوط السياسية بدأ بعضهم يترضى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

٤ – يميلون إلى الاعتزال فيما يتعلَّق بذات الله، والاختيار في الأعمال، ومرتكب الكبيرة يعتبرونه في منزلة بين المنزلتين كما تقول المعتزلة، يخالفون الشَّيعة في زواج المُتعة ويستنكرونه، يتَّفقون مع الشِّيعة في زكاة الخُمس وفي جواز التُّقْيّة إذا لزم الأمر.

٥ - لا يقولون بعصمة الأئمة عن الخطأ، كما لا يغالون في رفع أئمتهم على غِرار ما تفعله معظم فرق الشِّيعة الأخرى، ولا يوجد عندهم مهديٌ منتظرٌ.

٦ -يستنكرون نظرية البَداءَ التي قال بها المختار الثّقَفي، حيث إنَّ الزيديّة تقرَّر أنَّ علم الله أزليٌ قديمٌ غير متغيرٍ وكلُّ شيءٍ مكتوبٌ في اللَّوح المحفوظ.

وعلى كل فالزيدية الزيدية تأثرت في عقائدها بالمعتزلة، وعليه فعقائدهم باطلة مخالفة لنُصوص الكتاب والسُنَّة، كما سبق الحديث عن المعتزلة، وزادت الزيدية على المعتزلة بقولهم بالإمامة وأنَّها محصورة في أولاد فاطمة، وهذا مخالف لعقيدة أهل السُنَّة والجماعة، التي تَنصُّ على أنَّ الأئمة من قريش كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم.

سابعاً: فرقة الصوفية

تعريفها:

الصوفية: هي حركةٌ دينيةٌ انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري، كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزُّهد وشدّة العبادة كردٍّ فعلٍ مضادٍ للانغماس في التّرف الحضاري، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طُرُق مميزة معروفة باسم الصُّوفية، وازدادت بعض تلك الطرُق بُعداً عن الحق وغُلواً حتى قال بعضهم بالحلول والاتِّحاد، وقالوا بترك الواجبات وعمل المحرَّمات تعبداً.

من أسباب انتشار التصوف:

١. الثورات الباطنية وسيطرة الحكومات الرَّافضية، التي أرهقت الأمة الإسلامية، فتعرَّض علماء السُنَّة للأذى من دُول الرَّفض، في حين كانت الصُّوفية تنهش في الطَّبقات الدُّنيا من النَّاس.

٢. تدفق الحملات الصَّليبية على الشَّرق الإسلامي، فتكاثر أهل الباطل ونشطت سائر أحزابه على كلِّ صعيد، ومنهم الصُّوفية التي استغلت ذلك الانشغال بنشر مفاهيمها وثقافتها.

٣. انتشار علم الكلام بما فيه من جَفَافٍ وتعقيدٍ وتحكيمٍ للعقل والرَّأي والبحث المجرَّد، ساهم ذلك في انتشار التصوف من غير قصد، حيث وجد النَّاس في التَّصوف الخالي من التَّعقيد الفلسفي والمعتمد على الكَشف والأحلام والإلهامات مَلجأً ومَهرباً من علم الكلام وأهله.

٤. ضعف العلم الشَّرعي في أوساط الأمَّة الإسلامية، واتجاه صنف منها نحو العبادة وترك الدنيا، فبدأ مصباح العلم يخفت ضوؤه شيئاً فشيئاً حتى غلب الجهل وانتشرت البدع والخرافات ومنها بدع الصُّوفية.

مدارس الصوفية:

- المدرسة الأولى: الزهاد

ويتَّصف رجالات هذه المدرسة بالزُّهد والصِّدق المبالغ فيه إلى حدِّ الوسواس، والاهتمام بالوعظ والقصص مع قلَّة العلم والفقه في الدين، واتخاذُ دورٍ للعبادة غير المساجد يلتقون فيها للاستماع لقصائد الزُّهد ومدح النبي صلى الله عليه وسلم، ويغلب على أكثرهم الاستقامة في العقيدة، والإكثار من دعاوي التزام السنة، وإن كان قد ورد عن بعضهم مثل الجنيد بعض العبارات التي عدَّها العلماء من الشَّطحات، وهو من أشهر رموز هذه المدرسة إضافة إلى سليمان الداراني وسهل بن عبد الله التستري ومعروف والكرخي، وعبد الرحمن السلمي وأبي يعلى البصري، وفي هذه المدرسة ظهرت ادعاءات الكشف والخوارق وبعض العادات والمقولات التي عرفت عند أهل الكلام، ولهم مصنفات كثيرة منها: (قوت القلوب) لأبي طالب المكيّ، وكتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني وكتب الحارث المحاسبي، وتشمل هذه الكتب على كثير من الأحاديث الموضوعة والمنكرة والإسرائيليات.

- المدرسة الثانية: الحلول والاتحاد:

ويتصف المنتمون إلى هذه المدرسة بالخلط بين الزهد والعبارات الباطنية، فصار الزهد عندهم مجرد كلام نظري تأملي ليس له حظ من التطبيق العملي السلوكي، وظهر في كلامهم مصطلحات شاذة وغريبة لم تكن معروفة قبل ذلك مثل: الوحدة، الفَنَاء، الاتِّحاد، الحُلول، السُّكر، الصَّحو، الكَشْف، البَقَاء، المُريد... ومن أهم أعلام هذه المدرسة أبو يزيد البسطامي، وذو النون المصري، وأبو سعيد الخزّار، وكذلك أبو بكر الشبلي.

- المدرسة الثالثة: وحدة الوجود:

ويتصف أصحاب هذه المدرسة بالخلط بين التصوف وبين الفلسفة اليونانية، فظهرت بسبب ذلك أفكار وعقائد منحرفة مثل: الحلول والاتحاد، ومعناه: اعتقاد أن الخالق اتَّحد مع المخلوق وحلَّ فيه – عياذًا بالله – ، وكذلك القول بوحدة الوجود، أي: أنَّ الموجود الحق هو الله، وهذه الأقوال توافق تمامًا ما تقوله الفلاسفة الملاحدة، ومن أشهر رموز هذه المدرسة الحلاّج، والسَّرهوردي، وابن عربي، وابن الفارط، وابن سبعين.

أشهر الطرق الصوفية:

١. الطريقة القادرية، المنسوبة لعبد القادر الجيلاني، المتوفى سنة ٥٦١هـ، وقد رزق بتسعة وأربعين ولداً، حمل أحد عشر منهم تعاليمه ونشروها في العالم الإسلامي.
٢. الطريقة الرفاعية، المنسوبة لأبي العباس أحمد بن أبي الحسين الرفاعي ت٥٤٠هـ، ويطلق عليها البطائحية نسبةً إلى مكان ولاية بالقرب من قرى البطائح بالعراق، وينسج حوله كُتَّاب الصوفية كدَأْبهم مع من ينتسبون إليهم الأساطير والخرافات، بل ويرفعونه إلى مقام الربوبية.

٣. الطريقة السَّهرورديَّة نسبة للسَّهروردي شهاب الدين أبو الفتوح محيي الدين بن حسن ٥٤٩ - ٥٨٧هـ، صاحب مدرسة الإشراق الفلسفية، التي أساسها الجمع بين آراء مستمدة من ديانات الفرس القديمة ومذاهبها في ثنائية الوجود وبين الفلسفة اليونانية في صورتها الأفلاطونية الحديثة ومذهبها في الفيض أو الظهور المستمر.

عقائد الصوفية:

تختلف العقيدة الصوفية عن عقيدة الكتاب والسنة في أمور عديدة، من أهمها:

- مصدر التلقي والمعرفة الدينية، ففي الإسلام لا تثبت عقيدة إلا بقرآن وسنة، لكن في التصوف تثبت العقيدة بالإلهام والرؤى والوحي المزعوم للأولياء، والاتصال بالجن الذين يسمونهم الروحانيين، وبعروج الروح إلى السماوات، وبالفناء في الله، والكشف.
- يعتقد المتصوفة في الله عقائد شتى، منها: الحلول، الذي يعني أن يكون الصوفي إلهاً ورباً يعلم الغيب كله كما يعلمه الله - سبحانه وتعالى -، وتؤمن الصوفية أيضاً بعقيدة: وحدة الوجود، التي تعني أنه ليس هناك موجود إلا الله - سبحانه وتعالى - فليس غيره في الكون وأن ما على الكون والأرض هو الله تعالى.
- يعتقد الصوفية في الرسول - صلى الله عليه وسلم - عقائد شتى، فمنهم: من يزعم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يصل إلى مرتبتهم وحالهم، وأنه كان جاهلاً بعلوم رجال التصوف، كما قال البسطامي: "خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله"، ومنهم: من يعظم الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى درجة الوصول إلى الألوهية.
- تعتقد الصوفية في الأولياء بأن لهم القدرة على إنزال المطر وشفاء الأمراض وأحياء الموتى وحفظ العالم من الدمار.
- تعتقد الصوفية أن طلب الجنة والفرار من النار ليس هدفاً، فالله يعبد لذاته، ويعتقدون أن طلب الجنة منقصة عظيمة وأنه لا يجوز للولي أن يسعى إليها ولا أن يطلبها ومن طلبها فهو ناقص، وإنما الطلب عندهم والرغبة في الفناء —المزعوم - في الله...، وأما النار فإن الصوفية يعتقدون أيضاً أن الفرار منها لا يليق بالصوفي الكامل، لأن الخوف منها طبع العبيد وليس الأحرار، وهذه ولاشك عقيدة غير صحيحة ومخالفة لعقيدة الكتاب والسنة.
- تعتقد الصوفية في العبادات أن الصلاة والصوم والحج والزكاة عبادات العوام، وأما هم فيسمون أنفسهم الخاصة، ولذلك فعباداتهم مخصوصة ليست مثل عبادة العوام وإن تشابهت ظاهراً.

- تعتقد الصوفية أهل وحدة الوجود في الحلال والحرام أنه لا شيء يحرم عندهم، فالحشيش والخمر واختلاط النساء بالرجال في الموالد وحلقات الذكر كل ذلك لا يهم؛ لأن الله تعالى قد أسقط عنهم التكاليف وأحل لهم كل ما حرم على غيرهم.
- منهج الصوفية في الحكم والسياسة والحروب، أنه لا يجوز مقاومة الشر ومغالبة السلاطين؛ كون العباد يتصرفون وفق إرادة الله تعالى ومراده.
- تستخدم الصوفية في التربية منهجاً خطيراً، يقوم على الاستحواذ على عقول الناس وإلغائها، وإدخالهم في طريق متدرج يبدأ بالتأنيس ثم بالتهويل والتعظيم بشأن التصوف ورجاله والتقديس لهم، ثم بالتلبيس على الشخص، ثم الدخول إلى علوم التصوف شيئاً فشيئاً، ثم بالربط بالطريقة وسد جميع الطرق بعد ذلك للخروج.
- ترى الصوفية في قصة الخضر عليه السلام ومعانيها وأهدافها مصدراً للوحي والإلهام والعقائد والتشريع، ونسبوا طائفة كبيرة من علومهم التي ابتدعوها إلى الخضر عليه السلام.
- الأذكار في الشرعية الإسلامية حظيت بالبيان والتوضيح، فلم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم مجالاً من مجالات الذكر إلا وبين الصيغة التي يتعين على المسلم ذكرها، ولكن الصوفية خرقوا كل الضوابط والثوابت الشرعية، فشرعوا من عندهم أذكاراً وصلوات لم ترد في الشريعة الإسلامية، وخير مثال قولهم: "الله الله الله"، أو مضمراً بقولهم: "هو هو هو"، وبعضهم فسر ذلك بقوله: "أخشى أن تقبض روحي وأنا أقول لا إله....."، إلى غير ذلك من الخزعبلات التي ليس لها سند شرعي.
- تعبد الصوفية الله تعالى بعبادة الغناء والتأثر بها، حيث يتفشى عندهم ما يسمى بالسماع والتغني بالأشعار مع دق الطبول، ويقصد به عبادة الله تعالى.
- تعتقد الصوفية بالرجعة، وتتمثل بإمكانية مقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته يقظة، وأنه صلى الله عليه وسلم يحضر بعض اجتماعات الصوفية، وأنه مازال يعطي بعض المعارف والتشريعات لمن يشاء من العباد، ويوغل المتصوفة كثيراً في تقديس الأموات، وهذا يتضح من خلال تقديس المشاهد والبناء على القبور وتجصيصها واتخاذها مساجد.
- تعتمد الصوفية في كرامات الأولياء وخوارق العادات على الجن في كثير من خوارقهم.

أثر التصوف في الأمة الإسلامية:

للتَّصوف آثاره العظيمة في عقيدة الأمَّة الإسلامية وحياتها عامَّة ومن أهم هذه الآثار:

١ - إفساد توحيد العبادة بما أحدثته الصُّوفية من الشِّرك وعبادة الموتى.

٢ - إفساد توحيد الرُّبوبية وتوحيد الأسماء والصفات بعقائد الحلول والاتِّحاد وتمثيل الله بخلقه، ومن ذلك ما اشتهر عن كبارهم من شَطَحات مثل: (أنا الحق) و(سبحاني سبحاني).

٣ - تمزيق الأمَّة الإسلامية وبعثرة انتمائها، فالصُّوفية طرقٌ كثيرةٌ متناقضةٌ ينتسب إليها كثير من المسلمين مثل القادريَّة والرِّفاعيَّة والتِّيجانيَّة والشَّاذليَّة والنَقشْبَنديَّة، ولكلِّ طريقة أحزابٌ وأورادٌ وتعبُّداتٌ وصلواتٌ نبويّة خاصَّة.

٤ - ترك الجهاد بل ترك الأعمال عامَّة، فللصُّوفية أثرٌ عظيم في هذا وللّصوفية تعاون مع التَّتار في دخول بغداد قديماً، ومع المستعمرين الأوربيين في العصر الحديث.

٥ - انحطاط الحياة العلمية، فانحصر اهتمام الصُّوفية في الرِّياضات والخَلَوات والأَوْرَاد والحَضَرات، وقد كان لهذا أثره في الانصراف عن العلم فضلاً عن احتقار الصُّوفية للعلم حيث يُسمُّونه العلم الظاهر أو عِلم الوَرَق أو علم الرُّسوم.

٦ - انحطاط الحضارة الإسلامية، فقد كان للصُّوفية أثرٌ بالغٌ في تقهقرِ الحضارة بحرصها على الفقر والتَّسول ومَيْلِها إلى اتخاذ وسائل وهْمِية، مثل ما يُسمَّى بالحُجب والتَّعاويذ والحُصُون التي يعتقدون فيها جلب النَّفع أو دفع الضُّر.

٧ - تغيير المفهوم الحقيقي لبعض العقائد والمصطلحات الشَّرعية مثل التَّوكل والزُّهد والقَدَر حين حَوَّلُوها إلى تَوَاكل وتَسوُّل وجَبَر.

وبهذا يتبيَّن أن مدرسة التصوف من أصحاب المدرسة الأولى فيه جانب من الصواب، وكثير منه مخالفٌ لنصوص الكتاب وما دلَّت عليه السُنَّة الصَّحيحة وما كان عليه الصَّحابة والسَّلف في ذلك، وأن التصوف في المدرسة الثانية والثالثة والذي يعتمد على الفلسفة والقول بالحُلُول والاتِّحاد والفَنَاء فهذا كفرٌ مخرجٌ من الملَّة.

ثامناً: فرقة الباطنية

التعريف:

الباطنية: هم تيَّار يَضم مجموعة من الفِرَق، ينظِّمها القول بأنَّ للنُّصوص ظاهراً وباطناً، وأنَّ المقصود هو علم الباطن، وكان من أوَّل من قال بهذا في الإسلام: عبد الله بن ميمون القَدَّاح، ومحمد بن الحسين الملقب بدَنْدَان.

وتعتبر الباطنية من أخطر الفرق في تاريخ الإسلام وأخبثها وليست هي من فرق الإسلام، بل هي خارجة عن الملَّة باتِّفاق المسلمين وهي فرقٌ كثيرةٌ.

سبب التسمية:

سُمُّوا باطنية لأنَّ أصل مذهبهم أنَّ نصوص الكتاب والسُنَّة لها ظاهرٌ وباطنٌ، فالظَّاهر هو ما يعرفه النَّاس ويَعْلَمه العلماء، والباطن هو العلم الحقيقي الذي لا يعرفه إلا الأئمة المَسْتُورون من آل البيت ويُعلِّمونه النَّاس مباشرة أو بواسطة النُّوَّاب.

غايتها:

وكان الهدف من هذه الفرقة وغايتها هو هدمُ الإسلام والقضاء عليه انتقاماً من انتشاره في كثير من البلدان والأمصار ذات الدِّيانات المختلفة التي أزال الإسلام عقائدها وممالكها، فرأى أصحاب تلك الدِّيانات أنَّه لا بدَّ من التَّعاون والانتقام منه، فابتدأوا بتدبير مؤامرة لاغتيال الفاروق عمر رضي الله عنه، ثم أحدثوا الفتنة التي تزعَّمها ابن سبأ في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما، ولكنهم وجدوا أنَّ الإسلام أقوى من كلِّ المؤامرات فقرَّروا تأسيس مذهب أعظم تأثيراً وأشدَّ هدماً من التَّشيع، وهو مذهب الباطنية.

أهم الدول الباطنية:

نجح الباطنيون في إقامة دولٍ باطنيةٍ كان لها الأثر الكبير في تمزيق الأمَّة الإسلامية، وتهيئتها للاحتلال الصَّليبي والمَغُولي، فضلاً عن فساد عقائد الملايين من عامَّة المسلمين ومن تلك الدول:

١. أوّل حركة باطنية إسماعيلية لإقامة دولة لها كانت باليمن على يد الحسن بن فرج، الملقَّب بالمنصور، مع علي بن الفضل، وبعد أن قوي عودهما بدأ الجهر بالمعتقدات، فقد أحلُّوا الخمور والزِّنا واللواط ونكاح المحارم من الأمهات والبنات والأخوات، وأسقطوا الصلوات، وأبطلوا الصيام وجميع المحرّمات، ثم دولة الصليحيين بعد ذلك على يد مؤسسها علي بن محمد الصليحي وذلك في عام (٤٢٩ هـ).

٢. الدولة العُبيديّة (الفاطميّة): وهي دولة باطنية ملحدة أسَّسها رجلٌ يهوديٌ يدعى عبد الله بن ميمون القَدَّاح زاعماً أنَّه من نَسْل فاطمة رضي الله عنها، وقد حكموا مصر وغيرها قرابة قرنين من الزَّمان ومن آثارهم: إدخال الشِّرك وعبادة الموتى إلى الأمَّة الإسلامية، وتسهيل احتلال الصَّليبيين لبيت المقدس بسبب خُذْلَانهم وتواطئهم معهم، وقد قضى عليهم صلاح الدِّين الأيُّوبي.

٣. دولة القَرامِطة: وكانت دولتهم في شرق دولة العبيديِّين، أي: في بلاد الشَّام وجنوب العراق وشرق الجزيرة العربية، وفي سنة ٣١٧هـ دخلوا مكة فقتلوا الحجَّاج والمصَلِّين وقَلَعُوا الحجر الأسود وحَمَلُوه معهم إلى الأَحساء وبقي عندهم ٢٢ سنة.

٤. الحشَّاشون: وهم طائفة من الإسماعيلية من بقايا الدولة العبيدية، أسَّسوا دولة في إيران أقضَّت مضجع الأمَّة الإسلامية بالحروب والسَّلب والاغتيال، فقد فَتَكُوا بعدد من زعماء الإسلام، وقد

ظهرت دولتهم في أوائل القرن السادس واستمرت إلى أنْ قضى عليها التتار، أمَّا دعوتهم فلا تزال قائمة وهم المعروفون باسم (الآغاخانية) نسبة إلى زعيمهم (آغاخان).

عقائدهم:

١. يعتقد بعض الباطنية بوجودِ إلهين، لا أوَّل لوجودهما من حيث الزَّمن، إلا أنَّ أحدهما علَّة لوجود الثاني، بينما يعتقد آخرون أنَّ علياً رضي الله عنه هو الذي خلق السَّموات والأرض خالقٌ محيي مميت مُدبِّر للعَالَم.

٢. يجحد الباطنيون النُّبوات، وينكرون المعجزات، ويزعمون أنّها من قبيل السِّحر والطَّلاسم، ويفسِّرون النُّبوة بأنّها عبارة عن شخص فَاضَت عليه من السَّابق بواسطة التَّالي قوَّة قُدُسيَّة صافية مُهيأة لأنْ تَنتقِش عند الاتصال بالنَّفس الكليَّة بما فيها من الجزئيات.

٣. اتفقت كلمة الباطنية على إنكار الآخرة التي جاء الإسلام بتفاصيل بيانها، وأوَّلوا القيامة في القرآن والسُنَّة، وقالوا بأنها رموز تشير إلى خروج الإمام.

٤. تحريف شرائع النبييِّن والمرسلين، باستحلال المحرَّمات، والتَّوغُّل في الإباحيّة البهيميّة، والتَّفلُّت عن القيام بالتكاليف الشرعية والتَّبرُّم منها، مع أنّهم لا يتظاهرون أمام العامَّة بترك التَّكاليف إلا فيما بينهم.

٥. وهذه العقائد عبارة عن أفكار مُلَفَّقة من مذاهب شتىً، وكلُّها خَبْطٌ واضطرِابٌ، ومن عجيب أمرهم أنّهم يستدلُون على عقائدهم الكفرية ببعض الآيات من القرآن الكريم، وبأحاديث مختلقة مكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم، وأحاديث صحيحة يحرِّفون معانيها، ويؤوِّلُونها على وِفق اعتقاداتهم الإلحاديَّة، ويَتسَتَّرون: إمَّا بالتَّشيع لآل البيت، وإمَّا بزعم التَّجديد والتَّقدُّم، وغير ذلك مما يختلقون من الشِّعارات والأكاذيب المخترعة.

وتعتبر عقائد الباطنية على ضوء هذه المعتقداة كفرية مخالفة لدين الإسلام.

تاسعاً: فرقة الإسماعيليّة

التعريف:

الإسماعيليّة: هي فرقة باطنيّة، انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصَّادق، ظاهرها التَّشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، تشعَّبت فِرَقها وامتدَّت عبر الزَّمان حتى وقتنا الحاضر، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصَّحيحة، وقد مَالَت إلى الغُلوِّ الشَّديد لدرجة أنَّ الشِّيعة الاثنا عشرية يكفرون أعضاءَهَا.

أقسامها:

ظلَّ الإسماعيليون متَّفقين على إمامة العبيديِّين حتى توفي خليفتهم المستنصر بالله سنة ٤٨٧هـ حيث انقسموا فرقتين:

١. فرقة تقول أنَّ الإمامة انتقلت إلى ابنه المُسْتعلي وهي التي يطلق عليها اسم (البُهْرة) وهم يعيشون في جنوب الهند وكينيا واليمن.

٢. فرقة تقول إنَّ الإمام هو نزار بن المستنصر وهم المعروفون الآن (بالآغاخانية) ويعيشون في الباكستان والهند والشَّام.

عقائدهم:

١ - أنَّ لكلِّ ظاهر من النُّصوص باطناً لا يعلمه إلا الأئمة.

٢ - إنكارُ صفاتِ الله تعالى حتى أنَّ من عقيدتهم أنَّه لا يقال الله موجود أو غير موجود، فلا يوصف بشيء مطلقاً.

٣ - أنَّ محمد بن إسماعيل بن جعفر ناسخ لشريعة الإسلام.

٤ - أنَّ القرآن والوحي عامَّة فَيْضٌ يَفِيضُ من العقل الكلِّي على كلِّ شخصٍ لديه استعداد لتَقبُّله.

٥ - تأويل العقيدة والشَّريعة تأويلاً غريباً يعتمد على أنَّ الحروف رموز لأعداد معيَّنة ثم يفسِّرون الأعداد كما يشاءون.

٦ - إنكار القيامة والمعاد والإيمان بالتَّناسخ.

٧ - الاعتقاد بأنَّ الكواكب السَّبعة لها تأثير في تدبير الكون وجريان الأحداث.

٨ - الإباحيَّة والشُّيوعيَّة الجنسيَّة والماليّة والإمام هم الذي يحكم في ذلك.

وبهذا فإن عقائد الإسماعيلية كفريَّة ضالَّة مخالفة لأصول العقيدة الإسلامية وللنُّصوص القطعية للكتاب والسُّنَّة، إذ هي في الحقيقة تلاعبٌ واضحٌ وسخريَّة ظاهرة بمعتقدات الإسلام وتأويلها حسب الهوى والرَّأي.

عاشراً: فرقة النصيرية

التعريف:

النُّصيريَّة: هي حركةٌ باطنيةٌ ظهرت في القرن الثالث للهجرة تأسست على يد محمد بن نُصير البصري النُّميري (ت ٢٧٠هـ). وأصحابها يُعدُّون من غُلاة الشِّيعة الذين زعموا وجوداً إلهيًّا في علي وألهوه به، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عُرَاه، وهم مع كلِّ غَازٍ لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسُوريا اسم(العَلَوييِّن) تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الرَّافضية والباطنية.

أصل انشقاق النصيرية عن الشيعة:

تعتقد الشِّيعة الاثنا عشرية أنَّ الحسن العسكري، وهو الإمام الحادي عشر من أئمتهم وكانوا ينتظرون ابنه ليكون الإمام الثاني عشر طبقاً للنظام الوراثي المنقول عن الأسرة، ولكن الحسن مات ولم يخلف عقباً فوقع أقطاب التَّشيع في حَيْرة من أمرهم، وأخيراً قرَّروا اختلاق فكرة الإمام الغائب زاعمين أنَّ الإمام الثاني عشر هو محمد بن الحسن العسكري، ولكنه دخل السِّرداب في سَامِراء وسيخرج آخر الزَّمان، ولكن محمد بن نُصير خالفهم في ذلك وادَّعى أنَّه الممثل الوحيد للحسن العسكري وللمهدي المزعوم، ورفض الآخرون دعواه فانشقَّ عنهم وأسَّس ديناً مستقلاً هو النُّصيرية.

أهم عقائدهم:

١ - ألوهيَّة علي بن أبي طالب.

٢ - تأويل شرائع الإسلام تأويلاً خاصاً فالصَّلوات الخمس هي (علي، فاطمة ، الحسن الحسين، محسن) والصَّوم ذكر أسماء ثلاثين رجلاً منهم.

٣ - إنكار القيامة والمعاد والإيمان بالتَّناسخ.

٤ - استحلال المحرَّمات كالخمر والزِّنا واللِّواط.

٥ - الاحتفال بالأعياد المجوسيَّة والنَّصرانية مثل عيد النَّيروز وعيد الميلاد.

٦ - السِّرية المطلقة والتَّكتم الشَّديد على عقائدهم وترقية أتباعهم وفق نظامٍ غريبٍ وطقوس خاصة تشبه طقوس الماسونية.

ولا شك أن هذه عقائد ضالة مخالفة لدين الإسلام، واعتقادها كفر بالله تعالى.

الحادي عشر: فرقة الدروز

التعريف:

الدروز: هم فرقة باطنية تؤلِّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذت جُلّ عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنتسب إلى نُشْتَكين الدُّرزي.

أهم عقائدهم:

تعتبر عقائد الدُّروز خليط من عدَّة أديان وأفكار، كما أنَّها تؤمن بسريَّة أفكارها، فلا تنشرها على النَّاس، ولا تعلِّمها لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين، ومن عقائدهم:

١. يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله ولما مات قالوا بغيبته وأنَّه سيرجع.
٢. ينكرون الأنبياء والرُّسل جميعاً ويلقبونهم بالأبالِسة.
٣. يعتقدون بأنَّ المسيح هو داعيتهم حمزة.
٤. يبغضون جميع أهل الدِّيانات الأخرى والمسلمين منهم بخاصة ويستبيحون دماءهم وأموالهم وغشهم عند المقدرة.

٥. **يعتقدون بأنَّ ديانتهم نسخت كل ما قبلها وينكرون جميع أحكام وعبادات الإسلام وأصوله كلها.**
٦. **يقولون بتناسخ الأرواح وأنَّ الثواب والعقاب يكون بانتقال الرُّوح من جسدِ صاحبها إلى جسدٍ أسعد أو أشقى.**
٧. **ينكرون الجنة والنَّار والثواب والعقاب الأخرويَّن.**
٨. **ينكرون القرآن الكريم ويقولون إنَّه من وضع سلمان الفارسي ولهم مصحف خاص بهم يسمى المُنْفَرد بذاته.**

وتعتبر عقيدة الدُّروز عقائد كفريَّة مخالفة لدين الإسلام، واعتقادها كفر بالله تعالى، بل كفرهم أشد من كفر اليهود والنَّصارى.

المبحث الثاني: الأديان

الإسلام دين الفطرة:

دين الإسلام هو دين الفطرة الذي ارتضاه الله تعالى لأنبيائه وعباده منذ الأزل، وهو الطريق المستقيم الموصل إلى إليه سبحانه، فالطريق إلى الله واحد وهو دين الإسلام، وهو الذي بعث الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم كما بعث به جميع الرسل من لدن آدم ونوح إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، وإن تنوعت شرائعهم واختلف مناهجهم، وإن جميع ما خالفه من يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو وثنية أو غير ذلك من نحل الكفر كله باطل، وليس طريقاً إلى الله، ولا يوصل إلى جنته، وإنما يوصل إلى غضبه وعذابه، كما قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ). سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

والخلاف الواقع بين الأنبياء إنما هو في تفاصيل الشرائع، ففي شريعة موسى عليه السلام ما هو محرم قد أبيح في شريعة عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم، ونحو هذا، كما قال سبحانه:{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً} .[المائدة:٤٨].

فدين الإسلام هو الدين الصحيح المطلوب من أهل الأرض، وهو الدين الذي بشر به جميع الأنبياء، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقة من التوراة فقال:"أمتهوكون يا ابن الخطاب؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لو كان موسى حيا واتبعتموه وتركتموني ضللتم"، وفي رواية: "لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي"، فقال عمر: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً. [رواه النسائي]، وكما أن عيسى عليه السلام جاء مجدداً لديانة موسى وليحل لهم بعض ما حرم عليهم، كما في قوله تعالى: {ومُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ❖ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} .[آل عمران:٥٠ -٥١]. فإنه كذلك سينزل في آخر الزمان ليجدد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية" رواه مسلم، قال النووي في شرحه: (قوله: يضع الجزية،، أي لا يقبل إلا الإسلام أو السيف).

وإنّ اختلاف الناس في أديانهم وعقائدهم سنة قدرها وقضاها رب العالمين، لحكمة عظيمة وغاية جليلة وهي الابتلاء والاختبار يقول تعالى : {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ❖ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} . [هود : ١١٨ ، ١١٩]، وأعمق خلاف بين الأديان هو الخلاف الواقع بين المسلمين وأهل الكتاب

(اليهود والنصارى) على وجه الخصوص، وغيرهم من الديانات على وجه العموم، فمنذ أن حاربهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وإلى آخر الزمان عندما ينزل عيسى عليه السلام، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، والخلاف مستمر والصراع محتدم بأساليب متنوعة وطرق متباينة.

وفي هذا الموضوع سيكون الحديث عن الأديان المحرفة والمخالفة لدين الله تعالى من اليهودية والنصرانية وغيرهما من الديات الأخرى، والتعريف بها وأهم معتقداتها ونشأتها باختصار وإيجاز.

تعريف الأديان:

الأديان: جمع دين، والدين في اللغة بمعنى: الطاعة والانقياد.

والدين في الاصطلاح العام: ما يعتنقه الإنسان ويعتقده ويدين به من أمور الغيب والشهادة.

وفي الاصطلاح الإسلامي: التسليم لله تعالى والانقياد له.

أولاً: اليهودية

التعريف:

اليهود لغة: كلمة غير عربية، نسبة إلى يهوذا أحد أسباط بني إسرائيل، أو إلى دولة يهوذا التي كانت في فلسطين بعد سليمان عليه السلام.

اليهود اصطلاحا هم: العبرانيون المنحدرون من يعقوب عليه السلام والمعروفون بالأسْباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيَّداً بالتوراة ليكون لهم نبيًّا، وقد دعاهم موسى وربَّاهم على التوحيد والإسلام ولكنهم انحرفوا عن ذلك وحرَّفوا كتاب ربهم فأصبح دينهم يسمى اليهودية، وهي الديانة الباطلة المحرفة عن الدين الحق الذي جاء به موسى عليه السلام.

نماذج من تحريفاتهم:

١ - تحريف اللَّفظ، وهو: تغيير ما أنزل الله أو الزيادة فيه أو النقص منه، قال تعالى عن أحبارهم: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} [البقرة: ٧٩].

٢ - تحريف المعنى، وهو صرف الكلام عن المعنى المراد إلى معنى آخر غير مراد، يقول تعالى: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} [النساء:٤٦]، ومن ذلك أنهم جعلوا ما في التوراة من تحريم السرَّقة والرِّبا والزِّنا والغِش خاصاً باليهود فيما بينهم، أمَّا غيرهم فكل ذلك حلال لليهود أن يفعلوه بهم.

٣ - إظهار بعض أحكام التوراة وإخفاء البعض، قال تعالى: {قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ} [الأنعام:٩١].

٤_ تشبيه الله تعالى وتمثيله بالمخلوقات، فقد ملَؤُوا توراتهم المحرَّفة بنماذج كثيرة من التَّشبيه والتمثيل، فقالوا: أنَّ الله خلق السَّماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السَّابع، تشبيهاً بالخلق عند استراحتهم من العمل.

٥_ نسبوا الدَّنس والفحش للأنبياء، فقالوا: إنَّ نوحاً شرب الخمر وسَكِرَ وتَعرَّى من ثيابه، وأنَّ ابنتي لوط سقتا أباهما خمراً واضطَّجعتا معه وحَمَلاتا منه.

تعريف التُّلْمود ومكانته عند اليهود:

التُّلمود: هو تعليم ديانة وآداب اليهود، وهو يتكون من جزئين: متنٌ، ويسمى المِشْنَاه: بمعنى المعرفة أو الشَّريعة المكرَّرة، وشرحٌ، ويسمى جَمارا: ومعناه الإكمال. والمقصود به عند اليهود: الرِّوايات الشَّفوية التي تناقلها الحاخامات كالإيضاح والتفسير للتوراة، ويعتبره بعض اليهود أقوى إلزامًا من التوراة، ومن هنا تم الخلط بين ماهو وحي من الله تعالى وكلام غيره من الحاخامات مما يصعب معرفة ما هو وحي صحيح من مجموع هذا التراث.

ولا شك أن اليهود كفار كما نَصَّت على ذلك نصوص القرآن وأنهم في النَّار، قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران:٨٥]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: " والَّذي نفسُ محمدٍ بيده، لا يَسْمع بي أحدٌ من هذه الأمَّة يهودي، ولا نصراني، ثمَّ يموت ولم يؤمن بالَّذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النَّار". [رواه مسلم].

ثانياً: النصرانية

التعريف:

النصرانية: هي الدِّيانة المنزَّلة على عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه الصلاة والسَّلام، ومُتمِّمة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجَّهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التَّوحيد والفضيلة والتَّسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فَسُرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يدِ التَّحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية.

مؤسس النصرانية المحرفة:

مرت النصرانية بعدة مراحل وأطوار تاريخية مختلفة، انتقلت فيها من رسالة منزلة من عند الله تعالى إلى ديانة مُحرَّفة ومبدلة، تضافر على صنعها بعض الكهان ورجال السياسة، ويكاد الباحثون والمؤرِّخون المعاصرون من النَّصارى وغيرهم يجمعون على أنَّ بُولِس هو المؤسس الحقيقي للدِّين النَّصراني المعروف اليوم(بالنصرانية)، وهو من أشدِّ اليهود عداوة للمؤمنين بالمسيح، ثم تحوَّل إلى المسيحية وهذا التحول إنما هو مكيدة يهودية فقد أخذ يَهدم المسيحية من داخلها وينسخ منها ما شاء ويضيف إليها ما شاء، وهكذا أصبحت رسائله فيما بعد من كتبهم المقدَّسة.

أهم عقائدهم:

١ - القول بالتثليث، فالإله عندهم ثلاثة: الأب - الابن - روح القدس، فيجب الإيمان بالله الواحد الأب، والمسيح ابنه الوحيد يَسُوع المسيح بكر الخلائق ولد من أبيه قبل العوالم، وروح القدس الذي حلَّ في مريم لدى البشارة، وعلى المسيح في العِمَاد على صورة حَمَامة، وعلى الرُّسل من بعد صعود المسيح، الذي لا يزال موجوداً، وينزل على الآباء والقدِّيسين بالكنيسة يرشدهم ويُعلِّمهم ويُحلُّ عليهم المواهب، ليس إلا روح الله وحياته، إلهٌ حقٌ من إلهٍ حق.

٢ - الإيمان بالأقانيم الثلاثة: الأب، الابن، الرُّوح القدس، ويُسمُّون ذلك على حدِّ زعمهم وحدانية في تثليث، وتثليث في وحدانية.

٣ - الصَّلب والفِدَاء، فالمسيح في نظرهم مات مصلُوباً فداءً عن الخليقة، لشدَّة حب الله للبشر ولعدالته، فهو وحيد الله - تعالى الله عن كفرهم - الذي أرسله لِيُخلِّص العالم من إثم خطيئة أبيهم آدم وخطاياهم، وأنَّه دفن بعد صلبه، وقام بعد ثلاثة أيام متغلباً على الموت ليرتفع إلى السماء.

٤ - الدَّينونة والحساب، فيعتقدون بأنَّ الحِساب في الآخرة سيكون موكولاً للمسيح عيسى ابن مريم الجالس - في زعمهم - على يمين الرَّب في السماء؛ لأنَّ فيه من جنس البشر مما يعينه على محاسبة النَّاس على أعمالهم.

٥ - الصَّليب، ويعتبر الصَّليب شعاراً لهم، وهو موضع تقديس الأكثرين، وحملُه يعتبر علامة من علامات أتباع المسيح.

٦ - يعتقد النَّصارى على ما أضيف في قانون الإيمان أن مريم ابنة عمران والدة المسيح عليه السلام، هي والدة الإله، ولذا يتوجَّه البعض منهم إليها بالعبادة.

بيان الكتب المقدسة عند النصارى:

يشتمل الكتاب المقدَّس عند النَّصارى قسمين: ١ - العهد القديم: وهو التوراة والأسفار الزائدة عليها. ٢ - العهد الجديد: ويشمل الأناجيل الأربعة والرَّسائل التي كتب أكثرها بُولِس وتلاميذه.

والأناجيل الأربعة هي: ١ - إنجيل لُوقا: وهو تلميذ بُولِس ورفيقه، كتبه باليونانية. ٢ - إنجيل مَتَّى: كتب باللغة العبِرية ولم يعرف إلا باليونانية والمترجم مجهول. ٣ - إنجيل مَرْقَص: كتبه باليونانية واختلفوا في الكاتب الحقيقي. ٤ - إنجيل يُوحَنَّا: وقد اختلفوا في كاتبه واتفقوا على أنه كتبه ليثبت ألوهية المسيح وهو آخر الأناجيل.

ويعتبر النَّصارى من أهل الكتاب مثلهم مثل اليهود، وحكمهم في الإسلام سواء، فقد كذَّبوا برسول الله وآياته، وأشركوا بالله، فهم بذلك كفارٌ لهم نارٌ جهنم خالدين فيها، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ}[البينة:٦]. وقال تعالى:{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة:١٧]، وقال تعالى :{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ } .[المائدة:٧٣_٧٤].

ثالثاً: الهندوسية

التعريف:

الهندوسية: هي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، ويطلق عليها أيضاً البرهمية، وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تَشَكَّلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر، تتضمن قِيماً روحيةً وأخلاقيةً إلى جانب المبادىء القانونية والتنظيمية مُتَّخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكلِّ منطقةٍ إلهٌ، ولكل عملٍ أو ظاهرةٍ إلهٌ.

بدء الديانة الهندوسية:

أقام الهندوس الأوائل صلواتهم في الهواء الطلق؛ نظرًا لعدم وجود معابد خاصة، وكانت الجماعة التي تؤدي شعائرها الدينية، تقوم بخدمة الطقس، لعدم وجود كهان يقومون بهذه المهام، ونظروا بإجلال إلى مظاهر الطبيعة وقواها، والتفتوا إلى ضعفهم كبشر حيالها، فقدسوها وجعلوا لكل ظاهرة الإله الذي يُحركها أو يسكنها، وقدسوا بعض الحيوانات وبخاصة البقرة؛ لذا يمنعون أذيتها أو إزعاجها، هذا بالإضافة إلى القداسة المميزة، التي كانت للمياه النظيفة الصافية بشكل عام، ولمياه نهر الغانج بوجه خاص، واعتقد الهنود بأن مياه الغانج لها قدرة، على تخليصهم من خطاياهم وذنوبهم عند الاغتسال بمياهه، فجعلوه المظهر الأرضي للمطهر السماوي.

الكتاب المقدس عندهم:

الكتاب المقدس عندهم يسمى (الوِيدا) أو (الفِيدا)، وهو: عبارة عن أناشيد وابتهالات وتَضرُّعات منها ما يرتله رجال الدين، ومنها ما يرتله الشعب، لعدد كبير من الآلهة، أهمُهّا:

- الإله فارونا، وهنا نتحدث عن أهم القصائد في الله وفي النفس، الإله "فارونا" إله التدبير والتنظيم للقوى الطبيعية، والأعمال والأخلاق الإنسانية.

-وكذلك يشتمل (الفيدا) ابتهاهلات الآلهة القديمة عند الهندوس، "ياما" إله الموت أو الديان الذي يحاكم الموتى على أفعالهم في حياتهم، وياما هو أول إنسان مات حسب زعمهم، وارتفعت روحه إلى رحاب السماء وصار إلهاً.

أهم عقائدهم:

١ - تناسخ الأرواح، ومعناه: انتقال الأرواح في دورات متعاقبة من جسمٍ إلى جسمٍ، حيث يعتقد الهندوس أنَّ الإنسان إذا مات فإنَّ روحه تنتقل إلى جسدٍ آخر قد يكون جسدَ حيوان، وفيه تسعد أو تشقى حسب عمله.

٢ - الاتحِّاد بالبراهما، يعتقد الهندوس أنَّ أعظم غاية هي تصفية الروح وتطهيرها من أدران الجسد حتى تتَّحد بالبراهما وتصبح جزءاً منه.

٣ - إنكار الوحي، فلا يؤمن الهندوس بالوحي المعروف، وإنَّما يؤمنون بالإلهام والكشف، ويعتقدون أنَّ أيَّ إنسان ينعزل في الغابات ويُجوِّع نفسه ويعذِّبها سوف يُلقى إليه العلم الباطن وتكشف له الحقائق الأبدية.

٤ - تحريم أكل الحيوان، وهو جزءٌ من الرَّهبانية وتعذيب النَّفس، ويزعمون أنَّ الإنسان لكي يصبح روحانياً لا يأكل شيئاً ذا روحٍ، وتفرض عليه أنْ يعيش في الغابة ولا يأكل إلا مما يَسْقُط من الثِّمار، ولا يَقص شَعره وظُفره حتى يموت.

٥ - ومن أهم الشَّعائر عندهم إحراقُ جثث الموتى.

طبقات المجتمع الهندوسي:

تَنُصُّ الشَّريعة الهندوسية على تقسيم الناس إلى أربعِ طبقاتٍ متمايزة لكلِّ طبقة خصائصها وواجباتها، وسبب هذا التقسيم كما يعتقد الهندوس، هو: أنَّ الإله براهما خلق الناس من نفسه، فمنهم من خلقه من ذِراعه، ومنهم من خلقه من فَخِذه، ومنهم من خلقه من رِجْله، وعلى هذا كانت هذه الطبقات الأربع الأبديَّة وهي كالتالي:

١ - البَراهِمة: وهم الذين خلقهم الإله براهما من فمه، وهؤلاء هم المعلِّمون والكُهَّان والقُضاة، ولهم يَلْجأ الجميع في حالات الزَّواج والوفاة، ولا يجوز تقديم القرابين إلا في حضرتهم.

٢ - الكَاشْتر: وهم الذين خلقهم الإله من ذِراعيه، وهؤلاء يقومون بالتعلُّم وتقديم القرابين وحمل السِّلاح للدِّفاع.

٣ - الوِيْش: وهم الذين خلقهم الإله من فَخِذه، وهؤلاء يقومون بالزِّراعة والتجارة وجمع الأموال والإنفاق على المعاهد الدينية.

٤ - الشَّودر: وهم الذين خلقهم الإله من رِجْليه، وهم مع الزُّنوج الأصليِّيّن يشكِّلون طبقة المنْبُوذين، وعملهم مقصور على خدمة الطَّوائف الثلاث السَّابقة الشَّريفة ويمتهنون المهن الحقيرة والقذرة.

وتعتبر الهندوسية من الدِّيانات الكفرية؛ لأنَّها مَزيج من الفلسفة الهندية والدِّيانتين اليهودية والمسيحية، وتشمل من العقائد ما يهبط إلى عبادة الأشجار والأحجار والقرود والأبقار.. إلى غير ذلك من أنواع الوثنية التي تتنافى مع أبسط قواعد التوحيد، كما أنَّ التقسيم الطبقي فيها يتعارض مع كرامة الإنسان ويجعلها بعيدة عن الوحي الرباني.

رابعاً: البوذية

التعريف:

البوذية: هي عبارة عن نظام أخلاقي ومذهب فكري مبني على نظريات فلسفية، من آراء وعقائد في إطار ديني وليست وحياً، ظهرت في الهند بعد الدِّيانة الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد، تتجه إلى العناية بالإنسان والتصوُّف والخُشُونة ونَبذ التَّرف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير، تحولت بعد موت مؤسسها إلى معتقدات باطلة غَالَتْ في مؤسسها حتى ألَّهته.

وتختلف البوذية القديمة عن البوذية الجديدة في أن الأولى ذات صبغة أخلاقية، في حين أن البوذية الجديدة هي تعاليم بوذا مختلطة بآراء فلسفية وقياسات عقلية عن الكون والحياة.

ورغم كون البوذية فرع من العقائد الهندوسية، إلا أنها كانت في البداية تناهض الهندوسية وتتجه إلى العناية بالإنسان، وبوذا في الأصل لقب ديني هندوسي معناه العَارف أو القُطب، ثمَّ أطلق على مؤسِّس البوذية وأصبح علماً عليه.

أهم عقائدها:

تَتَّفق البوذية والهندوسية في كثير من العقائد، مثل عقيدة التَّناسخ والاتِّحاد بالإله وتختلف البوذية عن الهندوسية في أمور أهمها: ١ - إنكار وجود بَراهما - الإله عند الهندوس - وإنكار تقديم القرابين له. ٢ - إنكار نظام الطبقات الهندوسي. ٣ - اتخاذ طريقة جديدة للزُّهد والتَّخلي عن الدنيا. ٤ - يعتقد البوذيون أنَّ بوذا هو ابن الله، وهو المخلّص للبشرية من مآسيها

وآلامها وأنَّه يتحمل عنهم جميع خطاياهم. ٥ - يصلي البوذيون لبوذا ويعتقدون أنَّه سيدخلهم الجنة، والصَّلاة عندهم تؤدى في اجتماعات يحضرها عدد كبير من الأتباع.

وتعتبر البوذية من الديانات الكفرية الفلسفية؛ لأنَّها تقوم على أساس أنَّ بوذا هو ابن الله ومُخلِّص البشرية من مآسيها، وهذا كفرٌ بالله تعالى ومُنافٍ لعقيدة التوحيد، وغير ذلك من العقائد الباطلة.

خامساً: السيخية

التعريف:

السيخية: هي جماعة دينيَّة من الهنود الذين ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلاديين، دَاعين إلى دينٍ جديدٍ زعموا أنَّ فيه شيئاً من الدِّيانتين الإسلامية والهندوسية، تحت شعار:" لا هندوس ولا مسلمون"، وكلمة سيخ كلمة سَنْسَكَريتية (لغة هندية)، تعني: المُرِيد أو التَّابع.

أهم عقائدهم:

١ -الإيمان بعبادة ربٍ واحدٍ خالقٍ، وإنكار عبادة الأصنام. ٢ - الإيمان بأنَّ إمامهم (ويُسمُّونه الكُورُو) يتوسط بين الرَّب والخلق.٣ - الإيمان بالكتاب المقدَّس عندهم المسمى(كرانته).٤ - الإيمان بالتناسخ كما هو عند الهندوس.٥ - الحج إلى المعبد الذهبي (أمرِتَسار) والاستحمام في حوضه الذي يعتقدون فيه مثلما يعتقد الهندوس في نهر الكَانِج.٦ - اعتقاد أنَّ أصول الدِّين خمسة وهي: أ - ترك الشَّعر مرسلاً بدون قصٍ من المهْد إلى اللَّحد، وذلك لمنع دخول الغرباء بينهم بقصد التَّجسس. ب - أن يلبس الرَّجل سواراً حديداً في معصميه بقصد التَّذلل والاقتداء بالدَّراويش. ج - أن يلبس الرَّجل تَبَّاناً وهو أشبه بلباس السِّباحة تحت السَّراويل رمزاً للعفَّة. د - أن يضع الرَّجل مشْطاً صغيراً في شعر رأسه، وذلك لتمشيط الشَّعر وترجيله وتهذيبه. ه - أن يَتَمنطق السِّيخي بحربةٍ صغيرةٍ أو خنجر على الدَّوام، وذلك لإعطائه قوة واعتداداً، وليدافع به عن نفسه إذا لزم الأمر.

المبحث الثالث: المذاهب الفكرية المعاصرة

مقدمة:

المذاهب جمع مذهب وهو ما يذهب إليه الشخص ويعتقده صواباً ويدين به سواء أكان ما يذهب إليه صواباً في نفس الأمر أو كان خطأ، وهي تختلف باختلاف مصادرها وباختلاف مفاهيم الناس لها من دينية وغير دينية.

وقيل لها مذاهب فكرية: نسبة إلى الفكر الذي تميز به الإنسان عن بقية المخلوقات التي تشاركه الوجود في الأرض، ويعرفه بأنه صنعة العقل الإنساني ومسرح نشاطه الذهني وعطاؤه الفكري فيما يعرض له من قضايا الوجود والحياة سواء أكان صوابا أو خطأ، فهي عبارة عن نتاج اجتهاد الإنسان وفكره وتجاربه.

وقد تنسب هذه المذاهب إلى مؤسسيها فيقال الفكر الماركسي أو الفكر الفلسفي اليوناني أو الفكر الشيوعي أو غير ذلك من الأفكار التي تنسب إما لشخصيات مؤسسيها أو لبلدانهم أو لاتجاهاتهم وغير ذلك.

ومن هنا يتضح أنه إذا أطلق لفظ الفكر فإن المراد به هو ما يصدر عن العقل من شتى المفاهيم والمبتكرات الدينية أو الدنيوية، وسميت مذاهب فكرية نسبة إلى المذهب الذي تنسب إليه كل طائفة ونسبة كذلك إلى أفكارها التي تعتنقها مبتكرة لها أو مقلدة.

وقد انتشرت في العالم أفكار عديدة باطلة ومذاهب فكرية خطيرة، تحارب الدين والمسلمين ومعتقداتهم الإسلامية، وتقدح في أصل الدين وأساسه، ولهذا فإن اهتمام به يجب أن يكون كبيراً لما يترتب عليه من أضرار على عقائد الناس وأخلاقهم، وما تمثله من تهديد للهوية الإسلامية في عقيدتها وأخلاقها؛ **ومن هنا جاء هذا المبحث لمناقشة بعض هذه الأفكار الهدامة والمذاهب الباطلة، ونبين مفاهيم تلك الأفكار عند أهلها مع الإشارة في المقابل إلى الفكر الصحيح عند المسلمين.**

أولاً: القومية

التعريف:

القومية في اللغة مصدر صناعي من القوم.

وفي الاصطلاح: هي مذهبٌ فكريُ يؤمن بأن رابطة الولاء والتَّجمع هي اللغة والتاريخ المشترك، فهي حركة سياسيَّة فكريَّة متعصِّبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحَّدة لهم، على أساس من رابطة الدَّم واللُّغة والتَّاريخ، وبديل عن رابطة الدين والعقيدة الإسلامية.

والحديث هنا هو عن القومية العربية، وإلا فكل مذهب وحركة جعلت رابطةَ الولاء والتَّجمعَ هي اللغة والتاريخ المشترك فهي قومية كالقومية الفارسية والقومية الكردية وغيرهما...

أسباب ظهور فكرة القومية في أوربا:

١. الثورة الفرنسية وما أسفرت عنه من ولادة أوَّل دولة لا دينية في التَّاريخ الحديث وتأسيس قاعدة الولاء للوطن لا للدِّين.
٢. بعث الآداب القديمة ودراسة تاريخ الحضارات المنقرضة وإحياء آثارها مما جعل كلَّ أمَّة أو وطن تفتخر بماضيها وتفتعل الأمجاد له.
٣. صراع الدول الأوروبية داخل القارَّة وصراعها على احتلال القارَّات الأخرى.ومثالها الذي أسس لفكرة القومية صراع ألمانيا وفرنسا على أقليمي الالزاس واللورين

بدايات ظهور فكرة القومية في العالم الاسلامي:

ظهرت بدايات الفكر القومي في أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متمثلة في حركات وجمعيات سرية، ثم علنية اتخذت طابع جمعيات أدبية وجعلت من دمشق وبيروت مقرّات لها، ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس سنة ١٩١٢م. وقد ظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة، وفي عدد محدود من أبناء المسلمين الذين تأثروا بفكرتها، وكان الداعم الأكبر لها البعثات التبشيرية النصرانية التي اتخذت مقرات ومكاتب لها في بيروت بدعم وموافقة ابراهيم بن محمد علي باشا، وفي عام ١٩٤٧م أعلن النصراني مشيل عفلق عن تأسيس حزب البعث العربي كأول حزب علني برفع شعار القومية شعارا له، ولم تصبح تياراً شعبيًّا عامًّا إلا حين تبنى الدعوة إليها الرئيس المصري في الخمسينات والستينات جمال عبد الناصر حين سخر لها أجهزة إعلامه وإمكانات دولته، ويمكن أن يقال إنها الآن تعيش فترة انحسار أو جمود على الأقل.

هدف نشأة القومية في العالم الإسلامي:

أنشئت القومية في العالم الإسلامي لغرض تمزيق دولة الخلافة العثمانية وتفكيك رابطة العقيدة الإسلامية، تمهيداً لإقامة دولة يهوديَّة وحكومات نصرانيَّة، وأوَّل من دعا إلى القوميَّة هم اليهود في تركيا والنَّصارى في العالم العربي، وكان هذا بتواطئ واتفاق من الصُّهيونية العالمية والدول الصَّليبية جميعاً.

خطر القومية العربية وحكم الإسلام فيها:

الدَّعوة إلى القوميَّة العربيَّة أو غيرها من القوميَّات دعوة باطلة ومنكرٌ ظاهرٌ وخطرٌ عظيم؛ لأنها في الحقيقة كيد للإسلام وأهله، وذلك لوجوه:

١ - أنَّ الدَّعوة إلى القوميَّة العربيَّة تفرِّق بين المسلمين، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي، وتفرِّق بين العرب أنفسهم لأنهم كلُّهم ليسوا يرتضونها، وإنما يرضاها منهم قومٌ دون قومٍ، وكلُّ فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزاباً فكرة باطلة، تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه من الاجتماع والوئام والتَّواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى، كما يدل على ذلك قوله سبحانه:{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا }[آل عمران:١٠٣].

٢ - أنَّ الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذَّر منها في نصوص كثيرة، بل قد جاءت النُّصوص تنهى عن جميع أخلاق الجاهليَّة، وأعمالهم إلا ما أقرَّه الإسلام، والدَّعوة إلى القوميَّة العربيَّة من أمر الجاهليَّة، لأنها دعوة إلى غير الإسلام ومناصرة لغير الحق.

٣ - أنها سُلَّم إلى موالاة كفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين، واتِّخاذهم بطانة والاستنصار بهم على أعداء القوميِّين من المسلمين وغيرهم، ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير، والمخالفة لنصوص القرآن والسُنَّة، الدَّالة على وجوب بُغض الكافرين من العرب وغيرهم ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة.

٤ - أنَّ الدَّعوة إليها والتَّكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولا بدَّ إلى رفض حكم القرآن، لأنَّ القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن، فيوجب ذلك لزعماء القوميَّة أن يتَّخذوا أحكاما وضعيَّة تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القوميَّة في تلك الأحكام، وهذا هو الفساد العظيم، والكفر المستبين والرِّدة السَّافرة، كما قال تعالى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[النساء:٦٥]، وقال تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}[المائدة:٥٠]، وقال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[المائدة:٤٤].

ثانياً: الوطنية

التعريف:

الوطنية في اللغة: هي مصدر صناعي من الوطن.

واصطلاحاً: هي مذهب فكري يؤمن برابطة الولاء والتجمع على أساس الوطن المشترك، بديل عن رابطة الدين والعقيدة الإسلامية.

وتعني أن كافة أبناء الشعب الذين يعيشون فوق تراب الوطن الواحد سواسية بدون أدنى تمييز قائم على أي معايير تحكمية مثل الدين أو الجنس أو اللون أو المستوى الاقتصادي أو الانتماء السياسي أو الموقف الفكري .

الهدف من الفكرة الوطنية:

الوطنية دعوة برَّاقة وخدعة كبيرة تستثير في النفوس عاطفة حب الوطن في البدايات الأولى، وفي نهايتها يراد بها الانسلاخ من رابطة الدين، والاكتفاء بها في كل وطن له حدود جغرافية، وموالاة أهله على حبه بغضِّ النظر عن أي اعتبار، والدليل على ذلك أن البعثات التبشيرية في لبنان كانت تؤسس للبعد الوطني في الحقيقة مع الترنم باللغة العربية أساساً للفكر القومي، وفي عام ١٨٦٣م أسس بطرس البستاني ١٨١٩ - ١٨٨٣م مدرسة لتدريس اللغة العربية والعلوم الحديثة فكان بذلك أول نصراني يدعو إلى العروبة والوطنية وكان شعاره "حب الوطن من الإيمان "!، وبطرس البستاني هذا لم يكن سوى موظفا في مقر البعثة التبشيرية الامريكية ومنها يرتزق؛ ومن هنا تعلم أن تصدير أوروبا الفكرة الوطنية لم يكن إلا وسيلة من وسائلهم الكثيرة لغزو العالم كله، وخصوصًا العالم الإسلامي، وتشتيته وتمزيق وحدته؛ ليسهل عليهم إذلال تلك الشعوب حينما تنقطع فيما بينهم روابط العقيدة، وتحل محلها روابط الجاهلية من قومية ووطنية شعوبية، ويصبحون فريسة الأفكار الخادعة، ويتخلَّون عن مصدر عزهم وقوتهم في الإسلام، وقد عرفوا أن إحلال الرابطة الوطنية محلّ الرابطة الاسلامية هي أقرب الطرق إلى تشرذم المسلمين، وبالتالي تحول قوة المسلمين من قوة لمواجهة الأعداء إلى قوة للقتال البيني وواقع حال الأمة اليوم يشهد على ذلك.

نتائج حقيقة الوطنية:

أثمرت الدعوة إلى الوطنية ثمارًا خبيثة، وبرزت العصبية البغيضة، وانتزعت الرحمة بين الناس وحل محلها الفخر والخيلاء والكبرياء؛ حيث بدت الدعوة للوطن تفرق بين الولاء لله تعالى وبين والولاء لغيره تحت شعار "الدين لله والوطن للجميع"، وبالغوا في وجوب حب الوطن وأنه مشاع بين جميع المواطنين حتى السياسية منها، ومن هنا تَمَّت اللعبة على كثير من بلدان المسلمين؛ حيث أصبح المواطن النصراني أو اليهودي أو العلماني أو الشيوعي حتى وإن لم يكن من أهل ذلك البلد في الأساس فإنَّ من حقِّه كمواطن أن يصل إلى أعلى الرتب التي يتمكّن من خلالها من التحكم في مصائر أهل تلك الشعوب الإسلامية، وهو ما هدف إليه أعداء الإسلام من دعمهم السخي لتلك الأقليات في تلك البلدان.

وكذلك عملوا على اختراع طقوس وشعارات غير الأعياد الإسلامية، يتبادل الناس فيها التهاني والتبريكات، وتتعطل كثير من المصالح لانشغال الناس بتلك الأعياد، بينما الإسلام ليس فيه إلّا عيدين عيد الفطر وعيد الأضحى، وعيد صغير هو يوم الجمعة، وطلب أقطابها من الناس أن يقدّموا دماءهم رخيصة من أجل تراب الوطن.

هل تتفق الوطنية بمفهومها المعاصر مع الشريعة؟

إن الوطنية بالمفهوم الحديث ترتبط بالهوية والانتماء، وهذا ما يثير إشكالية كبرى، فالمواطن العربي الذي يدين بالدين الإسلامي ويعيش في وطن تعددت فيه المذاهب والأعراق عليه أن يُحيِّدَ جانبا ولاءه الديني (ولاءه لله) في مقابل ولاءه لذلك الوطن

وكما أن للفرد هويته فللمجتمع أيضا هويته. هويته التي تتكون من لغته ومعتقداته وتاريخه وحضارته فإن "هوية" أي كيان "فردي أو جماعي" هي مجموعة الخصائص والصفات التي يُعرف بها هذا الكيانُ نفسُه، ويعرفه بها غيرُه، وتظلُّ حاضرةً في شعوره، وتمثِّل المرجعية العليا لعقيدته وخلُقه وسلوكه وتعامله، فالهوية - إذًا - بالنسبة لأي كيان هي جوهره الذي يميزه، ومحوره الذي يدور حوله، ومفتاح شخصيته الذي يتم به الدخول إلى كل جوانبه.

والدين هو أحد مكونات الهوية الجمعية للمواطن في بلاد المسلمين، حيث تقوم على أربعة أسس وعناصر: (العقيدة، التاريخ، اللغة، الأرض). وتجمعت هذه العناصر الأربعة في الأمَّة بمجموعها عن الهوية الإسلامية، وقد تضيع هذه الهوية إن ضاع الفرد عن دينه؛ لذلك قال تعالى: {فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: ١٢٢].

وقال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [آل عمران: ١١٠]
.

وخيرية هذه الأمَّة نابعة من استقلاليتها التشريعية، والعقائدية، والسلوكية، عن غيرها من الأمم الأخرى ، وهنالك متربصون بهويتنا الإسلامية وأمتنا، كما قال تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [البقرة: ١٠٩ . ١١٠].

فالوطنية تعتبر مخالفة لتعاليم الإسلام؛ لأن تطبيق المفهوم الحديث للوطنية، لايكون إلا بتقديم التنازلات الكثيرة من عناصر الهوية الإسلامية ومنها الدين والأخلاق.

ثالثاً: الإلحاد

التعريف:

الإلحاد: هو مذهبٌ فلسفيٌ يقوم على فكرة عدميَّة أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، فيدَّعي الملحدون بأنَّ الكون وجد بلا خالق، وأنَّ المادة أزليَّة أبديَّة، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.

ويعتبر الإلحاد بدعة جديدة لم توجد في القديم إلا في النَّادر في بعض الأمم والأفراد، ولذلك لم تعلنها أمَّة من البشر إلا المجتمعات الأوروبيَّة في العصر الحديث، وتسللت إلى المجتمعات العربية بعد ذلك.

أسباب ظهور الإلحاد القديم:

١ - أنَّ أوروبا لم تعتقد الإيمان الصَّحيح والدِّين الحق بل انقلبت من جاهليَّة إلى جاهليَّة، فمن عبادة الأوثان والآلهة المتعدِّدة عند اليونان والرُّومان في عصرها القديم إلى النَّصرانية المحرَّفة في عصورها الوسطى، إلى الضَّياع والإلحاد والجاهليَّة المعاصرة.

٢ - طغيان رجال الكنسية، فقد جعلوا أنفسهم أرباباً للنَّصارى يُشرِّعون لهم ما يشاءون ويفرضون عليهم الضَّرائب، ويتحكَّمون في عقولهم وإيمانهم بتوسُّطهم بينهم وبين الله، وفرض الاعتراف أمامهم بالخطايا وطلب المغفرة بواسطتهم وغير ذلك مما يَزْخَرُ به التَّاريخ الأوروبي.

٣ - العداوة بين اليهود والنَّصارى بسبب أنَّ الكنيسة كانت أيَّام سيطرتها تضطَّهد اليهود لفسادهم وإفسادهم، فلمَّا كانت المعركة على الكنيسة وجدها اليهود فرصة للانتقام منها فوقفوا مع خصومها الملحدين، ومن جهة أخرى يخطِّط اليهود لإقامة ما يسمونه مملكة داود على أنقاض الأديان والحكومات العالميَّة، ولهذا كان ضرورياً في خطَّتهم إفساد الأميِّن غير اليهود وإبعادهم عن الدِّين والأخلاق ونشر الانحلال والإلحاد بينهم.

أسباب ظهور الإلحاد في المجتمعات العربية:

إن من أهم الأسباب والدوافع التي تقود الشباب الى الإلحاد ما يلي:

- إغواء إبليس لمن اتبعه فقد أقسم على أن يبعد الناس عن ربهم ويغويهم عن اتباع أمره وشرعه عز وجل.
- غياب القدوة الصالحة في الأسرة و المدرسة ووسائل الإعلام.
- الاكتشافات العلمية الهائلة لدى الملحدين، والانبهار التام من قبل المسلمين برونق تلك الحضارة الزائفة الزائلة.

- الجفاف الروحي وضعف الايمان لدى الشاب والأسرة المسلمة، وتعرض الشاب وخاصة في بدايات تكوينه الفكري وقبل نضجه للفكر الإلحادي من خلال قراءته الكتب الفلسفية واتصاله بمفكرين ملاحدة وإعجابه بأدبهم وأطروحاتهم، مما يجعل الشباب عُرضَة بشكل أكبر لأن تتقاذفه الشكوك والشبهات فينجرف معها.

- وجود فئات من المجتمع أساءت للدين من خلال حماسها غير المنضبط وجهلها العريض ليتحول الدين عندها إلى مظاهر لا يصاحبها في كثير من الأحيان جواهر نقية فتسببت في حدوث ردّ فعل معاكس عند بعض الشباب ويؤدي إلى النفور من الدين والتدين.

- الرغبة الجامحة عند البعض في الانفلات التام من الدين وأوامره ونواهيه لتحقيق رغباته الشهوانية المختلفة، ويرون أن الدين يمنعهم من شهواتهم ويشكل حاجزاً بينهم وبين رغبتهم في الاستمتاع بالحياة، مما أدى إلى الإباحية والجحود بأحكام الشرع.

- انتشار. القنوات والانترنت ودور النشر والمقاهي الثقافية - وما يُبث فيها من شهوات وشبهات تأخذ كل واحدة منها بنصيبها من شبابنا مع عدم وجود حملة تحصين مضادة لأثارها السلبية.

- عدم قيام مؤسسات التربية والتعليم من مدارس ومعاهد وجامعات بأنشطة تثقيفية للوقوف في وجه موجة الإلحاد، وبطء استجابتها للمستجدات.

- أنظمة الحكم في بعض البلدان، وما سببته للناس بما فيهم فئة الشباب من فتن في دينهم، فبعضها يروج الإلحاد ويقيم المؤسسات التعليمية والأنشطة التي تبثه بين النشء والشباب، وأخرى تدعي أنها تعتني بالدين، ومؤسساتها -عن غير قصد - مما يتسبب في ردة فعل عكسية من الدين والمتدينين.

- الإلحاد كموضة فكرية، أحيانا تجد أن الإلحاد قد أصبح لدى البعض خاصَّة في مجتمعاتنا الإسلامية مجرد موضة ومراهقة فكرية أو وسيلة للفت أنظار الآخرين واستعراض العضلات، وغالبًا ما تجد هذا عند الأشخاص محبي الظهور والشهرة ولفت الأنظار.

الأفكار والمعتقدات:

١_ إنكار وجود الله سبحانه، الخالق البارئ، المصور، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

٢_ أنَّ الكون والإنسان والحيوان والنَّبات وُجِد صدفة وسينتهي كما بدأ ولا توجد حياة بعد الموت.

٣_ أنَّ المادة أزليَّة أبديَّة وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.

٤_ النَّظرة الغائية للكون والمفاهيم الأخلاقية تُعِيق تقدُّم العلم.

٥_ إنكار معجزات الأنبياء لأنَّ تلك المعجزات لا يقبلها العلم كما يزعمون.

٦_ عدم الاعتراف بالمفاهيم الأخلاقية ولا بالحق والعدل ولا بالأهداف السَّامية، ولا بالرَّوح والجمال.

٧_ ينظر الملاحدة للتَّاريخ باعتباره صورة للجرائم والحماقة وخيبة الأمل وقصَّته لا تعني شيئاً.

٨_ الإنسان مادة تنطبق عليه قوانين الطبيعة التي اكتشفتها العلوم كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية.

٩_ الحاجات هي التي تحدد الأفكار، وليست الأفكار هي التي تحدد الحاجات.

وسائل وآليات نشر الفكر الإلحادي:

يعتمد الملحدون على عدة آليات لإثبات وجودهم وتأثيرهم في المجتمع، ومن أهم تلك الآليات ما يلي:

- شبكات التواصل الاجتماعي: حيث تُعد شبكات التواصل الاجتماعي المؤشر الأكثر دلالة على وجود اتجاهات إلحادية، في ظل ما توفره من إمكانية استخدام أسماء مستعارة، وتشديد إجراءات الخصوصية.
- تأسيس منصات إعلامية: حيث لم يتوقف بعض الملحدين عند الإعلان عن أنفسهم من خلال الإنترنت أو استخدام موقع "يوتيوب"، وإنما اتجهوا لتأسيس منصات إعلامية للترويج لأفكارهم من خلال البث عبر الأقمار الصناعية من خارج المنطقة العربية.
- تشكيل تنظيمات للأعضاء: حيث اتجه بعض الملحدين للإعلان عن تأسيس تنظيمات تعبر عن وجودهم مثل "اتحاد الملحدين العرب" و"مركز تحالف الإلحاد الدولي".
- ممارسة الاحتجاج السياسي: حيث اتجه عدد من الملحدين ومتطرفو التغريب والعلمنة في دول الإقليم إلى تنظيم احتجاجات تتحدى القيم المجتمعية المحافظة، يتم فيها توظيف الجسد وكتابة شعارات تتحدى الثوابت الدينية والمجتمعية، والتنديد بالخطاب الديني وأئمة المساجد.
- تدويل المطالب الحقوقية: حيث تتجه بعض الجماعات الإلحادية للضغط على الحكومات من خلال توظيف المنظمات الحقوقية الدولية، وادعاء تعرضها للاضطهاد والملاحقة الأمنية، ومحاولة انتزاع وضعية الأقلية الدينية.

من مظاهر الإلحاد المعاصر:

- ازدراء الأديان وتحدي المعتقدات السائدة والقيام بالممارسات الإلحادية مثل قيام أحد الملحدين بنشر صورة وهو يرفع لافتة في الحرم المكي مكتوبًا عليها بالإنجليزية "ملحد وأفتخر" ونشر آخرين مقاطع فيديو يقومون خلالها بتدنيس أو تمزيق الكتب المقدسة للأديان السماوية الثلاث، وقيام مدونين على موقع "تويتر" برصد مكافآت مالية لمن يعلن إلحاده على الملأ.

- سب الذات الإلهية والتنقص من رب العالمين تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.
- الاستهزاء بالرسل الكرام والقرآن العظيم والسنة النبوية.
- الاستهزاء بالشعائر الدينيّةِ جميعها كالحجاب والصلاة، ووصف أهلها بالرجعيينَ والمتخلّفينَ، ومحاربة أي دعوةٍ تدعو إلى التديّن، أو صبغ الحياةِ بمظاهر الدين.
- الهجوم اللاذع على كل ماهو من دين الإسلام، والطعن بالمصطلحات الإسلامية.
- استعمال أداة الإرهاب، وذلك بربط كل المشاكل والشرور في العالم بالمتدينين.
- الاحتفاء المبالغ بالإلحاد ورموزه وتتبع أخبارهم والإعجاب بهم بتعليق صورهم وطلب توقيعاتهم؛ مما جعل الحالة تكاد تصل للتقديس.

حكم الإلحاد في الإسلام:

الإلحاد مذهبٌ غريبٌ منافٍ للفطرة والعقل والمنطق السَّليم، ومناقض لبدهيات العقل ومسلَّمات الفكر، وهو أكبر ذنباً من الشِّرك، قال ابن تيمية:" الكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب، بل شكٌ وريبٌ أو إعراضٌ عن هذا كلِّه، حسداً أو كبراً أو اتباعاً لبعض الأهواء الصَّارفة عن اتِّباع الرِّسالة، وإنْ كان الكافر المكذِّب أعظم كفراً، وكذلك الجاحد المكذِّب حسداً مع استيقان صدق الرُّسل". ويقول أيضاً:" مَن أنكر المعاد مع قوله بحدوث هذا العالم فقد كفَّرَه الله، فمن أنكره مع قوله بقدم العالم فهو أعظم كفراً عند الله تعالى".

رابعاً: الشيوعية

التعريف:

الشيوعية: هي مذهبٌ فكريٌ يقوم على الإلحاد، وأنَّ المادة هي أساسُ كلِّ شيء، ويفسِّر التَّاريخ بصراع الطَّبقات وبالعامل الاقتصادي.

ظهورها:

ظهرت في ألمانيا على يد مَاركِس وإِنْجِلز، وتجسَّدت في الثورة البَلشَفيَّة التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م بتخطيط من اليهود، وتوسَّعت على حساب غيرها بالحديد والنَّار، وتقوم على إنكار وجود الله وتكذيب الأنبياء كافَّة والكفر بالأديان جميعاً.

أسباب نشأتها وانتشارها:

١ - الظُّلم الفظيع الذي نزل بالطبقة العاملة عقب التَّحول الاجتماعي الكبير المسمى (الثورة الصِّناعية).

٢ - التَّخطيط اليهودي فمؤسِّس الشُّيوعية (مَارِكس) يهودي وكثير من زعماء الدُّول الشُّيوعية ورؤساء الأحزاب الشُّيوعية في العالم يهود.

٣ - انتشار الإلحاد بعد انتصار العلم الحديث في معركته مع خرافات الكنيسة.

أهم مبادئ الشيوعية:

١. لا إله والحياة مادَّة: ومضمونه إنكار وجود الله وتكذيب الأنبياء جمعياً والكفر بكلِّ العقائد الدِّينية والأخلاق المستمدَّة منها، وإخضاع الحياة الإنسانيَّة لقوانين الاجتماع الحيواني وقوانين المادة الصَّماء.

٢. التَّفسير المادِّي للتَّاريخ: تعتقد الشُّيوعية -بناء على حيوانية الإنسان - أنَّ البحث عن الطعام هو دافع الإنسان الوحيد لكلِّ عمل وفكرة، وأنَّ أديان النَّاس وأخلاقهم ما هي إلا انعكاس لوضعهم الاقتصادي.

٣. يحاربون الأديان ويعتبرونها وسيلة لتخدير الشُّعوب وخادماً للرَّأسمالية والإمْبِريَالية والاستغلال مستثنين من ذلك اليهودية؛ لأنَّ اليهود شعبٌ مظلومٌ يحتاج إلى دينه ليستعيد حقوقه المغتصبة.

٤. يحاربون الملكيَّة الفرديَّة ويقولون بشُيوعيَّة الأموال وإلغاء الوراثة.

٥. تتَركَّز اهتماماتهم بكلِّ ما يتعلق بالمادة وأساليب الإنتاج.

٦. يعتقدون بأنَّه لا آخرة ولا عقاب ولا ثواب في غير هذه الحياة الدنيا.

٧. يؤمنون بأزليَّة المادَّة وأنَّ العوامل الاقتصاديَّة هي المحرِّك الأول للأفراد والجماعات.

٨. تؤمن الشُّيوعيَّة بالصِّراع والعنف وتسعى لإثارة الحقد والضَّغينة بين العُمَّال وأصحاب الأعمال.

حكم الشيوعية في الإسلام:

الشُّيوعية مذهبٌ إلحاديٌ كفري؛ حيث يعتبر أنَّ الإنسان جاء إلى هذه الحياة بمحض المصَادفة، وليس لوجوده غاية وبذلك تصبح الحياة عبثاً لا طائل تحته، وهذا إنكار للخالق، ويقوم أيضاً على تكذيب الأنبياء كافَّة والكفر بالأديان جميعاً.

خامساً: الوجودية (العصريّة- الحداثة).

التعريف:

الوجودية: اشتقاق من الوجود.

وفي الاصطلاح: هي اتجاهٌ فلسفيٌ يغلُو في قيمة الإنسان ويبالغ في التَّأكيد على تفرُّده، وأنَّه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى مُوجِّه، بل وجوده نفسه هو الذي يحدِّد المنهج

الذي يسير عليه والسُّلوك الذي يتخلَّق به، وكلُّ فردٍ حرٌ في الاختيار والتَّحديد، وتسمى عند الغرب (بالعصرانية والحداثة).

أقسام الوجودية:

تتقسم الوجودية إلى قسمين:

١ - الوجودية الصُّوفية: ويسمونها (الوجودية المؤمنة) وأشهر زعمائها (كارل ياسبرز) المتوفى سنة (١٩٦٩م)، وهي مثال المعاناة القاسية الناتجة عن عدم الثقة في العقيدة النَّصرانية، مع إلحاح الفطرة على ضرورة الإيمان دون أن تهتدي للإيمان الصحيح، فأصحابها لا ينكرون وجود الله ولكنهم غير مقتنعين بإله الكنيسة، فذهبوا يتخبطون في متاهات التَّصوف الهندوسي وغيره.

٢ - الوجودية الإباحيَّة: ويُسمُّونها (الوجودية الملحدة)، وهي المقصودة إذا قيل الوجودية بإطلاق، وأصلها الفيلسوف اليهودي الألماني نَيْتَشه المتوفى سنة (١٩٠٠م)، وقد كان بحكم يهوديته عدواً للنَّصرانية، فأعلن بجرأة أنَّ الرَّب قد مات وحلَّ محلَّه الإنسان الأعلى (سوبر مان)، الذي يمثله مجموعة مختارة من الأفذاذ يجب أنْ يخضع لهم سائر الناس، وأعلن أنَّ النَّصرانية هي أغلالٌ وقيودٌ تقضي على إنسانية الإنسان وحريَّته وتجعله عبداً ذليلاً لمجموعة رجال الكنيسة.

الأفكار والمعتقدات:

١. يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكلِّ الغيبيَّات وكلِّ ما جاءت به الأديان ويعتبرونها عوائق أمام الإنسان نحو المستقبل، وقد اتَّخذوا الإلحاد مبدأ ووصلوا إلى ما يتبع ذلك من نتائج مدمِّرة.
٢. يؤمنون إيماناً مطلقاً بالوجود الإنساني ويتخذونه منطلقاً لكلِّ فكرة.
٣. يعتقدون بأنَّ الإنسان أقدم شيء في الوجود وما قبله كان عدماً وأنَّ وجود الإنسان سابق لماهيته.
٤. يعتقدون أنَّ الأديان والنَّظريات الفلسفية التي سادت خلال القرون الوسطى والحديثة لم تحل مشكلة الإنسان.
٥. يقولون بحريَّة الإنسان المطلقة وأنَّ له أنْ يثبت وجوده كما يشاء وبأيِّ وجه يريد دون أن يُقيِّده شيء.
٦. يقولون: إنَّ على الإنسان أنْ يطرح الماضي وينكر كل القُيود دينية كانت أم اجتماعية أم فلسفية أم منطقية.
٧. يقول البعض منهم إنَّ الدِّين محلَّه الضَّمير أمَّا الحياة بما فيها فَمَقُودة لإرادة الشَّخص المطلقة.

٨. لا يؤمنون بوجود قيمٍ ثابتةٍ توجِّه سلوك النَّاس وتضبطه، بل الإنسان يفعل ما يريد وليس لأحدٍ أنْ يفرض عليه.

خطر الوجودية على العالم الإسلامي:

تعتبر الوجودية من أخطر المذاهب الفكرية على أبناء المسلمين، فقد آمن بها بعض الشَّباب المثقَّف بالثقافة الغربيَّة، ساعد على ذلك الغزو الفكري وضعف التربية الإسلامية والوعي الإسلامي، وكذلك التَّمرد وحبَّ الظُّهور، والمخالفة لدى الشَّباب، وتزداد خطورة الوجودية في العالم الإسلامي من أنهم يَنْفذُون من ثغرة لا يفطن لها النَّاس كثيراً وهي الأدب: (الرِّواية، الشِّعر، المسْرح، النَّقد)، وقد تمخَّض عن تلاقح الماركسيَّة والوجوديَّة وبعض المذاهب الأخرى ظهور فلسفة إلحاديَّة جديدة تسمى (البنَّائية) أو (البَنْيُويَة)، وهي لا تختلف عن الوجوديَّة في جوهرها وحقيقتها، ولكنها تدَّعي أنها أكثر منها شمولاً وأعمق تحليلاً، ويزعم أنصارها أنها فلسفة المستقبل وأنها سوف تقضي على كلِّ المبادئ والقيم والأحكام، وتؤسِّس محلَّها مبادئ وقيماً وأحكاماً جديدة -أي نظرة جديدة للكون والإنسان والدين - ولهذا تسمى في الغرب (العصريَّة)، وقد ترجمت إلى (الحداثة)، وهو مصطلح خادع، وقع في شباكه كثيرون دون علم بما يحويه من مضمون، فإنَّ التَّحديث الذي يدعون إليه ليس مقصوراً على اللغة والأدب على ما في هذا من خطورة وهدم، ولكنه فلسفةٌ ونظرةٌ إلى الحياة والأخلاق والدِّين وكلَّ شيء، وتغييرٌ شاملٌ للمفاهيم والأوضاع والأعراف وثورة على كلِّ سلطة حسيَّة ومعنويَّة.

حكم الوجودية في الإسلام:

الوجودية مذهب كفري إلحادي، يمسخ الوجود الإنساني ويلغي رصيد الإنسانية من الأديان وقيمها الأخلاقية، ولذلك تختلف نظرة الإسلام تماماً عن نظريَّة الوجوديَّة، حيث يقرِّر الإسلام أنَّ هناك وجوداً زمنياً بمعنى عالم الشَّهادة، ووجوداً أبديًّا بمعنى عالم الغيب، والموت في نظر الإسلام هو النهاية الطبيعيَّة للوجود الزَّمني، ثمَّ يكون البعث والحساب والجزاء والعقاب، أمَّا الفلسفة الوجوديَّة فلا تُسلِّم بوجود الرُّوح ولا القوى الغيبية، وتقوم على أساس القول بالعَدَميَّة والتَّعطيل، فالعالم في نظرهم وجد بغير داعٍ ويمضي لغير غاية، والحياة كلُّها سَخَفٌ يورث الضَّجر والقلق ولذا يتخلَّص بعضهم منها بالانتحار.

سادساً: العقلانية:

- **تعريف العقلانية:**

العقلانية: هي مذهبٌ فكريٌ يزعم أنَّه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي، بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التَّجربة البشرية، وكذلك يرى إخضاع كلَّ شيءٍ في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه.

وفي الفكر الإسلامي نجد إطلاق وصف العقلانية - العقلية ، على مذهب أو فردٍ ما داخلاً في هذا المعنى العام ، ذلك أن اي مذهب يقوم على تقديم العقل على النقل في الفكر الاسلامي فهو مذهب عقلي.

- **التأسيس:**

العقلانية مذهب قديم جديد بنفس الوقت. برز في الفلسفة اليونانية على يد سقراط وأرسطو، وبرز في الفلسفة الحديثة والمعاصرة على أيدي فلاسفة أثَّروا كثيراً في الفكر البشري أمثال: ديكارت وليبنتز وسبينوزا وغيرهم.

- **أهم أفكارهم:**

تعتمد العقلانية على عدد من المبادئ الأساسية هي:

أولاً: العقل هو المرجع الوحيد في تفسير كلِّ شيءٍ في الوجود وليس الوحي.

ثانياً: يمكن الوصول إلى المعرفة عن طريق الاستدلال العقلي وبدون لجوء إلى أيَّة مقدِّمات تجريبيَّة.

ثالثاً: عدم الإيمان بالمعجزات أو خوارق العادات.

رابعاً: إثبات وجود الأفكار في عقل الإنسان قبل أنْ يستمدها من التَّجربة العمليَّة الحياتيَّة، أي أنَّ الإدراك العقلي المجرد سابق على الإدراك المادي المجسد.

التقارب بين العقلانية والمعتزلة:

في المجتمع الإسلامي نجد أنَّ المعتزلة تقترب من العقلانية جزئيًّا، إذ اعتمدوا على العقل وجعلوه أساس تفكيرهم، ودفعهم هذا المنهج إلى تأويل النُّصوص من الكتاب والسُنَّة التي تخالف رأيهم، ولعلَّ أهم مقولة لهم قولهم بِسُلْطة العقل وقدرته على معرفة الحسَن والقبيح ولو لم يرد بها شيء، ونقل المعتزلة الدِّين إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية وذلك لتأثرهم بالفلسفة اليونانية، وقد فنَّد علماء الإسلام آراء المعتزلة في عصرهم، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل ثمَّ جاء بعد ذلك ابن تيميَّة وردَّ عليهم ردًّا قويًّا في كتابه درء تعارض العقل والنقل، وبيّن أنَّ صريح العقل لا يمكن أنْ يكون مخالفاً لصحيح النقل،

وهناك من يحاول اليوم إحياء فكر المعتزلة، إذ يَعُدُّونهم أهل الحريَّة الفكرية في الإسلام، ولا يخفى ما وراء هذه الدَّعوة من حرب على العقيدة الإسلامية الصَّحيحة، وإنْ لبست ثوب التَّجديد في الإسلام أحياناً، فأطلقوا عليها أسماء جديدة مثل: العقلانيّة أو التَّنوير أو التَّجديد أو التَّحرر الفكري أو التَّطور أو المعاصرة أو التَّيار الديني المستنير أو اليسار الإسلامي.

سابعاً: العلمانية

التعريف:

العلمانية: تعني اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على أسس مادية مصلحية بعيداً عن الدين.

ومدلول العلمانية المتفق عليه هو: عزلُ الدِّين عن الدولة وحياة المجتمع، وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصَّة بينه وبين ربه، فإنْ سُمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشَّعائر التعبدية والمراسم المتعلِّقة بالزواج والوفاة ونحوهما.

أسباب ظهور العلمانية في الغرب:

ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر، وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر، وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر، أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين، وقد اختيرت كلمة علمانية لأنها أقلُّ إثارة من كلمة لا دينيَّة، وكان أهم أسباب ظهور العلمانية في الغرب التالي:

أولاً: طغيان رجال الكنيسة: لقد عاشت أوروبا في القرون الوسطى تحت طغيان رجال الكنيسة وهَيمَنتِهم، وفساد أحوالهم، واستغلال السلطة الدينية لتحقيق أهوائهم، وإرضاءِ شهواتهم، تحت قناع القداسة التي يضفونها على أنفسهم، وقد شملت هيمنة الكنيسة النواحي الدينية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمانية، ففرضت بطغيانها هذا عقيدةَ التثليث قهرًا، التي عملت دسائس اليهود منذ القرن الأول الميلادي على إدخالها في المسيحية، وحرَّمت ولعنت مخالفيها.

ثانيًا: الصراع بين الكنيسة والعلم: وكان ذلك في عصر انفجر فيه بركان العقلية في أوروبا، وحطم علماء الطبيعة والعلوم سلاسل التقليد الديني، فقامت قيامة الكنيسة، وقام رجالها المتصرفون بزمام الأمور في أوروبا وكفَّروهم واستحلوا دماءهم وأموالهم.

ثالثًا: الثورة الفرنسية: ونتيجة لوضع الكنيسة ودينها المحرف، دبَّر اليهود مكايدهم لاستغلال الثورة النفسية التي وصلت إليها الشعوب الأوروبية، لا سيما الشعب الفرنسي، فأعدوا الخطط اللازمة لإقامة الثورة الفرنسية الرامية إلى تغيير الأوضاع السائدة، وفي مقدمتها عزل الدين النصراني المحرف - الذي حارب العلم - عن الحياة، وحصره في داخل الكنيسة، وفعلاً قامت الثورة الكبرى

عام (١٧٨٩م)، ومما يدل على أن الثورة الفرنسية هي من صنع اليهود وتدبيرهم ما تتبجح به بروتوكولاتهم فتقول: "تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها (الكبرى)، إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا جيدًا؛ لأنها مِن صنع أيدينا".

رابعًا: طبيعة التعاليم النصرانية: إن التعاليم النصرانية قد تحوَّلت إلى طقوس جامدة لا حياة فيها، مثل: "من لطمك على خدك الأيمن، فحوِّل له الآخر أيضًا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضًا، ومن سخَّرك ميلاً واحدًا فاذهب معه اثنين"، "لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون، ولا للجسد بما تلبَسون"؛ فنظَرت أوروبا إلى هذه التعاليم الموغلة في السماحة فوجدتها بعيدة عن واقع الحياة وظروف العصر.

خامسًا: دور اليهود: وليس غريبًا أن يكون اليهود وراء الدعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين؛ وذلك من أجل السيطرة، ومن أجل إزالة الحاجز الديني الذي يقف أمام اليهود حائلاً بينهم وبين أمم الأرض.

عوامل انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي:

بدأت فكرة العلمانية تغزو العالم الإسلامي منذ زمن طويل لكنها لم تتمكن إلا في بداية القرن العشرين الميلادي، حين طبقت - على مستوى الدولة - على أنقاض الخلافة العثمانية ثم سرت إلى أكثر بلدان العالم الإسلامي وكانت هناك عدة عوامل رئيسية ساعدت على ظهور انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي أهمها:

أولاً: انحراف كثير من المسلمين عن العقيدة الصحيحة، المستمدة من الكتاب والسنة، فكثرت البدع والخرافات والشعوذة والأهواء وقلَّ الفقه في الدين، وظهور الفرق الصوفية صاحبة النظرة العدائية إلى الحياة الدنيا تلك المتأثرة بالفكر البوذي والفلسفات المنحرفة.

ثانياً: الاستعمار للعالم الإسلامي الذي عمل على نشر الثقافة الغربية، وتشجيع مدارس التبشير المسيحي، وتشجيع الطوائف المنحرفة.

ثالثاً: الغزو الفكري: وذلك بمحاولة إبعاد المسلمين عن دينهم بوسائل مختلفة، وتحت أسماء خادعة رقيقة مثل: "التغريب، التحديث أو الحداثة، التحضر، التغيير الاجتماعي، وعملت العلمانية في مجالاتها، وشقت طريقها في مجاريها".

رابعاً: المستشرقون: من خلال التدريس الجامعي، وجمع المخطوطات العربية وفهرستها، والتحقيق والنشر والترجمة، والتأليف في شتى مجالات الدراسات العربية والإسلامية.

خامساً: المنصّرون: من خلال تركيز جهودهم في النواحي الاجتماعية والتربوية، ونشر كتبهم والتمثيليات، والأفلام، والمدارس المختلفة التي بدأت بالأجنبية.

سادساً: الأقليات غير المسلمة داخل المجتمعات الإسلامية: وذلك أن النصارى، واليهود، والشيوعيون، وأصحاب الاتجاهات المنحرفة من جمعيات وأحزاب ونحوهم، وكل هؤلاء لا ينعمون بضلالتهم وانحرافهم وفسادهم إلا تحت شعار كشعار ما يسمى بالعلمانية، لذلك تضافرت جهودهم على نشرها وبثها، والدعاية لها، حتى انخدع بذلك كثيرون من السذج، وأنصاف المتعلمين من أبناء المسلمين.

سابعاً: تقدم الغرب في العلم المادي؛ جعل كثيرين من المسلمين ينبهرون بذلك التقدم.

ثامناً: البعثات إلى الخارج: إن الطلاب الذين يذهبون من أبناء المسلمين إلى الدول غير الإسلامية، ولم تكن لديهم الحصانة الكافية من عقيدتهم، إن هؤلاء من أخطر الوسائل؛ لأن كثيراً منهم تعلقوا بقيم الغرب أو الشرق ومثله وعاداته، وقد عاد هؤلاء إلى بلدانهم وهم يحملون ألقاباً علمية وضعتهم في مناصب التوجيه، ونظر الناس إليهم على أنهم قدوة؛ لأنهم وطنيون .

الأفكار والمعتقدات:

١ - بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً.

٢ - وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أيَّة علاقة بين الله وبين حياة الإنسان.

٣ - الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتَّجريب.

٤ - فصل الدِّين عن السِّياسة وإقامة الحياة على أساس مادي.

٥ - تطبيق مبدأ النفعيَّة على كلِّ شيء في الحياة.

٦ - نشر الإباحيَّة والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية.

٧_ الطَّعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنُّبوة، وأنَّ الإسلام عبارة عن طقوس وشعائر روحية، لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التَّخلف.

٨ - الدَّعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي.

٩ - تشويه الحضارة الإسلامية وتضخيم حجم الحركات الهدَّامة في التَّاريخ الإسلامي والزَّعم بأنها حركات إصلاح.

١٠ - اقتباس الأنظمة والمناهج اللاَّدينية عن الغرب ومحاكاته فيها.

حكم الإسلام في العلمانية:

العلمانية نظامٌ طاغوتيٌ جاهليٌ يتنافى مع لا إله إلا الله من ناحيتين أساسيَّتين متلازمتين:

أولاً: من ناحية كونها حكماً بغير ما أنزل الله.

ثانيا: من ناحية كونها شركاً في عبادة الله.

إذن العلمانيَّة تعني الحكم بغير ما أنزل الله، فهذا هو معنى قيام الحياة على غير الدِّين، ومن ثمَّ فهي -بالبديهة أيضاً- نظامٌ جاهليٌّ لا مكان لمعتقده في دائرة الإسلام، بل هو كفرٌ بنصِّ القرآن الكريم قال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة:٤٤].

ثامناً: الليبرالية

التعريف:

الليبرالية: مصطلح أجنبي معرَّب، تعني: التَّحرُرِية، وهي: مذهب فكري يعتمد على العيش المشترك داخل المجتمع والبلد الواحد، دون وجود أي تمييز بين الأفراد، ويحق لكل فرد تبني الأفكار السياسية، والدينية، والاجتماعية التي يريدها، ولا تفرض عليه أية أفكار أخرى، ومن واجباته احترام أفكار الآخرين، مثلما يريد منهم أن يحترموا أفكاره

أهم أفكار الليبرالية:

١ - أنَّ الفرد حرٌّ في أفعاله ومستقلٌ في تصرفاته دون أيِّ تدخل من الدولة أو غيرها، ووظيفة الدولة حماية هذه الحريَّة.

٢ - الفرديَّة، وهي: تعني استقلال الفرد وحريَّته، ومن ذلك: حريَّته في التدين، وحريَّة المرأة ومساواتها بالحقوق والواجبات مع الرجل.

٣ - العقلانية، أي: استقلال العقل البشري بإدراك المصالح والمنافع دون حاجة إلى قوى خارجية.

٤ - أنَّ الدولة محايدة فيما يتعلق بالاعتقاد الديني؛ لأنَّ الحريَّة تقتضي عدم القطع واليقين؛ لأنَّه لا يمكن الوصول للحقيقة إلا بواسطة العقل من خلال التجربة.

٥ - فصل الدِّين عن الدولة.

٦ - إخضاع المُقدَّس والتراُث للنَّقد العلمي.

الفرق بين العلمانية والليبرالية:

١. أنَّ العلمانية ترى أنَّ للسلطة السياسية الحق في المنع والتحريم، بينما ترى الليبرالية أنَّه لا يجوز لأيَّ سلطة مهما كانت أنْ تحرِّم على النَّاس شيئا أو تمنعهم منه، لأنَّ ذلك يمس بحرياتهم.

٢. العلمانية مذهب يقوم على إبعاد الدِّين عن السياسة، ثمَّ لا يَهُم كيف يتم تنظيم الرؤية السياسية بعد ذلك فقد يكون هذا التنظيم عبر الديمقراطية أو الملكية، أمَّا صورة المجتمع الليبرالي فالنَّاس فيه يعيشون بنظام ما قبل وجود القانون، أي: أنَّه لا وجود للسُّلطة، وليس

هناك غير مجتمع مدني فيه جمعيَّات ومنظَّمات يسيطر عليها الأرسْتقراطِيون، أما من الناحية الدينية، فإنَّ الناس يفعلون ما بدا لهم.

حكم الليبرالية في الإسلام:

اللِّيبرالية فكرة غربيَّة مستوردة وهي تنفي ارتباطها بالأديان كلَّها وتعتبر كافَّة الأديان قيوداً ثقيلة على الحريَّات لا بدَّ من التخلُّص منها، فهي مناقضة للإسلام في أصوله ومنهجه وأخلاقه وقيمه؛ لأنهَّا تعني في الإسلام ألواناً متعدِّدة من الكفر والشِّرك المناقض لحقيقته، وأشكالاً مختلفة تنافي أخلاقه وقيمه الكريمة، وهي أيضاً تعتمد على العقلانية المنكرة للوحي والماديَّة المضادَّة للقيم والأخلاق.

فهي دعوة إلى الإلحاد ورفض الأديان حيث لا تعترف بهيمنة الدِّين على الحياة الإنسانيَّة، فقد نَمَت هذه الفكرة في أجواء رافضة للدِّين، ومعترضة عليه، وهي تريد أنْ تعطي الإنسان حريَّته المطلقة بالتَّحلل من قيود الأديان والقيم والأخلاق.

مادة الفقه(٤)

مقدمة

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

قال صلى الله عليه وسلم:" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ". أخرجه الترمذي وحسنه. فالتفقه في الدين منزلته في الإسلام عظيمة، ودرجته في الثواب كبيرة؛ لأن المسلم إذا تفقه في أمور دينه، ويعرف ما له، وما عليه من حقوق وواجبات؛ يعبد ربه على علم وبصيرة، وتكون عبادته على نور وهدى من الله تعالى.

وبين أيديكم مقرر فقه (٤) وهو ميسر في الفقه الإسلامي للفصل الثاني من المستوى الثاني، يساعد طالب العلم على فهم أساسيات المسائل والأحكام الفقهية بشمولية وسهولة...

كتاب الجنايات:

●**تعريف الجِناية:** الجِناية جمعها جنايات، وهي لغة: التعدي على بدن أو مال أو عرض، وقد جعل الفقهاء كتاب الجنايات خاصاً بالتَّعدي على البدن، وكتاب الحدود خاصاً بالتعدي على المال والعرض. الجناية شرعاً: التعدِّي على البدن بما يوجب قصاصاً، أو مالاً، أو كفارة.

●**أقسام الجناية:** تنقسم الجناية إلى قسمين: جناية على النفس. وجناية على ما دونها:

أولًا -الجناية على النفس:

أ -**تعريفها:** هي كل فعل يؤدي إلى زهوق النفس، وهي القتل. وأجمع المسلمون على تحريم القتل بغير حق؛ لقوله تعالى:(وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) [الإسراء: ٣٣]. ولحديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة" رواه البخاري ومسلم. فتحريم القتل بغير حق ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع.

ب -**حكم قاتل النفس بغير حق:** إذا قتل شخص شخصاً متعمداً بغير حق فحكمه أنه فاسق؛ لارتكابه كبيرة من كبائر الذنوب، وقد عظَّم الله شأن القتل، فقال سبحانه:(مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) [المائدة: ٣٢]. وقال ﷺ:" لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يُصب دماً حراماً" أخرجه البخاري. وقد توعده الله سبحانه، فقال:(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا...) [النساء: ٩٣]. وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، لقوله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [النساء: ٤٨]. فهو داخل تحت المشيئة؛ لأن ذنبه دون الشرك. هذا إن لم يتب، أما إذا تاب فتوبته مقبولة؛ لقوله ﷻ:(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر: ٥٣]، ولكن لا يسقط حق المقتول في الآخرة بمجرد توبة القاتل.

ت -**أنواع القتل:** ينقسم القتل إلى ثلاثة أقسام: القتل العمد، وشبه العمد، والخطأ. والخطأ والعمد ورد ذكرهما في قوله تعالى:(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا) [النساء: ٩٢]. وقوله تعالى:(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) [النساء: ٩٣]. وأما شبه العمد: فثبت في السنة المطهرة أن النبي ﷺ قال:" عقل شبه العمد مغلظ، مثل عقل العمد" رواه أبو داود وأحمد، وحسَّنه الأرناؤوط في حاشية المسند. **وإلى تفصيل القول في هذه الأقسام الثلاثة:**

●**القسم الأول: قتل العمد:**

-**حقيقته:** أن يقصد القاتل آدمياً معصوماً، فيقتله بما يغلب على الظن موته به. فعلى هذا لابد من توافر ثلاثة شروط، حتى يكون القتل عمداً، فإن اختل شرط من هذه الشروط لم يكن القتل عمداً:

١ -وجود القصد من القاتل، وهو إرادة القتل.

٢ -أن يعلم أن الشخص الذي قصد قتله آدمي معصوم الدم.

٣ -أن تكون الآلة التي قتله بها مما تصلح أن تكون للقتل عادة، سواء أكانت محددة أم غير محددة.

-**صور القتل العمد:**

١ -أن يضربه بمُحَدَّد، وهو ما يقطع ويدخل في البدن؛ كالسيف والسكين والرمح وما في معناها.

٢ -أن يقتله بِمُثَقَّل كبير، كالحجر الكبير والمطرقة ونحوها؛ لحديث أنس بن مالك ﷺ:" أن جارية وجد رأسها قد رُضَّ (دق وكسر) بين حجرين. فسألوها: من صنع هذا بك؟ فلان؟ حتى ذكروا يهودياً، فأومت برأسها، فأُخذ اليهودي، فأقرَّ، فأمر به رسول الله ﷺ أن يرض رأسه بالحجارة" رواه البخاري ومسلم.

٣ -أن يمنع خروج نَفَسِهِ، كأن يخنقه بحبل ونحوه، أو يسد فمه، وأنفه، حتى يموت.

٤ -أن يسقيه سُمًّا لا يعلم به، أو يطعمه شيئاً قاتلاً، فيموت به.

٥ -أن يلقيه في مهلكة يكثر فيها السباع، أو ينعدم فيها الماء.

٦ -أن يلقيه في ماء يغرقه، أو نار تحرقه، ولا يمكنه التخلص منهما.

٧ -أن يحبسه، ويمنع عنه الطعام والشراب زمناً يموت فيه غالباً، فيموت بذلك جوعاً أو عطشاً.

٨ -أن يلقيه إلى حيوان مفترس كأسد، أو حية قاتلة، فيموت من ذلك.

٩ -أن يتسبب في قتله بما يقتل غالباً، كأن يشهد عليه بما يوجب قتله من زنى أو ردة أو قتل، فيقتل، ثم يرجع الشهود عن شهادتهم، ويقولون: تعمدنا قتله، فيقتلون به.

● **حكم قتل العمد:** لقتل العمد حكمان:

١ -حكم أخروي: وهو تحريم القتل، ولفاعله الإثم العظيم، والعذاب الأليم، إن لم يتب، أو يعفو الله عنه؛ لقوله تعالى:(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) [النساء: ٩٣].

٢ -حكم دنيوي: فيترتب على قتل العمد القصاص إن لم يعف أولياء المقتول؛ لقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ) [البقرة: ١٧٨]، ولحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من قُتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يعفو وإما أن يُقتل" وفي رواية:" إما أن

يقاد وإما أن يُفدى" رواه البخاري ومسلم. فولي الدم مخير بين القصاص، أو العفو بلا مقابل، أو أخذ الدية وهي بدل عن القصاص وله الصلح على أكثر منها. قال الموفق: لا أعلم فيه خلافاً؛ لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً:" من قَتَلَ عمداً دُفع إلى أولياء المقتول، فإن شاؤوا قتلوا، وإن شاؤوا أخذوا الدية، وهي ثلاثون حِقَّةً وثلاثون جَذَعَةً وأربعون خَلِفَةً، وما صُولحوا عليه فهو لهم وذلك تشديد العقل" رواه ابن ماجه وغيره بسند حسن، والحقة من الإبل: ما أتمت ثلاث سنين ودخلت في الرابعة، والجذعة: ما أتمت أربع سنين، ودخلت في الخامسة، والخلفة: الحامل من الإبل، وجمعها مخاض من غير لفظها. وعفوه بلا مقابل أفضل؛ لقوله تعالى:(وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) [البقرة: ٢٣٧].

●**شروط القصاص في النفس:** يستحق ولي القتيل القصاص بشروط أربعة:

١ -أن يكون القاتل مكلفاً، وهو البالغ العاقل. فلا قصاص على الصغير والمجنون والمعتوه والنائم، لقوله ﷺ:" رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبيّ حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يفيق"، ولأن هؤلاء ليس لهم قصد صحيح، أو لعدم وجود القصد منهم.

٢ -أن يكون المقتول معصوم الدم؛ لأن القصاص شرع لحقن الدماء، ومهدر الدم غير محقون، فلو قتل مسلم كافراً حربياً، أو مرتداً قبل توبته، أو زانياً محصناً، فلا قصاص عليه، ولا دية، لكنه يعزر لتعدِّيه على الحاكم.

٣ -التكافؤ بين القاتل والمقتول، فيساويه في الحرية والدين والرق، فلا يقتل مسلم بكافر، ولو كان المسلم عبداً والكافر حراً؛ لقوله ﷺ:" لا يقتل مسلم بكافر" أخرجه البخاري. ولا يقتل حر بعبد؛ لقوله تعالى:(الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ) [البقرة: ١٧٨] وما سوى ذلك فلا يؤثر التفاضل في شيء منها في القصاص، فيقتل الشريف بالوضيع، والذكر بالأنثى، والصحيح بالمجنون والمعتوه؛ لعموم قوله تعالى:(وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) [المائدة: ٤٥].

٤ -عدم الولادة، فلا يكون المقتول ولداً للقاتل ولا لولده وإن سفل، فلا يقتل أحد الأبوين وإن علا بالولد وإن سفل، لقوله ﷺ:" لا يقتل والد بولده" أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني. ويقتل الولد بكل من الأبوين؛ لعموم قوله تعالى:(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى) [البقرة: ١٧٨].

-**الحكمة من القصاص:** شرع الله سبحانه القصاص؛ رحمة بالناس، وحفظاً لدمائهم، وزجراً عن العدوان، وإذاقة للجاني ما أذاقه لغيره، وفيه إذهاب لحرارة الغيظ من قلوب أولياء المجني عليه، وفيه حياة للناس، وبقاء للنوع الإنساني، كما قال سبحانه:(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) [البقرة: ١٧٩].

-شروط استيفاء القصاص: إذا توافرت شروط استحقاق القصاص ووجوبه، فإنه لا يستوفى من الجاني ولا توقع العقوبة عليه إلا بشروط ثلاثة، وهي:

١ -أن يكون مستحق القصاص مكلفاً بالغاً عاقلاً، فإن كان مستحقه أو بعضهم صبياً أو مجنوناً، لم ينب عنهما غيرهما في استيفائه، وإنما يحبس الجاني إلى حين بلوغ الصغير، وإفاقة المجنون؛ وقد فعله معاوية رضي الله عنه وأقرَّه الصحابة، فكان كالإجماع منهم.

٢ -اتفاق أولياء الدم المستحقين للقصاص جميعاً على استيفائه، وليس لبعضهم الانفراد به، لئلا يكون مستوفياً لحق غيره بغير إذنه، فينتظر قدوم الغائب، وبلوغ الصغير، وإفاقة المجنون، ومن مات من مستحقي القصاص قام وارثه مقامه. وإن عفا بعض مستحقي القصاص سقط القصاص.

٣ -أن يُؤْمَن عدم تعدي القصاص إلى غير الجاني؛ لقوله تعالى:(فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ) [الإسراء: ٣٣]. فإن وجب القصاص على حامل لا تقتل حتى تضع حملها؛ لأن قتلها يتعدى إلى الجنين. فإن وضعت ما في بطنها: فإن وجد من يقوم مقامها في إرضاع الولد أقيم عليها الحدُّ، وإن لم يوجد تركت حتى تفطمه لحولين؛ لقوله ﷺ في حديث الغامدية:" إذن لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه. فقام رجل من الأنصار فقال: إليَّ رضاعه يا نبي الله! فرجمها" أخرجه مسلم.

-من أحكام القصاص:

١ -ينفذ القصاص بحضور الحاكم أو نائبه، فهو الذي يقيمه ويأذن فيه؛ ليمنع من الجور فيه، ولإقامته على الوجه الشرعي، ودرءًا للفساد والتخريب والفوضى.

٢ -الأصل أن يفعل بالجاني كفعله بالمجني عليه؛ قال تعالى:(وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ) [النحل: ١٢٦]. ولأن النبي ﷺ رضَّ رأس اليهودي الذي قتل الجارية بين حجرين، كما فعل بها. وكذا إن قطع يديه ثم قتله، فعل به ذلك.

٣ -لا بد أن تكون الآلة التي ينفذ بها القصاص ماضية، كسيف وسكين ونحوه؛ لقوله ﷺ:" إذا قتلتم فأحسنوا القتلة" أخرجه مسلم.

٤ -إن كان ولي المقتول يحسن الاستيفاء على الوجه الشرعي، مَكَّنه الحاكمُ من ذلك، وإلا أمره أن يوكل من يقتص له، ممن يحسن ذلك.

●القسم الثاني: قتل شبه العمد:

-حقيقته: أن يقصد الاعتداء على شخص بما لا يقتل غالباً، فيموت المجني عليه، ويسمى أيضاً خطأ العمد، فهو يشبه العمد من جهة قصد ضربه، ويشبه الخطأ من جهة ضربه بما لم يقصد به القتل، فلذلك كان حكمه متردداً بين العمد والخطأ. وسواء في ذلك قصد العدوان عليه أو تأديبه.

-من صور قتل شبه العمد وأمثلته:

١ -أن يضربه في غير مقتل بسوط أو حجر صغير أو عصا صغيرة، أو يلكمه أو يلكزه في غير مقتل فيموت. واللَّكم: الضرب بجُمْع الكف، واللَّكز: الضرب بجمع الكف في الصدر.

٢ -أن يربطه ويلقيه إلى جانب ماء قد يزيد وقد لا يزيد، فيزيد الماء، ويموت منه، وكذا لو ألقاه في ماء قليل لا يغرق مثله فغرق.

٣ -أن يصيح بعاقل في حال غفلته فيموت، أو يصيح بصغير، أو معتوه، على سطح، فيسقط، فيموت.

-**حكم قتل شبه العمد:** لقتل شبه العمد حكمان:

١ -حكم أخروي: وهو الحرمة والإثم والعقاب في الآخرة؛ لأنه تسبب بفعله في قتل معصوم الدم، إلا أن عقابه دون قتل العمد.

٢ -حكم دنيوي: فيترتب عليه الدية مغلظة، ولا يترتب عليه قصاص كالعمد وإن طالب به ولي الدم، وتجب الكفارة في مال الجاني، وهي عتق رقبة، فإن لم يجد صام شهرين متتابعين. وتثبت الدية لولي الدم على عاقلة[1] القاتل مؤجلة في ثلاث سنوات؛ لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" عقل شبه العمد مغلظ مثل عقل العمد، ولا يقتل صاحبه" حسن، رواه الدار قطني، وحديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال:" ضربت امرأة ضرة لها بعمود فسطاط، وهي حبلى فقتلتها، فجعل رسول الله ﷺ دية المقتولة على عصبة القاتلة" رواه مسلم.

●**القسم الثالث: قتل الخطأ:**

-**حقيقته:** أن يقتل شخصاً من غير قصد لقتله.

-**أنواع قتل الخطأ:**

١ -الخطأ في الفعل، وهو فعلُ ما يجوز له فعله فيصيب آدمياً معصوماً لم يقصده، كأن يرمي صيداً، فيصيب إنساناً فيقتله، أو ينقلب وهو نائم على إنسان فيموت.

٢ -الخطأ في القصد، كأن يرمي ما يظنه مباحاً فيتبين آدمياً، كما لو رمى شيئاً يظنه صيداً، فيتبين آدمياً معصوماً.

٣ -أن يكون القاتل عمداً صغيراً أو مجنوناً، فعمد الصبي والمجنون يجري مجرى الخطأ؛ لأنهما ليس لهما قصد.

ويلحق بقتل الخطأ: القتل بالتسبب، كما لو حفر بئراً، أو حفرة في طريق، فتلف بسبب ذلك إنسان.

-**حكم قتل الخطأ:** لهذا القتل حكمان:

١– العاقلة: هي العصبة، وهم القرابة من قبل الأب الذين يعطون دية قتل الخطأ.

١ -حكم أخروي: وهو عدم الإثم والعقاب؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:" إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه" رواه ابن ماجه والبيهقي، وهو صحيح، وصححه الألباني في الإرواء.

٢ - حكم دنيوي: وهو وجوب الدية على عاقلة القاتل مؤجلة ثلاث سنين ومخففة في خمسة أنواع من الإبل؛ لقوله تعالى:(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا) [النساء: ٩٢]، ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:" قضى رسول الله ﷺ في جنين امرأة من بني لحيان سقط ميتاً بغُرَّةٍ: عبد أو أمة، ثم إن المرأة التي قَضَى عليها بالغرة توفيت [٢]، فقضى رسول الله ﷺ أن ميراثها لزوجها، وبنيها، وأن العقل على عصبتها" متفق عليه. وتجب على من قتل خطأً مع الدية كفارة وهي كالآتي:

-عتق رقبة مؤمنة: وهذا إذا كان يستطيع العتق، ويشترط في الرقبة أن تكون مؤمنة سليمة من العيوب؛ لقوله تعالى:(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) [النساء: ٩٢]. فإن لم يتمكن من العتق؛ لفقره أو لعدم وجود الرقيق، فإنه ينتقل إلى:

-صوم شهرين متتابعين إن كان يستطيع؛ لقوله تعالى:(فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ) [النساء: ٩٢]. فإن عجز عن الصوم لمرض أو كبر سن بقيت الكفارة متعلقة في ذمته، ولا يجزئ عنه الإطعام؛ لأن الله تعالى لم يذكره، والأبدال في الكفارة تتوقف على النص دون القياس.

ثانيًا -الجناية على ما دون النفس: وهي كل أذى يقع على الإنسان مما لا يودي بحياته، من الجراح وقطع الأعضاء ونحو ذلك، ويجب في ذلك القصاص لثبوت ذلك بالكتاب والسنة والإجماع: أما الكتاب: فقوله تعالى:(وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ) [المائدة: ٤٥]. وأما السنة: فقوله ﷺ في قصة كسر الرُّبَيِّع ثنية جارية:" كتاب الله القصاص" أخرجه البخاري ومسلم. وأجمع العلماء على وجوب القصاص فيما دون النفس، إن أمكن.

والجناية على ما دون النفس ثلاثة أنواع:

١ -الجناية بالجرح. ٢ -قطع طرف. ٣ -إبطال منفعة عضو.

<u>١ -النوع الأول: الجناية بالجرح:</u> وهذه الجناية تنقسم إلى قسمين: الجراح الواقعة على الوجه والرأس وتسمى الشجاج، جمع شجة. والجراحات في سائر البدن، وتسمى جرحاً، لا شجة.

أ -الجراحات الواقعة في الرأس والوجه، وهي عشرة أنواع:

[٢]- المراد أن المرأة التي قضي لها بالغرة –وهي المجنيّ عليها– هي التي توفيت.

١ -الحَارِصَة: التي تحرص الجلد، تشقه قليلاً ولا تدميه، كالخدش، وتسمى القاشرة والمليطاء.

٢ -الدامية: التي تدمي الجلد بالشق، فيخرج منها دم يسير، وتسمى البازلة والدامعة.

٣ -الباضِعَة: وهي التي تبضع اللحم بعد الجلد، أي تشقه شقاً خفيفاً، ولا تبلغ العظم.

٤ -المتلاحمة: هي التي تغوص في اللحم، ولا تبلغ الجلدة التي بين اللحم والعظم.

٥ -السِّمْحَاق: هي التي تبلغ الجلدة الرقيقة بين اللحم والعظم من الرأس، سُميت الجراحة باسمها. وهذه الخمس ليس فيها قصاص ولا دية، وإنما يجب فيها حكومة، والحكومة: هي أن يقوّم المجني عليه قبل الجناية كأنه عبد، ثم يُقَوَّم، وهي به قد برئت، فما نقص من القيمة، فللمجني عليه مثل نسبته من الدية.

٦ -المُوَضِّحة: التي تخرق السمحاق وتوضح العظم (تكشفه)، وفيها خمس من الإبل، نصف عشر الدية.

٧ -الهاشمة: هي التي توضح العظم وتهشمه (تكسره)، وفيها عشر من الإبل.

٨ -المُنَقِّلة: هي التي تنقل العظم من موضع لآخر، سواء أوضحته، وهشمته، أو لا، وفيها خمس عشرة من الإبل.

٩ -المأمومة: هي التي تبلغ أم الدماغ (جلدة الدماغ المحيطة به)، ويقال لها الآمَّة، وفيها ثلث دية النفس.

١٠ -الدامغة: هي التي تخرق جلدة الدماغ، وتصل إليه، وفيها ثلث دية النفس أيضاً. ويضاف إلى ذلك الجائفة، وهي التي تصل إلى باطن الجوف، مما لا يظهر للرائي، كداخل بطن، وداخل ظهر، وصدر، وحلق، ومثانة، وهذه ليست من الشجاج؛ لأنها ليست في الرأس أو الوجه، إلا أنهم يذكرونها تبعاً بجامع التقدير فيها، وفيها ثلث دية النفس. **ودليل هذه الجراح:**

- عن عمرو بن حزم رضي الله عنه:" أن النبي ﷺ كتب إلى أهل اليمن كتاباً، وذكر فيه: وفي المأمومة ثلث الدية، وفي المنقلة خمس عشرة من الإبل وفي الموضحة خمس من الإبل" أخرجه النسائي والحاكم والبيهقي وهو صحيح.

- إجماع العلماء على أن دية المنقلة خمس عشرة من الإبل.

- اتفاق العلماء على أن في الجائفة ثلث الدية؛ لما في حديث عمرو بن حزم:" وفي الجائفة ثلث الدية".

- أثر زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قضى في الهاشمة عشر من الإبل أخرجه عبد الرزاق في مصنفه والبيهقي في سننه، ولم يُعرف له مخالف.

- ولِما جاء في كتاب عمرو بن حزم السابق أن في المأمومة ثلث الدية، والدامغة أبلغ منها، فهي أولى منها بأن تكون فيها ثلث الدية.

وهذه الشجاج لا يجب القصاص فيها، إلا في الموضحة فقط لتيسر ضبطها واستيفاء مثلها، بخلاف ما عداها، فإنه لا يؤمن فيها الزيادة والنقص في طول الجراحة وعرضها، ولا يوثق باستيفاء المثل.

ب -**الجراحات في سائر البدن:** وهذه الجراحات تختلف باختلاف النوع، فما لا قصاص فيه إذا كان في الرأس أو الوجه فلا قصاص فيه أيضاً، إذا كان في سائر البدن، إلا الموضحة التي تقطع جزءاً من أجزاء البدن، كالصدر والعنق.

٢ -النوع الثاني: قطع الطرف:

تنقسم هذه الجناية إلى ثلاثة أقسام: عمد. وشبه عمد. وخطأ. ولا يجب القصاص في الخطأ وشبه العمد، وإنما يجب في العمد كالقتل بشروط ثلاثة:

١ -إمكان الاستيفاء بلا حيف، وذلك بأن يكون القطع من مفصل، أو له حد ينتهي إليه كالأنامل، والكوع، والمرفق. فلا قصاص في جراحة لا تنتهي إلى حد كالجائفة، ولا قصاص في كسر عظم غير السن، كعظم الفخذ والذراع والساق.

٢ -التماثل بين عضوي الجاني والمجني عليه في الاسم والموضع، فلا تؤخذ يمين بيسار، ولا خنصر ببنصر، ولا عضو أصلي بزائد.

٣ -استواء العضوين من الجاني والمجني عليه في الصحة والكمال، فلا تؤخذ صحيحة بشلاء، ولا كاملة الأصابع بناقصتها، وهكذا.

٣ -**النوع الثالث: إبطال منفعة عضو:** إذا أبطل الجاني منفعة عضو المجني عليه فإنه لا قصاص عليه؛ لعدم إمكان الاستيفاء بلا حيف، وعليه في ذلك دية نفس كاملة. ومن نقصت منفعة عضوه، فإن عرف قدره وجب له من الدية قسط الذاهب، كنصف الدية أو ربعها مثلاً، إذا كان الذاهب نصف المنفعة أو ربعها، وهكذا. وإن لم يمكن معرفة قدر الذاهب من المنفعة، وجبت حكومة، يقدرها الحاكم باجتهاده. ومن المنافع: إزالة العقل والسمع والبصر، وإبطال الشم، وذهاب النطق والصوت والذوق، وزوال المضغ وزوال الإمناء، وإبطال قوة الإحبال، وغير ذلك.

الديات:

●**تعريفها:** الدِّيَة لغة: من: وَدَيْتُ القتيلَ أَدِيهِ دِيةً، إذا أعطيت ديته، وشرعاً: هي المال المؤدَّى للمجني عليه أو لوليه بسبب الجناية. وتسمى أيضاً (العَقْل)؛ لأن القاتل كان يجمع الدية من الإبل، فيعقلها بفناء أولياء المقتول؛ ليسلمها إليهم.

●**مشروعيتها:** الدية واجبة بالكتاب، والسنة، والإجماع؛ قال تعالى:(وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ) [النساء: ٩٢]. وفي الحديث:" من قتل له قتيل فهو بخير النظرين: إما أن يفدى، وإما أن يقتل". وكذا حديث عمرو بن حزم في الكتاب الذي كتبه له النبي ﷺ وفيه مقادير الديات. وأجمع أهل العلم على وجوب الدية.

●**حكمة مشروعيتها:** هي حفظ الأرواح، وحقن دماء الأبرياء، والزجر، والردع عن الاستهانة بالأنفس.

●**على من تجب الدية؟ ومن يتحملها؟**

- إن كانت الجناية عمداً محضاً، وجبت الدية كلها في مال القاتل، إن حصل العفو وسقط القصاص. فإن بدل التلف يجب على متلفه، قال تعالى:" وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى" [الأنعام: ١٦٤].

- وإن كانت الجناية خطأً أو شبه عمد، فالدية على عاقلة القاتل؛ لحديث أبي هريرة ﷺ:" قضى رسول الله ﷺ في جنين امرأة من بني لحيان سقط ميتاً بغُرَّة: عبد أو أمة، ثم إن المرأة التي قضى عليها بالغرة توفيت، فقضى رسول الله ﷺ أن ميراثها لزوجها، وبنيها، وأن العقل على عصبتها". وإنما وجبت على العاقلة؛ لأن جنايات الخطأ كثيرة، والجاني فيها معذور، فوجبت مواساته، والتخفيف عنه بخلاف المتعمد؛ ولأن المتعمد يدفع الدية فداءً عن نفسه؛ لأنه يجب عليه القصاص، فإن عفي عنه تَحَمَّل الدية.

●**أنواع الديات:** الأصل في الدية هو الإبل، لقوله ﷺ:" في النفس المؤمنة مائة من الإبل" أخرجه النسائي وصححه الألباني. وقوله ﷺ:" ألا وإن قتيل الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل" أخرجه النسائي وصححه الألباني. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال:" كانت قيمة الدية على عهد رسول الله ﷺ ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم... فكان ذلك كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيباً فقال: ألا إن الإبل قد غلت. قال: ففرضها عمر -وفي رواية: فقوَّم- على أهل الذهب ألف دينار، وعلى أهل الورق اثني عشر ألفاً، وعلى أهل البقر مائتي بقرة، وعلى أهل الشاء ألفي شاة، وعلى أهل الحلل مائتي حلة" أخرجه أبو داود وحسنه الألباني. وعلى هذا؛ فإن الأصل في الدية الإبل. وهذه الأشياء المذكورة سواها يكون معتبراً بها من باب التقويم، وقد كان

ذلك من عمر رضي الله عنه بمحضر من الصحابة، ولم ينكروا ذلك عليه، فيكون إجماعاً، فتدفع الدية إبلاً، أو قيمتها، من هذه الأشياء المذكورة.

٢ -مقادير الدية:

- **دية الحر المسلم:** تكون مائة من الإبل، وتغلظ في قتل العمد وشبهه، وتغليظ الدية: أن يكون في بطون أربعين منها أولادها، كما تقدم في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وفيه: (وأربعون خَلِفَة).

- **دية الحر الكتابي:** دية الكتابي الحر -ذمياً كان أو غيره - نصف دية المسلم، لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال:" عقل أهل الذمة نصف عقل المسلمين" أخرجه النسائي، والترمذي وحسنه، وحسنه الألباني. وفي لفظ:" دية المعاهد نصف دية المسلم".

- **دية المرأة:** دية الحرة المسلمة على النصف من دية الرجل الحر المسلم، كما في كتاب عمرو بن حزم:" دية المرأة على النصف من دية الرجل". ونقل ابن عبد البر، وابن المنذر، الإجماع على ذلك.

- **دية المجوسي:** دية المجوسي الحر -ذمياً كان أو معاهداً أو غيره - وكذا الوثني: ثمانمائة درهم؛ لحديث عقبة بن عامر مرفوعاً:" دية المجوسي ثمانمائة درهم" أخرجه البيهقي في سننه وفيه ضعف.

-**دية المجوسية ونساء أهل الكتاب وعبدة الأوثان:** على النصف من دية ذكرانهم، كما أن دية نساء المسلمين على النصف من دية ذكرانهم؛ لعموم حديث عمرو بن شعيب المتقدم:(عقل أهل الكتاب نصف عقل المسلمين).

-**دية الجنين:** دية الجنين إذا سقط ميتاً بسبب جناية على أمه عمداً أو خطأ: غرة عبد أو أمة، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:" قضى رسول الله ﷺ في جنين امرأة من بني لحيان سقط ميتاً بغرة: عبد أو أمة" تقدم تخريجه. وتُقَدَّر الدية بعشر دية أمه وهي: خمس من الإبل. وتورث الغرة عنه، كأنه سقط حيّاً.

الفوائد:

....
....
....

القَسَامة

●**تعريفها:** القسامة لغة: مصدر قولهم: أَقْسَمَ يُقْسِمُ إقساماً وقَسَامَةً، أي: حلف حلفاً. وشرعاً: هي الأيمان المكررة في دعوى القتيل المعصوم، سميت بذلك؛ لأن الأيمان تقسم على أولياء القتيل فيحلفون خمسين يميناً أن المدَّعى عليه قتل صاحبهم. وصورتها: أن يوجد قتيل لا يُعرف قاتله، فتجري القسامة على الجماعة التي ينحصر فيها إمكان قتله، وذلك إذا توافرت الشروط الآتي ذكرها.

●**مشروعيتها:** وهي مشروعة، ويثبت بها القصاص، أو الدية، إذا لم تقترن الدعوى ببينة أو إقرار، ووجد اللَّوْث، وهو العداوة الظاهرة بين القتيل والمتهم بقتله؛ كالقبائل التي يطلب بعضها بعضاً بالثأر، وقيل: لا يختص بذلك، بل يتناول كل ما يغلب على الظن صحة الدعوى. والدليل على مشروعيتها: حديث سهل بن أبي حَثْمة: أن عبد الله بن سهل ومُحَيِّصَة بن مسعود خرجا إلى خيبر من جهد أصابهم، فأتى محيصة فأخبر أن عبد الله بن سهل قد قتل، وطرح في عين أو فَقِير[3]، فأتى يهود فقال: أنتم والله قتلتموه. فقالوا: والله ما قتلناه. ثم أقبل حتى أتى على قومه، فذكر لهم ذلك، ثم أقبل هو وأخوه حويصة -وهو أكبر منه- وعبد الرحمن بن سهل... فقال رسول الله ﷺ لحويصة ومحيصة وعبد الرحمن: (أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم) وفي رواية (تأتون بالبينة)، قالوا: ما لنا بينة. فقال: (أتحلفون)؟ قالوا: وكيف نحلف ولم نشهد، ولم نر. قال: (فتحلف لكم يهود؟)، قالوا: ليسوا بمسلمين. فوداه رسول الله ﷺ مِنْ عنده، فبعث إليهم رسول الله ﷺ مائة ناقة حتى أدخلت عليهم الدار. فقال سهل: فلقد ركضتني منها ناقة حمراء رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم. فدل ذلك على مشروعية القسامة، وأنها أصل من أصول الشرع مستقل بنفسه.

●**حكمتها:** شرعت القسامة لصيانة الدماء وعدم إهدارها؛ فالشريعة الإسلامية تحرص أشد الحرص على حفظ الدماء، وصيانتها، وعدم إهدارها، ولما كان القتل يكثر، بينما تقل الشهادة عليه؛ لأن القاتل يتحرى بالقتل مواضع الخلوات، جعلت القسامة حفظاً للدماء.

●**شروط القسامة:**

١ -أن يكون هناك لوث، وقد سبق بيان معناه.

٢ -أن يكون المدَّعَى عليه مكلفاً، فلا تصح الدعوى فيها على صغير ولا مجنون.

٣ -أن يكون المدَّعِي مكلفاً أيضاً، فلا تسمع دعوى صبي ولا مجنون.

٤ -أن يكون المدَّعَى عليه معيناً، فلا تقبل الدعوى على شخص مبهم.

---

[3] – الفَقِير: البئر الواسعة الفم، القريبة القعر، وقيل: الحفيرة تكون حول النخل.

٥ -إمكان القتل من المدَّعى عليه، فإن لم يمكن منه القتل لبعده عن مكان الحادث وقت وقوعه ونحو ذلك، لم تسمع الدعوى.

٦ -ألا تتناقض دعوى المُدَّعِي.

٧ -أن تكون دعوى القسامة مفصلة موصوفة، فيقول: أدّعي أن هذا قتل وليي فلان بن فلان، عمداً أو شبه عمد أو خطأ، ويصف القتل.

●**صفة القسامة:** إذا توافرت شروط القسامة، يُبدأ بالمدعين فيحلفون خمسين يميناً توزع عليهم على قدر إرثهم من القتيل، أن فلاناً هو الذي قتله. ويكون ذلك بحضور المدعى عليه؛ لقوله ﷺ في حديث ابن أبي حثمة الماضي:" أفتستحقون الدية بأيمان خمسين منكم؟" البخاري. فإن أبى الورثة أن يحلفوا، أو امتنعوا من تكميل الخمسين يميناً، فإنه يحلف المدَّعى عليه خمسين يميناً إذا رضي المدعون بأيمانه؛ لقوله ﷺ في الحديث المتقدم: (فتحلف لكم يهود؟) قالوا: ليسوا بمسلمين، ولم يرضوا بأيمانهم. فإذا حلف برئ، وإن لم يرض المدعون بتحليف المدعى عليه فدى الإمام القتيل بالدية من بيت المال، كما فعل النبي ﷺ عندما فدى القتيل من بيت المال عندما امتنع الأنصار من قبول أيمان اليهود؛ لأنه لم يبق سبيل لإثبات الدم على المدَّعى عليه، فوجب الغرم من بيت المال؛ لئلا يضيع دم المعصوم هدراً. ومن قُتل في الزحام فإنه تدفع ديته من بيت المال؛ لما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال لعمر رضي الله عنه في رجل قتل في زحام الناس بعرفة:" يا أمير المؤمنين لا يُطَلُّ [٤] دم امرئ مسلم، إن علمت قاتله، وإلا فأعط ديته من بيت المال" رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة.

الفوائد:

....

....

....

....

....

كتاب الحدود

●**تعريفها:** الحد لغة: هو المنع، وحدود الله: محارمه التي نهى عن ارتكابها وانتهاكها، قال تعالى:(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا) [البقرة: ١٨٧]. سميت بذلك لأنها تمنع من الإقدام على الوقوع فيها. وشرعاً: عقوبة مقدرة في الشرع؛ لأجل حق الله تعالى. وقيل: عقوبة مقدرة شرعاً في معصية؛ لتمنع من الوقوع في مثلها أو في مثل الذنب الذي شرع له العقاب.

[٤] – أي يهدر، يقال: طَلَّ السلطان الدم، طَلاًّ –من باب قَتَلَ–: أهدره.

●**دليل مشروعيتها:** الأصل في مشروعية الحدود الكتاب والسنة والإجماع؛ فقد قرر الكتاب والسنة عقوبات محددة لجرائم ومعاصٍ معينة، كالزنى، والسرقة، وشرب الخمر، وغيرها، مما سيأتي تفصيله في الأبواب التالية إن شاء الله، مع ذكر أدلة ذلك كله.

●**الحكمة من مشروعية الحدود:** شرعت الحدود؛ زجراً للنفوس عن ارتكاب المعاصي والتعدي على حرمات الله سبحانه، فتتحقق الطمأنينة في المجتمع ويشيع الأمن بين أفراده، ويسود الاستقرار، ويطيب العيش. كما أن فيها تطهيراً للعبد في الدنيا؛ لحديث عبادة بن الصامت مرفوعاً في البيعة، وفيه:" ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارته" أخرجه البخاري ومسلم. وحديث خزيمة ابن ثابت مرفوعاً:" من أصاب حداً أقيم عليه ذلك الحد، فهو كفارة ذنبه" أخرجه أحمد، والدار قطني. قال الحافظ ابن حجر: سنده حسن. وصححه الشيخ الألباني. وهذه الحدود مع كونها محققة لمصلحة العباد، فإنها عدل كلها وإنصاف، بل هي غاية العدل.

●**وجوب إقامة الحدود وتحريم الشفاعة فيها:** تجب إقامة الحدود بين الناس منعاً للمعاصي وردعاً للعصاة، وقد قال رسول الله ﷺ مرغباً في إقامة الحدود:" إقامة حد من حدود الله، خير من مطر أربعين ليلة في بلاد الله عز وجل" أخرجه ابن ماجه وأحمد واللفظ لابن ماجه، وحسنه الألباني. وتحرم الشفاعة في الحدود لإسقاطها وعدم إقامتها، إذا بلغت الإمام وثبتت عنده، كما يحرم على ولي الأمر قبول الشفاعة في ذلك؛ لقوله ﷺ:" من حالت شفاعته دون حد من حدود الله، فقد ضاد الله في أمره" أخرجه أبو داود، وأحمد، والحاكم وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني، ولرده ﷺ شفاعة أسامة بن زيد في المخزومية التي سرقت، وغضبه لذلك، حتى قال ﷺ:" وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها" أخرجه البخاري ومسلم. وأما العفو عن الحدّ قبل أن يبلغ الإمام فجائز؛ لقوله ﷺ للذي سُرِقَ رداؤه، فأراد أن يعفو عن السارق:" فهلاَّ قبل أن تأتيني به" أخرجه أبو داود، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.

●**من يقيم الحد ومكان إقامته:** الذي يقيم الحد هو الإمام أو نائبه، فقد كان النبي ﷺ يقيم الحدود في حياته، ثم خلفاؤه من بعده. وقد وَكَل النبي ﷺ من يقيم الحد نيابة عنه، فقال:" واغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها" أخرجه البخاري ومسلم. ووجب ذلك على الإمام؛ ضماناً للعدالة، ومنعاً للحيف والظلم. ويقام الحد في أيّ مكان غير المسجد، فقد " نهى النبي ﷺ أن يستقاد في المسجد، وأن تنشد فيه الأشعار، وأن تقام فيه الحدود" أخرجه أبو داود، وأحمد وحسنه الألباني؛ وذلك صيانة للمسجد عن التلوث ونحوه. وجاء في بعض الروايات في قصة رجم ماعز: "فأخرج إلى الحرة فرجم" أخرجه الترمذي. وقال: حديث حسن. وقال الألباني: حسن صحيح.

الفوائد:

....

....

....

حد الزنى

●**تعريف الزنى:** الزنى لغة: يطلق على وطء المرأة من غير عقد شرعي، وعلى مباشرة المرأة الأجنبية. وشرعاً: وطء الرجل المرأة في القُبُل من غير المِلك وشبهته. أو: هو فِعلُ الفاحشة في قبل أو دبر.

●**حكم الزنى:** الزنى محرم، وهو من كبائر الذنوب، لقوله تعالى:(وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) [الإسراء: ٣٢]. ولحديث ابن مسعود ﷺ قال:" سألت رسول الله ﷺ عن أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزني بحليلة جارك" رواه البخاري ومسلم. وأجمع العلماء على تحريمه.

●**خطورة جريمة الزنى:** الزنى من أعظم الجرائم وأشنعها وأكثرها خطراً على الأفراد والمجتمعات، لما يترتب عليه من اختلاط الأنساب، مما يؤدي إلى ضياع الحقوق عند التوارث، وضياع التعارف، والتناصر على الحق. وهو سبب في تفكك الأسرة، وضياع الأبناء، وسوء تربيتهم، وفساد أخلاقهم. وفيه تغرير بالزوج؛ إذ قد ينتج عن الزنى حمل، فيربي الزوج غير ابنه. وأضراره كثيرة لا يخفى أثرها في الأفراد والمجتمعات: من ضياع وانحلال وتفكك. لذا حذَّر منه الإسلام أشد التحذير، ورتب على ارتكابه أشد العقوبة، كما سيأتي بيانه.

●**حدُّ الزنى:**

أولاً: الزاني المحصن:

- **يشترط** للإحصان الموجب للحدِّ الشروط التالية: أ -أن يحصل منه الوطء في القبل، وذلك بأن يتقدم للزاني والزانية وطء مباح في الفرج. ب -أن يكون الوطء في نكاح صحيح. ج -أن يكون الرجل والمرأة حال الوطء بالغين حرين عاقلين. فالمحصن: هو من وَطِئَ زوجته في قُبُلِهَا، بنكاح صحيح، وكانا بالغين عاقلين حرين. فهذه خمسة شروط لا بد منها لحصول الإحصان الموجب للحدِّ، وهي: البلوغ، والعقل، والحرية، والوطء في الفرج، وأن يكون الوطء بنكاح صحيح.

-**حدُّه:** إذا زنى المحصن فإن حده الرجم بالحجارة حتى الموت، رجلاً كان، أو امرأة. والرجم ثابت عن النبي ﷺ بالتواتر من قوله وفعله. وقد كان الرجم مذكوراً في القرآن، ثم نسخ لفظه وبقي حكمه، وذلك في قوله عز وجل:(الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم). فعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه خطب فقال:" إن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل الله آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله،

وإن الرجم حق في كتاب الله على من زنى، إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف" رواه البخاري ومسلم، ولحديث أبي هريرة ﷺ قال: أتى رجل من المسلمين رسول الله ﷺ وهو في المسجد فناداه، فقال: يا رسول الله إني زنيت. فأعرض عنه، فتنحى تلقاء وجهه، فقال: يا رسول الله إني زنيت، فأعرض عنه، حتى ثَنَى ذلك عليه أرج مرات، فلما شهد على نفسه أربع شهادات، دعاه رسول الله ﷺ فقال:(أبك جنون؟) قال: لا، قال:(فهل أحصنت؟) قال: نعم، فقال النبي ﷺ:(اذهبوا به فارجموه) رواه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم. وأجمع العلماء على أن من زنى، وهو محصن، فحكمه الرجم بالحجارة حتى الموت.

ثانياً: الزاني غير المحصن:

- وهو من لم تتوافر فيه الشروط السابقة في الزاني المحصن.

- **حدُّه:** إذا زنى غير المحصن فإن حده الجلد مائة جلدة، وتغريب عام، إلا أنه يشترط في تغريب المرأة وجود محرم معها؛ لقوله تعالى:(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ) [النور:٢] ولحديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" خذوا عني، خذوا عني، فقد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي عام" رواه مسلم. وتغريب الزاني: نفيه وإبعاده عن وطنه. وإن زنى الرقيق -محصناً كان أو غير محصن، عبداً كان أو أمة - فإن حده أن يجلد خمسين جلدة، لقوله تعالى:(فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) [النساء: ٢٥]. فالعذاب المذكور في الآية هو الجَلْدُ مائة جلدة، فينصرف التنصيف إليه، ولأن الرجم لا يمكن تنصيفه. ولا تغريب على الرقيق، إذ لم ترد السنة بتغريب المملوك إذا زنى، ولأن في تغريبه إضراراً بسيده. ولا تغرب المرأة إلا بمحرم كما سبق.

● **بِمَ يثبت الزنى؟** لإقامة حد الزنى لا بد من إثبات وقوعه، ولا يثبت وقوعه إلا بأحد أمرين:

١ -**الأمر الأول:** أن يقر به الزاني أربع مرات، ولو في مجالس متعددة؛ فقد أخذ النبي ﷺ باعتراف ماعز والغامدية. وأما اشتراط الأربع: فلأن ماعزاً اعترف عند النبي ﷺ ثلاث مرات فرده، فلما اعترف الرابعة أقام عليه الحد. ولا بد أن يصرح في إقراره بحقيقة الزنى والوطء، لاحتمال أنه أراد غير الزنا من الاستمتاع الذي لا يوجب حداً، فقد قال النبي ﷺ لماعز حين أقر عنده:(لعلك قَبَّلت أو غمزت؟) قال: لا. وكرر معه الاستيضاح عدة مرات حتى زال كل احتمال. ولا بد أن يثبت على إقراره حتى إقامة الحد، ولا يرجع عنه، فقد قرَّر النبي ﷺ ماعزاً مرة بعد مرة، لعله يرجع عن إقراره، ولأن ماعزاً لما هرب أثناء رجمه قال رسول الله ﷺ:" هلا تركتموه؟!" أخرجه الترمذي، وابن ماجه وحسنه الترمذي. وصححه الألباني.

٢ -**الأمر الثاني:** أن يشهد عليه بالزنى أربعة شهود، لقوله تعالى:(لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) [النور: ١٣]. وقوله:(فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ) [النساء: ١٥]. ويشترط لصحة شهادتهم عليه بالزنى شروط:

١ -أن يكون الشهود أربعة، للآيات المتقدمة، فإن كانوا أقل من أربعة لم تقبل.

٢ -أن يكونوا مكلفين -بالغين عاقلين -، فلا تقبل شهادة الصبيان والمجانين.

٣ -أن يكونوا رجالاً عدولاً، فلا تقبل شهادة النساء في حد الزنى، صيانة لهن وتكريماً، لأن الزنى فاحشة. ولا تقبل شهادة الفاسق أيضاً؛ لقوله تعالى:(وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) [الطلاق:٢] وقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) [الحجرات:٦].

٤ -أن يعاين الشهود الزنى ويصفوا ذلك وصفاً صريحاً يدفع كل الاحتمالات عن إرادة غيره من الاستمتاع المحرم، فيقولون: رأينا ذكره في فرجها كالميل في المكحلة، وإنما أبيح النظر في مثل ذلك للضرورة.

٥ -أن يكون الشهود مسلمين، فلا تقبل شهادة الكافر لعدم تحقق عدالته.

٦ -أن يشهدوا عليه في مجلس واحد، سواء جاءوا مجتمعين أو متفرقين في المجلس نفسه. فإن اختل شرط من هذه الشروط، وجب إقامة حد القذف على الشهود جميعاً؛ لأنهم قذفة.

الفوائد:

....

....

....

حد القذف:

●**تعريف القذف:** القذف لغة: الرمي، ومنه القذف بالحجارة وغيرها، ثم استعمل في الرمي بالمكاره كالزنى واللواط ونحوهما؛ لعلاقة المشابهة بينهما، وهي الأذى. وشرعاً: الرمي بزنى أو لواط، أو شهادة بأحدهما ولم تكمل البينة، أو نفي نسب موجب للحد فيهما.

●**حكم القذف:** القذف في الأصل حرام بالكتاب، والسنة، والإجماع، وكبيرة من كبائر الذنوب، فيحرم الرمي بالفاحشة. لقوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [النور: ٢٣]. ولحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" اجتنبوا السبع الموبقات"، وذكر منها:" قذف المحصنات المؤمنات الغافلات" رواه البخاري، ومسلم. وقد أجمع المسلمون على تحريم القذف وعدوه من كبائر الذنوب. ويجب القذف على من يرى زوجته تزني، ثم تلد ولداً يقوى في ظنه أنه من الزاني؛ لئلا يلحقه الولد، ويدخله على قومه وليس منهم. ويباح القذف لمن رأى زوجته تزني، ولم تلد من ذلك الزنى.

●حد القذف، والحكمة منه:

١ -حد القذف: لقد قرر الشارع أن من قذف مسلماً بالزنى، ولم تقم بينة على صدقه فيما قذف به أنه يجلد ثمانين جلدة إن كان حراً، وأربعين إن كان عبداً، رجلاً كان أو امرأة، لقوله تعالى:(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً) [النور: ٤]. ويجب على القاذف -مع إقامة الحد عليه - عقوبة، وهي رد شهادته والحكم بفسقه؛ لقوله تعالى:(وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [النور: ٤]. فإذا تاب القاذف قبلت شهادته، وتوبته: أن يكذب نفسه فيما قذف به غيره، ويندم ويستغفر ربه، لقوله تعالى:(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [النور:٥].

٢ -الحكمة منه: يهدف الإسلام من إقامة حد القذف إلى صيانة المجتمع، والمحافظة على أعراض الناس، وقطع ألسنة السوء، وسد باب إشاعة الفاحشة بين المؤمنين.

●شروط إيجاب حد القذف: لا يجب حد القذف إلا إذا توافرت شروط في القاذف، وشروط في المقذوف، حتى يصبح جريمة تستحق عقوبة الجلد:

أولاً: شروط القاذف، وهي خمسة:

١ -أن يكون بالغاً، فلا حد على الصغير.

٢ -أن يكون عاقلاً، فلا حد على المجنون والمعتوه.

٣ -ألا يكون أصلاً للمقذوف، كالأب والجد والأم والجدة، فلا حدَّ على الوالد -الأب أو الأم - إن قذف ولده -الابن أو البنت - وإن سفل.

٤ -أن يكون مختاراً، فلا حد على النائم والمكره.

٥ -أن يكون عالماً بالتحريم، فلا حد على الجاهل.

ثانياً: شروط المقذوف، وهي خمسة أيضاً:

١ -أن يكون المقذوف مسلماً، فلا حدَّ على من قذف كافراً؛ لأن حرمته ناقصة.

٢ -أن يكون عاقلاً، فلا حدَّ على من قذف المجنون.

٣ -أن يكون بالغاً أو يكون ممن يطأ ويوطأ مثله، وهو ابن عشر وبنت تسع فأكثر.

٤ -أن يكون عفيفاً عن الزنى في الظاهر، فلا حدَّ على من قذف الفاجر.

٥ -أن يكون المقذوف حراً، فلا حدَّ على من قذف مملوكاً، لقوله ﷺ:" من قذف مملوكه بالزنى يقام عليه الحد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال" أخرجه مسلم.

قال الإمام النووي رحمه الله: "فيه إشارة إلى أنه لا حدَّ على قاذف العبد في الدنيا، وهذا مجمع عليه، لكن يعزر قاذفه؛ لأن العبد ليس بمحصن..."شرح مسلم. فتبين مما تقدم أن شرط إقامة الحد على

القاذف أن يكون المقذوف محصناً، وهو من كان: مسلماً، عاقلاً، حراً، عفيفاً عن الزنى، بالغاً أو يكون ممن يطأ أو يوطأ مثله. وذلك لقوله تعالى:(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) [النور: ٤]. فمفهوم ذلك: أنه لا يُجلد من قذف غير المحصن.

●**شروط إقامة حدَّ القذف:** إذا وجب حدُّ القذف فإنه لا بد من شروط أربعة لإقامته، وهي:

١ -مطالبة المقذوف للقاذف، واستدامة الطلب حتى إقامة الحد؛ لأن حدَّ القذف حق للمقذوف لا يقام إلا بطلبه ويسقط بعفوه. فإذا عفا عن القاذف سقط الحد عنه، لكنه يُعزر بما يردعه عن التمادي في القذف المحرم.

٢ -ألا يأتي القاذف ببينة على ثبوت ما قذف به -وهي أربعة شهداء -؛ لقوله تعالى:(ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ) [النور: ٤].

٣ -ألا يصدقه المقذوف فيما قذفه به ويقر به، فإن أقر المقذوف، وصدَّق القاذف، فلا حدَّ؛ لأن ذلك أبلغ في إقامة البينة.

٤ -ألا يلاعن القاذف المقذوف، إن كان القاذف زوجاً، فإن لاعنها سقط الحد، كما مضى في اللعان.

الفوائد:

....

....

....

حد شارب الخمر:

●**تعريف الخمر:** الخمر لغة: كل ما خَامَرَ العقل، أي غطاه من أي مادة كان. وشرعاً: كل ما أسكر سواء كان عصيراً أو نقيعاً من العنب أو غيره، أو مطبوخاً أو غير مطبوخ. والسُّكْر: هو اختلاط العقل، والمُسْكِر: هو الشراب الذي جعل صاحبه سكران، والسكران: خلاف الصاحي.

●**حكمه:** حكم الخمر التحريم، وكذا سائر المسكرات، فكل مسكر خمر، فلا يجوز شرب الخمر، سواء كان قليلاً أو كثيراً، وشربه كبيرة من الكبائر، والخمر محرمة بالكتاب والسنة والإجماع؛ لقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة: ٩٠].

فالأمر بالاجتناب دليل على التحريم. ولحديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال:" كل شراب أسكر فهو حرام" رواه البخاري ومسلم. وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً:" كل مسكر خمر، وكل خمر حرام" أخرجه مسلم. والأحاديث في تحريمها، والتنفير منها، كثيرة جداً تبلغ التواتر. وقد أجمعت الأمة على تحريمها.

●**الحكمة في تحريم الخمر:** لقد أنعم الله عز وجل على الإنسان بنعم كثيرة، منها نعمة العقل التي ميزه بها عن سائر المخلوقات، ولما كانت المسكرات من شأنها أن تفقد الإنسان نعمة العقل، وتثير الشحناء والبغضاء بين المؤمنين، وتصد عن الصلاة، وعن ذكر الله، حرمها الشارع، فالخمر خطرها عظيم، وشرها جسيم، فهي مطية الشيطان التي يركبها للإضرار بالمسلمين. قال تعالى:(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ) [المائدة:٩١].

●**حد شارب الخمر:** حد شارب الخمر الجلد، ومقداره: أربعون جلدة، ويجوز أن يبلغ ثمانين جلدة، وذلك راجع لاجتهاد الإمام، يفعل الزيادة عند الحاجة إلى ذلك، إذا أدمن الناس الخمر، ولم يرتدعوا بالأربعين؛ لحديث علي بن أبي طالب ﵁ في قصة الوليد بن عقبة:" جلد النبي ﷺ أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكلٌّ سنَّةٌ، وهذا أحب إليَّ" رواه مسلم ، ولحديث أنس ﵁:" أن النبي ﷺ كان يضرب في الخمر بالنعال والجريد أربعين" رواه مسلم.

●**شروط إقامة حد الخمر:** يشترط لإقامة الحد على السكران شروط، وهي:

-أن يكون مسلماً، فلا حدَّ على الكافر.

-أن يكون بالغاً، فلا حد على الصبي.

-أن يكون عاقلاً، فلا حد على المجنون، والمعتوه.

-أن يكون مختاراً، فلا حد على المكره والناسي وأمثاله. وهذه الشروط الثلاثة يدل عليها قوله ﷺ:" إن الله تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه". وقوله ﷺ:" رفع القلم عن ثلاثة..." الحديث. وقد تقدما مراراً.

-أن يكون عالماً بالتحريم، فلا حد على الجاهل.

-أن يعلم أن هذا الشراب خمر، فإن شربه على أنه شراب آخر، فلا حد عليه.

●**ما يثبت به حد الخمر:** يثبت حد الخمر بأحد أمرين:

١ -الإقرار بالشرب، كأن يقر، ويعترف بأنه شرب الخمر مختاراً.

٢ -البينة، وهي شهادة رجلين عدلين، مسلمين عليه.

حكم المخدرات والاتجار بها:

●**حكم المخدرات سوى الخمر:** يقصد بالمخدرات ما يغشي العقل والفكر، ويصيب متعاطيها بالكسل، والثقل، والفتور، من البنج والأفيون والحشيش ونحوها. والمخدرات حرام كيفما كان تعاطيها؛ لحديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال:" كل شراب أسكر فهو حرام" رواه البخاري ومسلم، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال:" كل مسكر خمر، وكل مسكر

حرام..." رواه مسلم الحديث، ولعظم خطر هذه المواد المخدرة، وشدة إفسادها، وفتكها بشباب الأمة، ورجالها، وشغلهم عن طاعة ربهم، وجهاد أعدائهم، ومعالي الأمور.

●**حكم الاتجار بالمواد المخدرة:** ورد النهي عن النبي ﷺ في تحريم بيع الخمر، فقد روى جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:" إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام" رواه مسلم. وقال ﷺ:" إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه" رواه أبو داود وأحمد وهو صحيح. ولذا قال العلماء: إن ما حرم الله الانتفاع به يحرم بيعه، وأكل ثمنه. ولما كانت المخدرات يتناولها اسم الخمر، فإنَّ النهي عن بيع الخمر يتناول هذه المخدرات شرعاً، فلا يجوز بيعها، ويكون المال المكتسب من الاتجار بها حراماً.

الفوائد:

....

....

....

حد السرقة:

●**تعريف السرقة:** السرقة لغة: الأخذ خفية. وشرعاً: أخذ مال الغير خفية ظلماً من حرز مثله بشروط معينة، على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

●**حكم السرقة:** السرقة حرام؛ لأنها اعتداء على حقوق الآخرين، وأخذ أموالهم بالباطل. قد دلَّ على تحريمها الكتاب والسنة والإجماع، وهي من كبائر الذنوب؛ فقد لعن الله صاحبها كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:" لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده" متفق عليه. وغير ذلك من الأحاديث في تحريم السرقة، والتنفير منها.

●**حدُّ فاعلها:** ويجب على فاعلها الحد، وهو: قطع يده، رجلاً كان أو امرأة؛ لقوله تعالى:﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]. ولحديث عائشة رضي الله عنها قالت:" كان رسول الله ﷺ يقطع السارق في ربع دينار فصاعداً" رواه البخاري ومسلم، ولحديث عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: إن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، وفيه قوله ﷺ:" وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها رواه البخاري ومسلم. وأجمع المسلمون على تحريم السرقة، وعلى وجوب قطع يد السارق في الجملة.

●**الحكمة من إقامة حد السرقة:** احترم الإسلام المال، واحترم حق الأفراد في امتلاكه، وحَرَّم الاعتداء على هذا الحق: بسرقة أو اختلاس أو غش أو خيانة أو رشوة، أو غير ذلك من وجوه أكل أموال الناس بالباطل. ولما كان السارق عضواً فاسداً في المجتمع -إذ لو ترك لسرى شرُّه، وعمَّ

خطره وضرره - شرع الإسلام بتر هذا العضو الفاسد؛ عقاباً لهذه اليد على ظلمها وعدوانها، وردعاً لغيره عن اقتراف مثل هذه الجريمة، وصيانة لأموال الناس وحقوقهم.

●**شروط وجوب حد السرقة: يشترط لإقامة حد السرقة وقطع السارق:**

١ -أن يكون أخذ المال على وجه الخفية، فإن لم يكن كذلك فلا قطع، فالمنتهب على وجه الغلبة، والمغتصب، والمختطف، والخائن لا قطع عليهم؛ قال ﷺ:" ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع" أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح.

٢ -أن يكون السارق مكلفاً -بالغاً عاقلاً - فلا قطع على الصغير والمجنون؛ لأنه مرفوع عنهما التكليف كما مرَّ، ولكن يؤدب الصغير إذا سرق.

٣ -أن يكون السارق مختاراً، فلا قطع على المكره؛ لأنه معذور؛ لقوله ﷺ:" رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه".

٤ -أن يكون عالماً بالتحريم، فلا قطع على جاهل بتحريم السرقة.

٥ -أن يكون المسروق مالاً محترماً، فما ليس بمال لا حرمه له؛ كآلات اللهو والخمر والخنزير والميتة، وكذا ما كان مالاً لكنه غير محترم؛ كمال الكافر الحربي -فإن الكافر الحربي حلال الدم والمال - لا قطع فيه.

٦ -أن يبلغ الشيء المسروق نصاباً، وهو ربع دينار ذهباً فأكثر، أو ثلاثة دراهم فضة أو ما يقابل أحدهما من النقود الأخرى، فلا قطع في أقل من ذلك؛ لقوله ﷺ:" لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً" أخرجه مسلم.

٧ -أن يكون المال المسروق من حرز مثله، وهو المكان الذي يحفظ فيه المال في العادة، وهو يختلف باختلاف الأموال والبلدان وغيرها، ويرجع فيه إلى العرف، فإن سرق من غير حرز، كأن يجد باباً مفتوحاً، أو حرزاً مهتوكاً؛ فلا قطع عليه.

٨ -أن تنتفي الشبهة عن السارق، فإن كان له شبهة فيما سرق فلا قطع عليه؛ فإن الحدود تدرأ بالشبهات، فلا قطع على من سرق من مال أبيه، وكذا من سرق من مال ابنه؛ لأن نفقة كل منهما تجب في مال الآخر. ولا يقطع الشريك بالسرقة من مال له فيه شرك. وكذا كل من له استحقاق في مال، فأخذ منه، فلا قطع عليه، لكن يؤدب ويرد ما أخذ.

٩ -أن تثبت السرقة عند الحاكم، إما بشهادة عدلين أو بإقرار السارق؛ لعموم قوله تعالى:(وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ) [البقرة: ٢٨٢]. وأما الإقرار فلأن الإنسان غير متهم في الإقرار على نفسه بالإضرار بها.

١٠ -أن يطالب المسروق منه بماله؛ لأن المال يباح بالبذل والإباحة، فيحتمل إباحة صاحبه له، أو إذنه بدخول حرزه، أو غير ذلك مما يسقط الحد.

●**الشفاعة في حد السرقة:** لا تجوز الشفاعة في حد السرقة، ولا في غيره من الحدود، إذا علمه الإمام ووصل الأمر إليه؛ لقوله ﷺ لأسامة بن زيد لما أراد الشفاعة للمرأة المخزومية التي سرقت:" أتشفع في حد من حدود الله ؟!" متفق عليه. وقد تقدم الكلام على ذلك في أول الحدود.

●**هبة المسروق للسارق:** يجوز هبة الشيء المسروق للسارق، وعفو المسروق منه عنه، قبل رفع الأمر للحاكم. أما إذا وصل إليه فلا؛ لحديث صفوان بن أمية في السارق الذي أخذ رداءه من تحت رأسه، فلما رفع الأمر إلى النبي ﷺ وأمر بقطعه، قال صفوان:" إني أعفو وأتجاوز". وفي رواية:" قال: يا رسول الله هو له". فقال ﷺ:" هلاَّ قبل أن تأتيني به" أخرجه النسائي وأحمد، وصححه الألباني.

●**كيفية القطع وموضعه:** إذا توافرت الشروط السابق ذكرها، ووجب القطع، قطعت يد السارق اليمنى من مفصل الكف. وبعد القطع تحسم يد السارق بكيِّها بالنار، أو غمسها في زيت مغليّ، أو غير ذلك من الوسائل التي توقف نزف الدم، وتجعل الجرح يندمل، حتى لا يتعرض المقطوع للتلف والهلاك. فإذا عاد السارق إلى السرقة ثانية، قُطعت رجله اليسرى.

الفوائد:

....

....

....

التعزير:

●**تعريف التعزير:** التعزير لغة: المنع والرد ويأتي بمعنى النصرة مع التعظيم، قال تعالى:(وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ) [الفتح: ٩]، فإنه يمنع المعادي من الإيذاء. كما يأتي بمعنى الإهانة، يقال: عزره بمعنى أدَّبه على ذنب، فهو بذلك من الأضداد. والأصل فيه المنع. واصطلاحاً: التأديب في كل معصية لا حد فيها ولا كفارة.

●**حكم التعزير:** التعزير واجب في كل معصية لا حدَّ فيها ولا كفارة من الشارع، من فعل المحرمات وترك الواجبات إذا رآه الإمام؛ لحديث أبي بردة بن نيار رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" لا يجلد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود الله" متفق عليه، ولأنه ﷺ " حبس في تهمة" أخرجه الترمذي وأبو داود وحسنه الألباني. وكان عمر رضي الله عنه يعزر ويؤدب بالنفي، وحَلْق الرأس وغيره. والتعزير راجع إلى الإمام أو نائبه، يفعله إذا رأى المصلحة في فعله، ويتركه إذا اقتضت المصلحة تركه.

●**الحكمة من مشروعية التعزير:** شرع التعزير؛ صيانة للمجتمع من الفوضى والفساد، ودفعاً للظلم، وردعاً وزجراً للعصاة وتأديباً لهم.

●**أنواع المعاصي التي توجب التعزير:** المعاصي التي توجب التعزير نوعان:

١ -**ترك الواجبات** مع القدرة على أدائها؛ كقضاء الديون، وأداء الأمانات وأموال اليتامى، فإن هذه الأمور ومثلها يعاقب عليها من ترك أداءها حتى يؤديها، لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" مطل الغني ظلم" رواه البخاري ومسلم. وفي رواية:" لَيُّ الواجد يحل عرضه وعقوبته"[٥].

٢ -**فعل المحرمات**؛ كأن يختلي رجل بامرأة أجنبية أو يباشرها في غير الفرج، أو يُقَبِّلها أو يمازحها، وكإتيان المرأة المرأة، ففي هذا وأمثاله التعزير؛ إذ لم يرد فيه عقوبة محددة.

●**مقدار التعزير:** لم يقدر الشارع حدّاً معيناً في عقوبة التعزير، وإنما المرجع في ذلك لاجتهاد الحاكم وتقديره لما يراه مناسباً للفعل، حتى إن بعض العلماء يرى أن التعزير قد يصل إلى القتل إذا اقتضت المصلحة، كقتل الجاسوس المسلم، والمفرق لجماعة المسلمين، وغيرهما ممن لا يندفع شرهم إلا بالقتل.

●**أنواع العقوبات التعزيرية:** يمكن أن تصنف العقوبات التعزيرية حسب متعلقاتها على النحو التالي:

١ -ما يتعلق بالأبدان، كالجلد والقتل.

٢ -ما يتعلق بالأموال؛ كالإتلاف والغرم، كإتلاف الأصنام وتكسيرها، وإتلاف آلات اللهو والطرب وأوعية الخمر.

٣ -ما هو مركب منهما؛ كجلد السارق من غير حرز مع إضعاف الغرم عليه، فقد قضى ﷺ على من سرق من الثمر المعلق قبل أن يؤويه الجَرِينُ: بالحدِّ وغَرَّمَه مرتين. والجرين: موضع تجفيف التمر.

٤ -ما يتعلق بتقييد الإرادة، كالحبس، والنفي.

٥ -ما يتعلق بالمعنويات؛ كإيلام النفوس بالتوبيخ، والزجر.

حد الحرابة:

●**تعريف الحِرَابَة:** لغة: مأخوذ من حَرِبَ. أي: قَطْعُ الطَّريق على المارّة وسلبهم بقوّة السِّلاح. وشرعاً: البروز لأخذ مال أو لقتل أو لإرهاب، مكابرة، اعتماداً على الشوكة، مع البعد عن مسافة الغوث، من كل مكلف ملتزم للأحكام، ولو كان ذمياً أو مرتدا. وتسمى أيضاً: قطع الطريق.

---

٥ -أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وصححه غير واحد، وحسنه الألباني. واللَّيُّ معناه: المطل.

●**حد الحرابة وعقوبة المحاربين:** الأصل في إقامة الحد على المحاربين وقطاع الطرق وعقوبتهم قوله تعالى:(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ) [المائدة: ٣٣]. **وتختلف عقوبة المحاربين وحدُّهم باختلاف الجرائم التي ارتكبوها، وذلك على النحو التالي:**

-من قتل منهم وأخذ المال: قتل وصلب، حتى يشتهر أمره، ولا يجوز العفو عنه بإجماع العلماء.

-ومن قتل منهم ولم يأخذ المال: قتل ولم يصلب.

-ومن أخذ المال ولم يقتل: قطعت يده ورجله من خلاف في آن واحد.

-ومن أخاف الناس والطريق فقط، ولم يقتل، ولم يأخذ مالاً، نفي من الأرض وشرد وطورد، فلا يُترك يأوي إلى بلد.

وهذا التفصيل في عقوبتهم مأخوذ من أن الآية للتنويع في العقوبة وترتيبها لا للتخيير، وهو مرويٌّ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه الشافعي في مسنده.

●**شروط وجوب الحد على المحاربين:** يشترط لتطبيق الحد على المحاربين:

١ -التكليف: فلا بد من البلوغ والعقل حتى يعدَّ الشخص محارباً، ويقام عليه الحد. فالمجنون والصبي لا يُعَدَّان محاربين، ولا يقام عليهما الحد؛ لعدم التكليف.

٢ -أن يأتوا مجاهرة، ويأخذوا المال قهراً. فإن أخذوه مختفين فهم سُرَّاق، وإن اختطفوه، وهربوا فهم منتهبون، فلا قطع عليهم.

٣ -ثبوت كونهم محاربين، إما بإقرارهم أو بشهادة عدلين، كما في السرقة.

٤ -أن يكون المال الذي يؤخذ في حرز، بأن يأخذه من يد صاحبه قهراً، فإن كان المال متروكاً ليس بيد أحد، لم يكن آخذه محارباً.

●**سقوط الحد عن المحاربين:** يسقط حد الحرابة إذا تاب الجاني المحارب قبل القدرة عليه وتَمَكُّنِ الحاكم منه، كأن يهرب أو يختفي ثم يتوب؛ لقوله تعالى:(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [المائدة: ٣٤]، فيسقط ما كان واجباً لله، من النفي عن البلد، وقطع اليد والرجل، وتحتُّم القتل. إلا أن حقوق الآدميين من نفس أو طرف أو مال لا تسقط؛ لأنه حق لآدمي تعلق به فلا يسقط كالدَّين، إلا أن يعفو عنها مستحقها. أما من تاب بعد القدرة عليه، ورفعه إلى ولي الأمر، فلا يسقط الحد عنه، وإن كان صادقاً في توبته.

الفوائد:

....

....

....

الردة:

●**تعريف الردة:** الردة في اللغة: الرجوع عن الشيء، ومنه الرجوع عن الإسلام. وفي الاصطلاح: الكفر بعد الإسلام طوعاً بنطق، أو اعتقاد، أو شك، أو فعل.

●**شروطها:** أما شروطها: فالعقل والتمييز والاختيار. فلا يحكم على مجنون، أو صبي غير مميز، أو مكره بالردة، إذا وقعت منهم.

●**حكم المرتد:** أما حكمه في الدنيا: فهو القتل؛ لقوله ﷺ:" من بَدل دينه فاقتلوه" رواه البخاري. وينبغي قبل القتل أن يستتاب، ويدعى إلى الإسلام، وأن يضيق عليه ويحبس ثلاثة أيام، فإن تاب وإلا قتل؛ لحديث اليهودي الذي كان أسلم ثم ارتد. فقال معاذ رضي الله عنه لأبي موسى: لا أنزل عن دابتي حتى يقتل، فقتل. وفي رواية:" وكان قد استُتيب قبل ذلك" أخرجه أبو داود، وقواه الحافظ ابن حجر. ولقول عمر رضي الله عنه لما بلغه أن رجلاً كفر بعد إسلامه فضربت عنقه قبل أن يستتاب:" فهلاَّ حبستموه ثلاثاً، فأطعمتموه كل يوم رغيفاً، واستتبتموه، لعله يتوب، أو يراجع أمر ربه. اللهم إني لم أحضر، ولم أرض إذ بلغني" أخرجه مالك. والذي يتولى قتله الإمام أو نائبه؛ لأنه حق لله تعالى فيكون إلى وليِّ الأمر. ولا يقتل الصبي المميز -ولو قيل بصحة ردته - حتى يبلغ. وأما حكمه في الآخرة: فقد بَيَّنه الله تعالى في قوله:(وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة:٢١٧].

●**الأمور التي تحصل بها الردة:** والردة تحصل بارتكاب ما يوجبها جداً أو هزلاً أو استهزاءً، كالشرك بالله بجميع أنواعه، وجحود الصلاة وغيرها من أركان الإسلام، وسب الله ورسوله ﷺ، وجحود القرآن الكريم كله أو بعضه، ومن اعتقد أن بعض الناس يجوز له الخروج عن شريعة محمد ﷺ كغلاة الصوفية، وكذلك مَنْ ظاهر المشركين وأعانهم على المسلمين، وغير ذلك من أنواع الردة التي تحصل بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام الكثيرة. ومن ذلك: تحكيم القوانين الوضعية ممن يرى أنها أصلح مما جاءت به الشريعة الإسلامية أو أنها مساوية لها. وعلى هذا فإنه يمكن حصر الأمور التي تحصل بها الردة فيما يلي:

١ -القول: كمن سبَّ الله تعالى أو رسوله أو الملائكة، أو ادعى النبوة، أو ادعى علم الغيب، وكذا الشرك بالله تعالى.

٢ -الفعل: كالسجود للصنم والقبر ونحو ذلك، أو إلقاء المصحف، أو تعمد امتهانه، أو مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، وغير ذلك.

٣ -الاعتقاد: مثل اعتقاد الشريك لله تعالى أو الصاحبة أو الولد، أو اعتقاد حل الزنا أو الخمر، أو اعتقاد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه.

٤ -الشك: كأن يشك في حرمة ما أُجمع على حله، أو حل ما أجمع على حرمته، ومثله لا يجهله لكونه نشأ بين المسلمين.

●الأحكام المتعلقة بالردة:

١ -المكره إذا نطق بما يوجب ردته بسبب الإكراه فإنه لا يحكم بارتداده؛ لقوله تعالى:(إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) [النحل: ١٠٦].

٢ -المرتد يستتاب ثلاثة أيام فإن تاب وإلا قتل، وقتله للإمام أو نائبه، كما مضى بيان ذلك.

٣ -المرتد يمنع من التصرف في ماله، فإنْ أسلم مُكِّنَ من التصرف فيه، وإن مات على ردته أو قتل مرتداً فماله فيءٌ لبيت مال المسلمين؛ لأنه لا وارث له، لأن المسلم لا يرث الكافر، ولا يرثه أحد من الكفار؛ لأنه لا يُقَرُّ على رِدَّته.

٤ -المرتد لا يغسل ولا يصلى عليه، ولا يدفن مع المسلمين إذا قتل على ردته.

٥ -تحصل توبة المرتد بإتيانه بالشهادتين، لعموم قوله ﷺ:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها" متفق عليه. ومن كانت ردته بسبب جحود شيء من أمور الدين فتوبته إلى جانب الإتيان بالشهادتين: إقراره بما جحد وأنكر، ورجوعه عما كفر به.

كتاب الأيمان والنذور

●تعريف الأيمان: الأيمان لغة: جمع يمين، وهو الحلِف أو القَسَم، وسمي الحلف يميناً؛ لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل واحد منهم بيمينه على يمين صاحبه. وشرعاً: توكيد الشيء المحلوف عليه بذكر اسم الله، أو صفة من صفاته.

●أقسام اليمين: تنقسم اليمين من حيث انعقادها وعدم انعقادها إلى ثلاثة أقسام:

١ -اليمين اللغو: وهو الحلف من غير قصد اليمين، كأن يقول: لا واللهِ، وبلى واللهِ، وهو لا يريد بذلك يميناً ولا يقصد به قسماً، فهذا يعدُّ لغواً، أو يحلف على شيء يظن صدقه فيظهر خلافه؛ لقوله تعالى:(لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) [المائدة: ٨٩]. قالت عائشة رضي الله عنها:" أنزلت هذه الآية (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) في قول الرجل: لا والله، وبلى والله، وكلا والله" أخرجه البخاري. وهذه اليمين لا كفارة فيها، ولا مؤاخذة، ولا إثم على صاحبها.

٢ -اليمين المنعقدة: وهي اليمين التي يقصدها الحالف ويصمم عليها، وتكون على المستقبل من الأفعال، وتكون على أمر ممكن، فهذه يمين منعقدة مقصودة، فتجب فيها عند الحِنْث [٦] كفارة، لقوله تعالى:(لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ) [المائدة: ٨٩].

٣ -اليمين الغموس: وهي اليمين الكاذبة التي تهضم بها الحقوق، أو التي يقصد بها الغش والخيانة، فصاحبها يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب، وهي كبيرة من الكبائر، ولا تنعقد هذه اليمين، ولا كفارة فيها؛ لأنها أعظم من أن تكفر، ولأنها يمين غير منعقدة، فلا توجب الكفارة كاللغو. وتجب التوبة منها، ورد الحقوق إلى أصحابها إذا ترتب عليها ضياع حقوق. وسميت هذه اليمين غموساً لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في نار جهنم عياذاً بالله. ودليل حرمتها قوله تعالى:(وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [النحل: ٩٤]، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:" الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس" رواه البخاري، ولحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" خمس ليس لهن كفارة: الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، وبَهْت مؤمن، ويمين صابرة[٧] يقطع بها مالاً بغير حق" أخرجه أحمد، وحسَّنه الألباني.

● **كفارة اليمين وشروط وجوبها:**

١ -**كفارة اليمين:** شرع الله ﷻ لعباده كفارة اليمين التي يكون بها تحلة اليمين والخروج منها، وذلك رحمة بهم، قال الله تعالى:(قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ) [التحريم: ٢] وقال ﷺ:" من حلف على يمين، فرأى غيرها خيراً منها، فليأتها، وليكفر عن يمينه" أخرجه البخاري ومسلم. وهذه الكفارة تجب على الشخص إذا حنث في يمينه، ولم يَفِ بموجبها. وكفارة اليمين فيها تخيير وترتيب. فيخيَّر من لزمته بين إطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع من الطعام، أو كسوة عشرة مساكين لكل واحد ثوب يجزئه في الصلاة، أو عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب، فمن لم يجد شيئاً من هذه الثلاثة المذكورة صام ثلاثة أيام؛ لقوله تعالى:(لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ) [المائدة: ٨٩]. فجمعت كفارة

٦- الحِنْث في اليمين: عدم الوفاء بموجبها.

٧ -وهي اليمين الغموس، وسميت صابرة من الصبر، وهو الحبس والإلزام؛ لأن صاحبها يلزم بها ويحبس عليها، وتكون لازمة له من جهة الحكم.

اليمين بين التخيير والترتيب، تخيير بين الإطعام والكسوة والعتق، وترتيب بين هذه الثلاثة وبين الصيام.

٢ -**شروط وجوب كفارة اليمين:** لا تجب الكفارة في اليمين إذا نقضها الحالف، ولم يف بموجبها، إلا بشروط ثلاثة، وهي:

-**الشرط الأول:** أن تكون اليمين منعقدة، بأن يقصد الحالف عقدها على أمر مستقبل كما مضى بيان ذلك، ولا تنعقد اليمين إلا بالله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته؛ لقوله تعالى:(لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ) [المائدة: ٨٩]. فدل ذلك على أن الكفارة لا تجب إلا في اليمين المنعقدة، أما من سبق اليمين على لسانه بلا قصد فلا تنعقد يمينه، ولا كفارة عليه.

-**الشرط الثاني:** أن يحلف مختاراً، فمن حلف مكرهاً لم تنعقد يمينه ولا كفارة عليه فيها؛ لقوله ﷺ:" رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه".

-**الشرط الثالث:** أن يحنث في يمينه، بأن يفعل ما حلف على تركه، أو يترك ما حلف على فعله، ذاكراً ليمينه مختاراً، أما إذا حنث في يمينه ناسياً أو مكرهاً فلا كفارة عليه للحديث المتقدم.

●**الاستثناء في اليمين:** من حلف فقال في يمينه: إن شاء الله، فلا حنث عليه ولا كفارة، إذا نقض يمينه، لقوله ﷺ:" من حلف فقال: إن شاء الله لم يحنث" رواه الترمذي، وأحمد. وصححه الألباني.

●**نقض اليمين والحنث فيها:** الأصل أن يفي الحالف باليمين، لكن قد ينقضه لمصلحة، أو ضرورة. وقد شرع له كفارة ذلك كما سبق. ويمكن تقسيم نقض اليمين، والحنث فيها بحسب المحلوف عليه، على النحو التالي:

١ -أن يكون نقض اليمين واجباً: وذلك إذا حلف على ترك واجب، كمن حلف أن لا يصل رحمه، أو حلف على فعل محرم، كأن يحلف ليشربن خمراً؛ فهنا يجب عليه نقض يمينه، وتلزمه الكفارة؛ لأنه حلف على معصية.

٢ -أن يكون نقض اليمين حراماً: كما لو حلف على فعل واجب، أو ترك محرم، وجب عليه الوفاء، ويحرم عليه نقض اليمين؛ لأن حلفه في هذه الحالة تأكيد لما كلف الله به عباده.

٣ -أن يكون نقض اليمين مباحاً: وذلك إذا حلف على فعل مباح أو تركه.

●**صور لبعض الأيمان الجائزة والممنوعة:** إن اليمين الجائزة هي التي يحلف فيها باسم الله، أو بصفة من صفاته. كأن يقول: والله أو: ووجهِ الله أو: وعظمته وكبريائه؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدركَ عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب، يحلف بأبيه فقال:" ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت" رواه البخاري ومسلم، ولحديث ابن عمر

رضي الله عنهما قال:" كانت يمين النبي ﷺ: لا، ومقلِّبِ القلوب" رواه البخاري. وكذلك لو قال: أقسم بالله لأفعلن كذا فهو يمين إن نواها؛ لقوله تعالى:(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) [النحل: ٣٨].

●**ومن الأيمان الممنوعة:**

١ -الحلف بغير الله تعالى، كقوله: وحياتك، والأمانة؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال:" فمن كان حالفاً فيلحلف بالله أو ليصمت" متفق عليه.

٢ -الحلف بأنه يهودي أو نصراني، أو أنه بريء من الله أو من رسول الله ﷺ إن فعل كذا ففعله؛ لحديث بريدة عن أبيه ﷺ أن النبي ﷺ قال:" من حلف فقال: إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً" أخرجه أبو داود والنسائي وصححه الألباني.

٣ -الحلف بالآباء والطاغوت؛ لحديث عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تحلفوا بالطواغيت، ولا بآبائكم" رواه مسلم.

الفوائد:

....
....
....

النذور:

●**تعريف النذر:** النذر لغة: الإيجاب، تقول: نذرت كذا إذا أوجبته على نفسك. وشرعاً: إلزام مكلف مختار نفسه شيئاً لله تعالى.

●**مشروعية النذر وحكمه:** النذر مشروع بالكتاب والسنة والإجماع، كما سيأتي ذكره من الأدلة على ذلك. وأما حكم النذر ابتداءً فإنه مكروه غير مستحب؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى عن النذر وقال:" إنه لا يردُّ شيئاً وإنما يستخرج به من الشحيح" رواه البخاري ومسلم، ولأن الناذر يلزم نفسه بشيء لا يلزمه في أصل الشرع، فيحرج نفسه، ويثقلها بذلك، ولأنه مطلوب من المسلم فعل الخير بلا نذر. إلا أنه إذا نذر فعل طاعة وجب عليه الوفاء به؛ لقوله تعالى:(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ) [البقرة: ٢٧٠]، وقوله تعالى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) [الإنسان: ٧]، ولحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:" من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه" رواه البخاري. فقد مدح الله عز وجل الموفين بالنذر وأثنى عليهم، وأمر ﷺ بالوفاء به، فدل ذلك على أن النهي المتقدم عن النبي ﷺ إنما هو للكراهة لا للتحريم، وأن المنهي عنه والمكروه هو ابتداء النذر والدخول فيه، وأما الوفاء به، وإنجازه لمن لزمه

فواجب، وطاعة لله سبحانه. والنذر نوع من أنواع العبادة لا يجوز صرفه لغير الله تعالى، فمن نذر لقبر أو وليٍّ ونحوه، فقد أشرك بالله تعالى شركاً أكبر، والعياذ بالله.

●**شروط النذر:** لا يصح النذر إلا من شخص بالغ عاقل مختار، فلا يصح النذر من الصبي، ولا من المجنون والمعتوه، ولا من المكره؛ لقوله ﷺ:" رفع القلم عن ثلاثة" الحديث، ولقوله ﷺ:" إن الله تجاوز لأمتي عن الخطأ" الحديث.

●**ألفاظ النذر:** صيغ النذر وألفاظه أن يقول:" لله عليَّ أن أفعل كذا"، أو:" عليَّ نذر كذا". ونحو ذلك من الألفاظ التي يصرح فيها بذكر النذر.

●**أقسام النذر:**

١ -**النذر الصحيح وغير الصحيح:** ينقسم النذر باعتبار صحته وعدم صحته إلى: صحيح وغير صحيح، أو: جائز وممنوع، أو منعقد وغير منعقد. فيكون النذر صحيحاً منعقداً واجب الوفاء: إذا كان طاعة وقربة، يتقرب بها الناذر إلى الله تعالى. ويكون غير صحيح ولا منعقد ولا واجب الوفاء: إذا كان معصية لله تعالى؛ كالنذر للقبور والأولياء أو الأنبياء، أو نذر أن يقتل، أو أن يشرب الخمر، ونحو ذلك من المعاصي، فإن هذا النذر لا ينعقد، ويحرم الوفاء به.

٢ -**النذر المطلق والمقيد:**

أ -النذر المطلق: هو الذي يلتزمه الشخص ابتداءً دون تعليقه على شرط، وقد يقع شكراً لله على نعمة أو لغير سبب، كأن يقول الشخص: لله عليَّ أن أصلي كذا أو أصوم كذا. فيجب الوفاء به.

ب -النذر المقيَّد: وهو ما كان معلقاً على شرط وحصول شيء، كأن يقول: إن شفى الله مريضي، أو قدم غائبي، فعليَّ كذا. وهذا يلزم الوفاء به، عند تحقق شرطه، وحصول مطلوبه.

●**أنواع النذر وأحكامه:** ينقسم النذر بحسب الأحكام المترتبة عليه، ولزوم الوفاء به من عدمه، إلى خمسة أنواع:

١ -**النذر المطلق:** نحو قوله: لله عليَّ نذر. ولم يسم شيئاً، فليزمه كفارة يمين، سواء كان مطلقاً أو مقيداً؛ لحديث عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كفارة النذر إذا لم يسم كفارة يمين" رواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب، وضعفه غيره، لكن يؤيده ما رواه أبو داود بنحوه من حديث ابن عباس، ورجح الأئمة وقفه عليه.

٢ -**نذر اللَّجَاج والغضب:** وهو تعليق نذره بشرط يقصد به المنع من فعل شيء أو الحمل عليه أو التصديق أو التكذيب، كقوله: إن كلمتك، أو إن لم أخبر بك، أو إن لم يكن هذا الخبر صحيحاً، أو إن كان كذباً فعليَّ الحج، أو العتق..، فهذا النذر خارج مخرج اليمين للحث على فعل شيء أو

المنع منه، ولم يقصد به النذر ولا القربة، فهذا يخير فيه بين فعل ما نذره أو كفارة يمين؛ لقوله ﷺ:" كفارة النذر كفارة يمين" رواه مسلم.

٣ -**النذر المباح:** وهو أن ينذر فعل الشيء المباح، نحو: أن ينذر لبس ثوب أو ركوب دابة.. ونحو ذلك، واختار شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لا شيء عليه فيه؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ يخطب، إذا هو برجل قائم فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم وأن يصوم، فقال:" مروه، فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه" رواه البخاري.

٤ -**نذر المعصية:** وهو أن ينذر فعل معصية، كنذر شرب خمر، والنذر للقبور، أو لأهل القبور من الأموات، وصوم أيام الحيض، ويوم النحر، فهذا النذر لا ينعقد ولا يجب الوفاء به، لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:" ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه" رواه البخاري؛ لأن معصية الله لا تباح في حال من الأحوال، ولا يلزمه به كفارة.

٥ -**نذر التبرر:** وهو نذر الطاعة، كنذر فعل الصلاة والصيام والحج، سواء أكان مطلقاً، أم معلقاً على حصول شيء، فيجب الوفاء به إن كان مطلقا، وعند حصول الشرط إن كان معلقاً؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:" من نذر أن يطيع الله فليطعه" رواه البخاري.

●**صور من النذر الذي لا يجوز الوفاء به:** إن النذر الذي لا يجوز الوفاء به هو نذر المعصية وهذا يتحقق في صور، منها:

١ -نذر شرب الخمر أو صوم أيام الحيض؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:" ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه".

٢ -النذر الذي يقع للأموات كأن يقول: يا سيدي فلان، إن رد غائبي، أو عوفي مريضي، أو قضيت حاجتي، فلك من النقد أو الطعام أو الشمع أو الزيت كذا وكذا. فهذا باطل، وهو شرك أكبر والعياذ بالله؛ لأنه نذر للمخلوق، وهو لا يجوز؛ لأن النذر عبادة، وهي لا تكون إلا لله.

٣ -إذا نذر أن يسرج قبراً، أو شجرة، لم يجز الوفاء به، ويصرف قيمة ذلك للمصالح؛ لأنه معصية، ولا نذر في معصية؛ للحديث المتقدم.

الفوائد:

....

....

....

كتاب الأطعمة، والذبائح، والصيد

●**تعريفها:** الأَطْعِمَة جمع طَعَام، وهو ما يأكله الإنسان ويتغذى به من الأقوات وغيرها أو يشربه.

●**الأصل فيها:** تنطلق القاعدة الشرعية في معرفة ما يحل من الأطعمة وما يحرم من قوله تعالى:(قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأنعام: ١٤٥]، ومن قوله سبحانه وتعالى:(وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) [الأعراف: ١٥٧]، ومن قوله تعالى:(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) [الأعراف: ٣٢]. والمراد بالطيبات: ما تستطيبه النفس وتشتهيه؛ لأن الطعام لما كان يتغذى به الإنسان، فإن أثره ينعكس على أخلاقه، فالطعام الطيب يكون أثره طيباً، والخبيث يكون على الضد من ذلك؛ لذا أباح الله سبحانه الطيب من المطاعم، وحَرَّم الخبيث منها. فالأصل في الأطعمة الحل، إلا ما حرمه الشارع الحكيم؛ ولذا قال تعالى:(وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ) [الأنعام: ١١٩]. وقد جاء هذا التفصيل مشتملاً على:

١ -النص على المباح.

٢ -النص على الحرام.

٣ -ما سكت عنه الشارع.

وقد بيَّن النبي ﷺ ذلك بقوله:" إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها" أخرجه الدار قطني، والبيهقي وحسنه النووي كما نقله عنه الشيخ الفوزان.

●**ما نص الشارع على حله وإباحته:** والأصل في ذلك القاعدة: أن كل طعام طاهر لا مضرة فيه فإنه مباح، والأطعمة المباحة على نوعين: حيوانات ونباتات؛ كالحبوب والثمار، والحيوانات على نوعين: برية وبحرية:

أولاً -الحيوان البحري: وهو كل حيوان لا يعيش إلا في البحر؛ كالسمك بأنواعه المختلفة وكذا غيره من حيوانات البحر، إلا ما فيه سُمٌّ فإنه يحرم للضرر، وكذا يحرم من طعام البحر ما كان مستخبثاً مستقذرا كالضفدع، مع ما جاء من النهي عن قتله، وكالتمساح؛ لكونه مستخبثاً، ولأن له ناباً يفترس به. لعموم قوله تعالى:(وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) [الأعراف: ١٥٧] ويجوز أكل الحيوان البحري سواء صاده مسلم أو غيره، وسواء كان له شبه، يجوز أكله في البر أم لم يكن. والحيوان البحري لا يحتاج إلى تذكية؛ لقوله تعالى:" أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ"

[المائدة: ٩٦]. قال ابن عباس رضي الله عنهما:" ألا إن صيده: ما صيد، وطعامه: ما لفظ البحر" أخرجه الدار قطني. وانظر تفسير ابن كثير عند الآية المذكورة. ولحديث أبي هريرة ﷺ قال: سأل رجل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا. أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ:" هو الطَّهور ماؤهُ، الحلُّ ميتته" أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح.

ثانياً -الحيوان البري: الحلال من الحيوان البري المنصوص عليه يلخص في:

أ -**الأنعام**؛ قال تعالى:(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) [النحل: ٥]، وقوله سبحانه:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ) [المائدة: ١]. والمقصود ببهيمة الأنعام: الإبل والبقر والغنم.

ب -**الخيل**؛ لحديث جابر ﷺ قال:" نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر، ورخص في لحوم الخيل" أخرجه البخاري، ومسلم.

ج -**الضب**؛ لقول ابن عباس ﷺ قال:" أُكِلَ الضب على مائدة رسول الله ﷺ" متفق عليه. وقوله ﷺ:" كلوا فإنه حلال، ولكنه ليس من طعامي" متفق عليه.

د -**الحمار الوحشي**: وهو غير المستأنس؛ لحديث أبي قتادة ﷺ:" أنه رأى حماراً وحشياً فعقره، فقال النبي ﷺ: هل معكم من لحمه شيء؟ قال: معنا رجله، فأخذها، فأكلها" متفق عليه.

هـ -**الأرنب**؛ لما رواه أنس ﷺ:" أنه أخذ أرنباً، فذبحها أبو طلحة، وبعث بوركها إلى النبي ﷺ فقبله" متفق عليه

و -**الضبع**؛ لما روى جابر ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن الضبع، فقال:" هو صيد ويجعل فيه كبش إذا صاده" أخرجه أبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجه والنسائي، وصححه الألباني، أي: وهو محرم، قال الحافظ ابن حجر:" وقد ورد في حل الضبع أحاديث لا بأس بها" فتح الباري.

ز -**الدجاج**؛ لما روى أبو موسى ﷺ، قال:" رأيت رسول الله ﷺ يأكل لحم دجاج" متفق عليه. ويلحق بالدجاج الأوز والبط؛ لأنهما من الطيبات، فتدخل في قوله تعالى:(أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ) [المائدة: ٤].

ح -**الجراد**؛ لحديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال:" غزونا مع النبي ﷺ سبع غزوات أو ستاً، كنا نأكل معه الجراد" رواه البخاري، ومسلم.

●**ما نص الشارع على تحريمه:** والأصل فيما يحرم من الأطعمة: أن كل طعام نجس مستقذر فيه مضرة، لا يجوز أكله، وذلك على النحو التالي:

١ - **المحرمات من الطعام** محصورة في عشرة أشياء؛ قال تعالى:(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) [المائدة:٣]:

-أما الميتة: فهي ما مات حتف أنفه، وفارقته الحياة بدون ذكاة شرعية، وحرمت لما فيها من المضرة بسبب الدم المحتقن وخبث التغذية، وتجوز للمضطر بقدر الحاجة، ويستثنى من الميتة: السمك والجراد، فإنهما حلال.

-والدم: المراد به الدم المسفوح، فإنه حرام؛ لقوله تعالى في آية أخرى:(أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا) [الأنعام: ١٤٥]، أما ما يبقى من الدم في خلل اللحم، وفي العروق بعد الذبح، فمباح، وكذا ما جاء الشرع بحله من الدم؛ كالكبد والطحال.

-ولحم الخنزير: لأنه قذر، ويتغذى على القاذورات، ولمضرته البالغة، وقد جمع الله عز وجل هذه الثلاثة في قوله:(إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) [الأنعام: ١٤٥].

-وما أهل لغير الله به: أي ذبح على غير اسمه تعالى، وهذا حرام لما فيه من الشرك المنافي للتوحيد؛ فإن الذبح عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، كما قال عز وجل:(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) [الكوثر: ٢].

-والمنخنقة: وهي التي تخنق فتموت، إما قصداً أو بغير قصد.

-والموقوذة: هي التي تُضْرَب بعصا أو شيء ثقيل، فتموت.

-والمتردية: هي التي تتردَّى من مكان عال، فتموت.

-والنطيحة: هي التي تنطحها أخرى، فتقتلها.

-وما أكل السبع: هي التي يعدو عليها أسد أو نمر أو ذئب أو فهد أو كلب، فيأكل بعضها، فتموت بسبب ذلك. فما أُدرك من هذه الخمسة الأخيرة، وبه حياة، فذكي، فإنه حلال الأكل؛ لقوله تعالى في الآية المذكورة:(إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ) [المائدة: ٣].

-وما ذُبح على النصب: وهي حجارة كانت منصوبة حول الكعبة، وكانوا في الجاهلية يذبحون عندها، فهذه لا يحل أكلها؛ لأن ذلك من الشرك الذي حرَّمه الله، كما مضى فيما أُهِل لغير الله به. ويحرم من الأطعمة أيضاً:

٢ - **ما فيه مضرة:** كالسم والخمر وسائر المسكرات والمفتِّرات؛ قال تعالى:(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) البقرة:١٩٥، وقال ﷻ:(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) النساء:٢٩.

٣ -**ما قطع من الحي:** فعن أبي واقد الليثي ﷺ قال: قال ﷺ:" ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة" رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسَّنه، وصححه الألباني.

٤ -**سباع البهائم:** هي التي تفترس بنابها (تنهش) من حيوانات البر؛ كالأسد والذئب والنمر والفهد والكلب؛ لحديث أبي ثعلبة الخشني ﷺ قال:" نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع" متفق عليه، ولقوله ﷺ:" كل ذي ناب من السباع، فأكله حرام" أخرجه مسلم.

٥ -**سباع الطير:** وهي التي تصيد بمخلبها؛ كالعُقاب والباز والصقر والحدأة والبومة، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:" نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع، وعن كل ذي مخلب من الطيور" [٨].

٦ -**يحرم من الطيور ما يأكل الجيف،** كالنسر والرَّخَم والغراب؛ لخبث ما غذائها.

٧ -**يحرم كل حيوان نُدِبَ قتله:** كالحية والعقرب والفأرة والحدأة؛ لحديث عائشة أن النبي ﷺ قال:" خمس من الدواب كلهن فاسق، يقتلن في الحرم: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور" متفق عليه، ولكونها مستخبثة مستقذرة.

٨ -**الحمر الأهلية؛** لما روى جابر:" أن النبي ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية" رواه البخاري ومسلم.

٩ -**ما يستخبث من الأطعمة:** كالفأرة والحية والذباب والزنبور والنحل؛ لقول الله تعالى:(وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) [الأعراف: ١٥٧].

١٠ -**الجلاَّلة:** وهي التي أكثر أكلها النجاسة؛ لما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال:" نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة" رواه أبو داود ، وابن ماجه وهو صحيح. وسواء في ذلك الإبل والبقر والغنم والدجاج ونحوها، فإذا حبست بعيداً عن النجاسات، وأطعمت الطاهرات، حل أكلها. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يحبسها ثلاثاً إذا أراد أكلها، وقيل: تحبس أكثر من ذلك.

●**ما سكت عنه الشارع:** ما سكت عنه الشارع، ولم يرد نص بتحريمه، فهو حلال، لأن الأصل في الأشياء الإباحة، دل على هذا قوله تعلى:(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) [البقرة: ٢٩]، وحديث أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً، وتلا:(وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) [مريم: ٦٤] أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

●**ما يكره أكله:** يكره أكل البصل والثوم وما كان في معناهما مما له رائحة كريهة؛ كالكراث والفجل، ولا سيما عند حضور المساجد وغيرها من مجامع الذكر والعبادة، لحديث جابر ﷺ أن

٨- رواه مسلم. والمِخْلَب للطير والسبع كالظفر للإنسان؛ لأن الطائر يخلب الجلد بمخلبه، أي: يقطعه ويمزقه.

رسول الله ﷺ قال:" من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس" رواه البخاري ومسلم. يعني: شجرة الثوم، وفي رواية:" حتى يذهب ريحها". فإن طَبَخَ هاتين البقلتين حتى يذهب ريحهما، فلا بأس بأكلهما؛ لقول عمر بن الخطاب ﷺ:" فمن أكلهما فليمتهما طبخاً" أخرجه مسلم. وفي رواية لجابر ﷺ:" ما أراه يعني إلا نَيئه" جامع الأصول.

●آداب الأكل: للأكل آداب ينبغي الحرص عليها، وهي:

١ -التسمية عند ابتداء الأكل: لحديث عمر بن أبي سلمة ﷺ قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيشُ في الصَّحْفَة، فقال لي رسول الله ﷺ:" يا غلام سَم الله، وكُلْ بيمينك، وكل مما يليك" فما زالت تلك طِعمتي بعد[٩].

٢ -الأكل باليمين: للحديث السابق.

٣ -الأكل مما يلي الشخص: إلا إذا علم أن مُجالسه لا يتأذى، ولا يكره ذلك، فلا بأس أن يأكل حينئذ من نواحي القصعة؛ لحديث أنس ﷺ في قصة الخياط الذي دعا النبي ﷺ إلى طعام، قال أنس:" فرأيته -يعني النبي ﷺ يتتبع الدباء من حوالي القصعة" رواه البخاري. أو كان الشخص وحده ليس معه أحد، أو كان الطعام مشتملاً على ألوان متعددة، فيجوز له الأخذ مما ليس أمامه، ما لم يؤذ بذلك أحداً.

٤ -الحمد في آخره: لحديث أبي أمامة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا رُفعت المائدة من بين يديه، يقول:" الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مُوَدَّعٍ، ولا مستغنىً عنه ربنا"[١٠]، ولقوله ﷺ:" إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها" أخرجه مسلم.

٥ -الأكل على السُّفَر: لحديث أنس بن مالك ﷺ قال:" ما أكل نبي الله ﷺ على خِوَان ولا في سُكُرُّجَة، ولا خُبزَ له مُرَقَّق، قال: فقلت لقتادة: فعلى ما كانوا يأكلون؟ قال: على هذه السُّفَرِ"[١١].

٦ -كراهية الأكل متكئاً: لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله كُلْ -جعلني الله فداك - متكئاً، فإنه أهون عليك، فأصغى برأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض، قال:" لا، بل آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد" أخرجه البغوي، وأحمد، وصححه الأرناؤوط

---

[٩]-رواه البخاري ومسلم. ومعنى تطيش: تتحرك في نواحي القصعة ولا تقتصر على موضع واحد.

[١٠]-رواه البخاري. ومعنى (غير مودع): غير متروك الطاعة.

[١١]-رواه البخاري. والخوان: ما يؤكل عليه، وهو المائدة، معرب. والسُّفرة: التي يؤكل عليها أيضاً، سميت كذلك لأنها تبسط إذا أكل عليها. والسكرجة: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم، وهي فارسية. وربما كان تركه الأكل على الخوان لأنه من عادة العجم يكون على هيئة معينة، وربما يقال ذلك في السكرجة أيضاً.

بشاهد مرسل (حاشية شرح السنة)، ولحديث أبي جحيفة ﷺ قال: قال ﷺ:" إني لا آكل متكئاً" رواه البخاري.

٧ -عدم عيب الطعام الذي لا يريد أكله: لحديث أبي هريرة ﷺ قال:" ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه" رواه البخاري ومسلم.

٨ -الأكل من جوانب القصعة وكراهية الأكل من وسط القصعة: لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه أتي بقصعة من ثريد فقال:" كلوا من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها، فإن البركة تنزل في وسطها" رواه أحمد، والترمذي وقال: حسن صحيح، وأبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

٩ -الأكل بثلاثة أصابع، ولعقها بعد الأكل: لحديث كعب بن مالك ﷺ قال:" كان النبي ﷺ يأكل بثلاثة أصابع، ولا يمسح يده حتى يَلْعَقَهَا" رواه مسلم.

١٠ -أكل ما سقط منه أثناء الطعام أو تناثر: لقوله ﷺ:" إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان" أخرجه مسلم.

١١ -مسح القصعة التي يأكل فيها ولعقها: لقول أنس ﷺ في الحديث الماضي:" وأمرنا -يعني النبي ﷺ أن نَسْلُتَ القصعة" يعني: نمسحها، ونتتبع ما بقي فيها من طعام. وفي رواية:" أن النبي ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة، وقال:" إنكم لا تدرون في أيِّه البركة" أخرجه مسلم.

أحكام الذبائح:

●**تعريف الذبائح:** لغة: الذبائح جمع ذبيحة، بمعنى مذبوحة. وشرعاً: الحيوان الذي تمت تذكيته على وجه شرعي. والتذكية: هي ذبح -أو نحر- الحيوان البري المأكول المقدور عليه، بقطع حلقومه ومريئه، أو عَقْرِ الممتنع غير المقدور عليه منها. والعَقْرُ معناه: الجرح.

●**أنواع التذكية:** وحيث إن الذبح يراد به الحيوان الذي تمت تذكيته على الوجه الشرعي؛ فإنه من المناسب بيان أنواع التذكية التي تبيح أكل الحيوان، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام، كما يتضح من التعريف السالف للتذكية:

١ -الذبح: وهو قطع الحلق من الحيوان بشروط.

٢ -النحر: وهو قطع لَبَّة الحيوان، وهي أسفل العنق، وهو التذكية المسنونة للإبل؛ لقوله تعالى:(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) [الكوثر: ٢].

٣ -العقر: وهو قتل الحيوان غير المقدور عليه من الصيد والأنعام، بجرحه في غير الحلق واللبة في أي مكان من جسمه؛ لحديث رافع ﷺ قال: نَدَّ بعير، فأهوى إليه رجل بسهم فحبسه، فقال رسول ﷺ:" ما نَدَّ عليكم فاصنعوا به هكذا"[١٢].

●**حكم التذكية:** حكم تذكية الحيوان المقدور عليه أنها لازمة، لا يحل شيء من الحيوان المذكور بدونها، وذلك بلا خلاف بين أهل العلم؛ لقوله تعالى:(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ) [المائدة: ٣] وغير المذكى ميتة، إلا السمك، والجراد، وكل مالا يعيش إلا في الماء، فيحلُّ بدون ذكاة، كما مضى بيانه في الأطعمة.

●**شروط صحة الذبح:** تنقسم هذه الشروط إلى أقسام ثلاثة: شروط تتعلق بالذابح. وشروط تتعلق بالمذبوح. وشروط تتعلق بآلة الذبح:

أ -الشروط المتعلقة بالذابح:

١ -أهلية الذابح: بأن يكون الذابح عاقلاً مميزاً، سواء أكان ذكراً أم أنثى، مسلماً أم كتابيا. قال تعالى:(إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ) [المائدة: ٣]، وهذه الآية في ذبيحة المسلم. وقال تعالى:(وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ) [المائدة: ٥] وهذه الآية في ذبيحة الكتابي، قال ابن عباس:" طعامهم: ذبائحهم" رواه البخاري معلقاً، ووصله البيهقي. أما سائر الكفار من غير أهل الكتاب، وكذا المجنون، والسكران، والصبي غير المميز، فلا تحل ذبائحهم.

٢ -ألا يذبح لغير الله عز وجل أو على غير اسمه، فلو ذبح لصنم أو مسلم أو نبي لم تحل؛ لقوله تعالى عند ذكر المحرم من الأطعمة:(وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) [المائدة: ٣]. فإذا توافر هذان الشرطان في الذابح حلت ذبيحته، لا فرق في الذابح بين أن يكون رجلاً أو امرأة، كبيراً أو صغيراً، حراً أو عبداً.

ب -الشروط المتعلقة بالمذبوح:

١ -أن يقطع من الحيوان الحلقوم، والمريء، والودجين. والحلقوم هو مجرى النفس. والمريء هو مجرى الطعام. والودجان هما العِرقان المتقابلان المحيطان بالحلقوم؛ لحديث رافع بن خديج ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه، ليس السن والظفر" رواه البخاري، ومسلم. فقد اشترط في الذبح أن يسيل الدم. والذبح بقطع الأشياء المشار إليها من الحيوان. وفي هذا المحل خاصة أسرع في إسالة دمه وزهوق روحه، فيكون أطيب لِلَّحم، وأخف وأيسر على الحيوان. وما أصابه سبب الموت كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، وكذا المريضة، وما وقع في شبكة، أو أنقذه من مهلكة: إذا أدركه وفيه حياة مستقرة -كتحريك يده، أو رجله، أو طرف عينه - فذكاه فهو حلال؛ لقوله تعالى:(إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ) [المائدة: ٣] أي: فليس بحرام. وأما ما عجز

١٢ – رواه البخاري، ومسلم. ونَد: نَفَرَ وذهب على وجهه شارداً.

عن ذبحه في المحل المذكور، لعدم التمكن منه، كالصيد، والنعم المتوحشة، والواقع في بئر ونحو ذلك، فذكاته بجرحه في أي موضع من بدنه فيكون ذلك ذكاة له؛ لحديث رافع بن خديج المتقدم في البعير الذي نَدَّ وشرد فأصابه رجل بسهم، فأوقفه، فقال النبي ﷺ:" ما ندَّ عليكم فاصنعوا به هكذا" تقدم تخريجه.

٢ -أن يذكر اسم الله عز وجل عند الذبح؛ لقوله تعالى:(وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) [الأنعام: ١٢١]، ويسن أن يكبر مع التسمية، لما روي عنه ﷺ في الأضحية أنه لما ذبحها " سمى وكبَّر" صحيح مسلم. وفي رواية: أنه كان يقول:" باسم الله، والله أكبر" صحيح مسلم.

ت -**الشرط المتعلق بآلة الذبح:** أن تكون الآلة مما يجرح بحدّه من حديد ونحاس وحجر، وغير ذلك مما يقطع الحلقوم، وينهر الدم، عدا السن والظفر؛ لحديث رافع ﷺ أن النبي ﷺ قال:" ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه، ليس السِّنَّ والظُّفُرَ" تقدم في الصفحة السابقة. ويدخل في حكم السن والظفر في المنع سائر أنواع العظام، سواء أكانت من آدمي أم غيره. وسبب المنع من ذلك ما ذكر في الحديث، وتمامه:" وسأحدثكم عن ذلك: أما السنُّ فعظم، وأما الظفر فَمُدَى الحبشة". أما النهي عن الذبح بالعظام: فلأنها تنجس بالدم، وقد نهى النبي ﷺ عن تنجيسها؛ لأنها زاد إخواننا من الجن. وأما الظفر: فللنهي عن التشبه بالكفار انظر: فتح الباري.

●**آداب الذبح:** للذبح آداب ينبغي للذابح التقيد بها، وهي:

١ -أن يحد الذابح شفرته؛ لحديث شداد بن أوس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة، واذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحَة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته" أخرجه مسلم.

٢ -أن يُضجع الدابة لجنبها الأيسر، ويترك رجلها اليمنى تتحرك بعد الذبح؛ لتستريح بتحريكها؛ لحديث شداد بن أوس المتقدم قبل قليل. ولحديث أبي الخير أن رجلاً من الأنصار حدثه عن رسول الله ﷺ أنه أضجع أضحيته ليذبحها، فقال رسول الله ﷺ للرجل:" أَعِنِّي على ضحيتي" فأعانه أخرجه أحمد ، قال الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح" ، وقال الحافظ ابن حجر: "رجاله ثقات".

٣ -نحر الإبل قائمة معقولة ركبتها اليسرى. والنحر: الطعن بمحدد في اللَّبة، وهي الوهدة التي بين أصل العنق والصدر؛ لقوله تعالى:(فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ) [الحج: ٣٦] أي:" قياماً من ثلاث" زاد المسير. ومر ابن عمر رضي الله عنهما على رجل قد أناخ بدنته؛ لينحرها، فقال:" ابعثها قياماً مقيدة سنة محمد ﷺ" متفق عليه.

٤ -ذبح سائر الحيوان غير الإبل: لقوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً" [البقرة: ٦٧]، ولحديث أنس ﷺ:" أن النبي ﷺ ذبح الكبشين اللذين ضحى بهما" أخرجه البخاري ومسلم.

●مكروهات الذبح:

١ -يكره الذبح بآلة كَالَّة (غير قاطعة)؛ لأن ذلك تعذيب للحيوان؛ لحديث شداد بن أوس الماضي، وفيه:" وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته". ولحديث ابن عمر:" أن رسول الله ﷺ أمر أن تحد الشفار، وأن توارى عن البهائم" أخرجه أحمد وابن ماجه، وضعَّفه الألباني لكن له ما يشهد له.

٢ -يكره كسر عنق الحيوان أو سلخه قبل زهوق روحه؛ لحديث شداد بن أوس ﷺ:" وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة"، ولقول عمر ﷺ:"لا تعجلوا الأنفس أن تزهق" أخرجه البيهقي، وقال الألباني: هذا إسناد يحتمل التحسين.

٣ -يكره حد السكين والحيوان يبصره؛ لحديث ابن عمر:" وأن توارى عن البهائم".

●حكم ذبائح أهل الكتاب:

تحل ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ لقوله تعالى:(وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ) [المائدة: ٥]، أي: ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى حل لكم أيها المسلمون. قال ابن عباس:" طعامهم: ذبائحهم". فذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى حلال بإجماع المسلمين؛ لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، وتحريم الميتات، بخلاف غيرهم من الكفار من عبدة الأوثان والزنادقة والمرتدين والمجوس، فإنه لا تحل ذبائحهم، وكذا المشركون شركاً أكبر، من عُبَّاد القبور والأضرحة ونحوهم.

●أحكام الصيد:

●تعريف الصيد: الصَّيْدُ لغة: مصدر صَادَ يَصِيْدُ صيداً أي: قنصه، وأَخْذُه خلسة وحيلة، سواء أكان مأكولاً أم غير مأكول. وأُطلق على المصيد، تسميةً للمفعول باسم المصدر، فيقال للحيوان المصيد: صيد. وشرعاً: اقتناص حيوان حلال متوحش طبعاً، غير مملوك، ولا مقدور عليه. والوَحْشُ: هو كل حيوان غير مستأنس من دواب البر.

●مشروعية الصيد: الصيد مشروع مباح؛ قوله تعالى:(أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) [المائدة: ١]، وقوله تعالى:(وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا) [المائدة: ٢]. ولحديث عدي بن حاتم ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله عليه فَكُلْ" رواه البخاري، ومسلم. هذا إن كان الصيد لحاجة الإنسان، أما إن كان لمجرد اللعب واللهو، فهو مكروه؛ لكونه من العبث، ولنهيه ﷺ أن تُصْبَرَ البهائم رواه البخاري، ومسلم. أي: تتخذ غرضاً للرمي.

●الصيد المباح وغير المباح: الصيد كله مباح بحريه وبريه إلا في حالات:

الحالة الأولى: يحرم صيد الحَرَم للمحرم وغيره، وذلك بالإجماع، لقوله ﷺ يوم فتح مكة:" إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض... لا يعضد شوكه، ولا يُنَفَّر صيده" متفق عليه. قال

الحافظ ابن حجر:" قيل: هو كناية عن الاصطياد، قال العلماء: يستفاد من النهي عن التنفير تحريم الإتلاف بالأولى" فتح الباري.

الحالة الثانية: يحرم على المحرم صيد البَر، أو اصطياده، أو الإعانة على صيده بدلالة أو إشارة أو نحو ذلك؛ لقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) [المائدة: ٩٥]. وكذلك يحرم عليه الأكل مما صاده، أو صيد لأجله، أو أعان على صيده، لقوله تعالى:(وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا) [المائدة: ٩٦]. وقد ردَّ النبي ﷺ حماراً وحشياً أهداه إليه الصعب بن جثامة، وقال:" إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم" أخرجه البخاري. يعنى: من أجل أننا حرم.

●**شروط إباحة الصيد:** يشترط لحل الصيد وإباحته شروط، وذلك في الصائد، وآلة الصيد:

أولاً: شروط الصائد: يشترط في الصائد الذي يحل أكل صيده ما يشترط في الذابح بأن يكون مسلماً أو كتابياً، عاقلاً، فلا يحل ما صاده مجنون أو سكران لعدم الأهلية، ولا يحل ما صاده مجوسي أو وثني أو مرتد؛ لأن الصائد بمنزلة المذكي. أما ما لا يحتاج إلى ذكاة كالحوت والجراد، فيباح إذا صاده من لا تحل ذبيحته. وأن يكون الصائد قاصداً للصيد؛ لأن الرمي بالآلة وإرسال الجارحة جعل بمنزلة الذبح، فاشترط له القصد.

ثانياً: شروط آلة الصيد: الآلة نوعان:

١ -ما له حَدٌّ يجرح؛ كالسيف والسكين والسهم: وهذا يُشترط فيه ما يشترط في آلة الذبح بأن ينهر الدم، ويكون غير سن وظفر، وأن يجرح الصيد بحده لا بثقله؛ لحديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه" تقدم تخريجه. وسئل رسول الله ﷺ عن صيد المعراض فقال:" ما خَزَقَ فَكُلْ، وما قتل بعرضه فلا تأكل" [١٣]، وفي معنى المعراض: الحجارة، والعصا، والفخ، وقطع الحديد ونحوه مما ليس محدداً، إلا الرصاص الذي يستعمل اليوم في البنادق، فإنه حلال صيده؛ لأن به قوة دفع تخزق، وتنهر الدم.

٢ -الجارحة من سباع البهائم أو جوارح الطير، فيجوز الصيد بسباع البهائم التي تصيد بنابها وجوارح الطير التي تصيد بمخلبها، لقوله تعالى:(وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ) [المائدة: ٤]. ومثال سباع البهائم: الكلب، الفهد، النمر. ومثال جوارح الطير: الصقر، الباز، الشاهين.

●**شروط الاصطياد بسباع البهائم وجوارح الطير:** يشترط في الاصطياد بسباع البهائم وجوارح الطير أن تكون مُعَلَّمة، أي أنها تعلم آداب أخذ الصيد؛ وذلك بأن تتصف بالصفات التالية:

١ -أن تقصد إلى الحيوان الذي يراد صيده إذا أرسلت إليه، ولا تقصد شيئاً غيره.

---

[١٣]-رواه البخاري، ومسلم. والمِعْرَاض: سهم بلا ريش ولا نصل، وإنما يصيب بعرضه دون حده. وخزق السهم الرمية: طعنها ونفذ فيها.

٢ -أن تنزجر إذا زجرت، فتتوقف إذا استوقفها صاحبها. وهذان الشرطان معتبران في الكلب خاصة؛ لأن الفهد لا يكاد يجيب داعياً، وإن اعتبر متعلماً. أما الطير: فتعليمها يعتبر بأمرين كذلك: أن تسترسل إذا أرسلت، وأن ترجع إذا دعيت.

٣ -ألا تأكل شيئاً من الصيد إذا قتلته، قبل أن تصل به إلى صاحبها الذي أرسلها. والأصل في اعتبار هذه الشروط قوله تعالى:(قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ) [المائدة: ٤]. وحديث عدي ابن حاتم ﵁ عن النبي ﷺ قال:" إذا أرسلت الكلب المعلم، وسمَّيت، فأَمْسَكَ، وقَتَلَ، فكلْ، وإن أكل فلا تأكل، فإنما أمسك على نفسه" متفق عليه.

●**التسمية عند رمي الصيد:** ومن الشروط أيضاً: التسمية عند رمي الصيد أو إرسال الجارحة؛ لقوله تعالى:(فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ) [المائدة: ٤]، ولحديث عدي بن حاتم ﵁ مرفوعاً:" إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله عليه... وإن رميت سهمك فاذكر اسم الله عليه" أخرجه مسلم. وفي لفظ:" إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله عليه، فكل" تقدم تخريجه، فإن ترك التسمية سهواً حلّ الصيد.

●**حكم إدراك الصيد حياً:** إذا أدرك الصائد الصيد وفيه حياة مستقرة، فإنه يجب ذكاته، ولا يحل بدونها، أما إذا أدركه ولا حياة فيه مستقرة، فإنه يجوز أكله بدون ذكاة.

الفوائد:

....

....

....

كتاب القضاء والشهادات

●**تعريفه:** القضاء في اللغة: الحكم والفصل. وإحكام الشيء والفراغ منه، يقال: قَضَى يقضِي قضاءً إذا حَكَمَ وفَصَلَ. وفي الاصطلاح: تبيين الحكم الشرعي، والإلزام به، وفصل الخصومات، وقطع المنازعات. وسمي القضاء حكما لما فيه من منع الظالم، مأخوذ من الحكمة التي توجب وضع الشيء في موضعه.

●**حكمه والحكمة منه:** القضاء فرض على الكفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإن امتنع كل الصالحين عنه أثموا؛ لأن أمر الناس لا يستقيم بدونه، وهو من القُرَبِ العظيمة، ففيه نصرة المظلوم، وإقامة الحدود، وإعطاء كل مستحق حقه، والإصلاح بين الناس، وقطع المخاصمات والمنازعات؛ ليستتب الأمن، ويقل الفساد.

لذا يجب على الإمام تعيين القضاة حسب ما تقتضيه الحاجة والمصلحة، لئلا تضيع الحقوق ويعم الظلم، وفيه فضيلة عظيمة وأجر كبير لمن دخل فيه، وقام بحقه، وهو من أهله، وفيه إثم عظيم لمن دخل فيه ولم يؤد حقه ولم يكن من أهله.

●**أدلة مشروعيته:** الأصل فيه الكتاب، والسنة، والإجماع. فدليل مشروعيته من الكتاب قوله تعالى:(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) [ص: ٢٦]. ومن السنة قوله ﷺ:" إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم واجتهد ثم أخطأ فله أجر" متفق عليه: رواه البخاري، ومسلم. وقد تولى النبي ﷺ منصب القضاء، ونَصَّب القضاة، وكذلك فِعْلُ أصحابه مِنْ بعده والسلف الصالح. أما الإجماع: فقد أجمع المسلمون على مشروعية نصب القضاة والحكم بين الناس.

●**شروط القاضي:** يشترط فيمن يتولى القضاء الشروط الآتية:

١ -أن يكون مسلماً؛ لأن الإسلام شرط للعدالة، والكافر ليس بعدل، كما أن تولي الكافر القضاء رفعة له، والمطلوب إذلاله.

٢ -أن يكون مكلفاً (بالغاً عاقلاً)؛ لأن الصبي والمجنون غير مكلفين، وتحت ولاية غيرهما.

٣ -الحرية؛ لأن الرقيق مشغول بحقوق سيده وليس له ولاية، فليس أهلاً للقضاء، كالمرأة.

٤ -الذكورة؛ فلا تتولى المرأة القضاء؛ لأنها ليست من أهل الولاية، قال النبي ﷺ:" لن يفلح قوم ولَّوْا أمرهم امرأة" رواه البخاري.

٥ -العدالة؛ فلا يولى الفاسق؛ لقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) [الحجرات: ٦]. فإذا كان لا يقبل خبره، فعدم قبول حكمه من باب أولى.

٦ -السلامة من العاهات المزمنة كالصمم والعمى والخرس، لأنه لا يتمكن مع هذه العاهات من الفصل بين الخصوم، وفي اشتراط البصر نظر.

٧ -أن يكون عالماً بالأحكام الشرعية التي ولي للقضاء بها ولو في مذهبه الذي يقلد فيه إماماً من الأئمة.

●**آداب القاضي وأخلاقه:**

١ -ينبغي أن يكون القاضي قوياً ذا هيبة من غير تكبر ولا عنف، ليناً من غير ضعف؛ لئلا يطمع القوي في باطله، وييأس الضعيف مِنْ عدله.

٢ -أن يكون حليما متأنياً؛ لئلا يغضب من كلام الخصم فيمنعه الحكم.

٣ -أن يكون ذا فطنة ويقظة، لا يؤتى من غفلة ولا يخدع لغرة.

٤ -ينبغي أن يكون القاضي عفيفاً ورعاً، نزيهاً عما حرم الله.

٥ -أن يكون قنوعاً صدوقاً، ذا رأي ومشورة. قال علي ﷺ:" لا ينبغي أن يكون القاضي قاضياً حتى تكون فيه خمس خصال: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوي الألباب، لا يخاف في الله لومة لائم" انظر: المغني لابن قدامة، وقال الألباني: لم أره لعلي، وأخرج البيهقي نحوه عن عمر بن عبد العزيز.

٦ -يحرم على القاضي أن يسارَّ أحد الخصمين، أو يحابي أحدهما، أو يلقنه حجته، أو يعلمه كيف يدّعي.

٧ -يحرم على القاضي أن يقضي وهو غضبان غضباً شديداً؛ لقوله ﷺ:" لا يقضي حاكم بين اثنين وهو غضبان" متفق عليه. ويقاس على الغضب كل ما يشوش على الفكر من المشكلات والهموم، والجوع والعطش والتعب، والمرض وغيرها.

٨ -يحرم على القاضي قبول الرشوة؛ لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم" رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجه، وصححه الألباني؛ فالرشوة تمنعه من الحكم بالحق لصاحبه، أو تجعله يحكم بالباطل للمبطل، وكلاهما شر عظيم.

٩ -يحرم على القاضي قبول الهدايا من الخصمين أو من أحدهما، ومن كانت له عادة بمهاداته قبل القضاء فلا بأس، بشرط ألا يكون لهذا المهدي خصومة يحكم له فيها. ولو تورع عن ذلك كله لكان أفضل له. فالقاضي ينبغي له أن ينزه نفسه عن جميع ما يؤثر في قضائه وسمعته، حتى البيع والشراء لا ينبغي له أن يبيع ويشتري بنفسه ممن يعرفه، خشية المحاباة؛ فإن المحاباة في البيع والشراء كالهدية. وإنما يتعاطى البيع والشراء بوكيل لا يعرف أنه له.

١٠ -لا يجوز للقاضي أن يقضي لنفسه ولا لقرابته، ممن لا تقبل شهادته له، ولا يحكم على عدوه، لقيام التهمة في هذه الأحوال.

١١ -لا يحكم القاضي بعلمه؛ لأن ذلك يفضي إلى تهمته.

١٢ -يستحب للقاضي أن يتخذ كاتباً يكتب له الوقائع، وغيره ممن يحتاجه لمساعدته، كالحاجب والمزكي والمترجم، لكثرة انشغاله بأمور الناس.

١٣ -يتعين على القاضي أن يحكم بما في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فإن لم يجد قضى بالإجماع، فإن لم يجد وكان من أهل الاجتهاد اجتهد، وإن لم يكن من أهل الاجتهاد فعليه أن يستفتي في ذلك فيأخذ بفتوى المفتي.

١٤ -يجب على القاضي العدل بين الخصمين في كل شيء، كتب عمر ﷺ إلى أبي موسى ﷺ:" واس بين الناس في وجهك، ومجلسك، وعدلك؛ حتى لا ييأس الضعيف من عدلك، ولا يطمع الشريف في حيفك" رواه الدار قطني وهو صحيح.

●**طريق الحكم وصفته:** يتوصل القاضي إلى الحكم في قضية ما باتباع الخطوات التالية:

-إذا حضر عنده الخصمان أجلسهما بين يديه، وسألهما: أيُّكما المدَّعِي؟ أو يسكت حتى يتكلم المدَّعِي فيستمع دعواه.

-فإن جاءت الدعوى على الوجه الصحيح، سأل القاضي المدَّعَى عليه عن موقفه حيالها، فإن أقرَّ بها قضى عليه، وإن أنكر طالب المدعِي بالبينة.

-فإن كانت للمدعِي بينة طالبه بإحضارها، واستمع شهادتها، وحكم بها بشروطها، ولا يحكم بعلمه.

-فإن لم يكن للمدَّعِي بينة أعلمه القاضي أن له اليمين على خصمه؛ لقوله ﷺ للحضرمي الذي ادَّعى أرضاً غلبه عليها الكندي:" ألك بينة؟" قال: لا. قال:" فلك يمينه" أخرجه مسلم، ولقوله ﷺ:" البينة على المدَّعي، واليمين على المدَّعى عليه" سيأتي تخريجه في الباب الذي بعد هذا.

-فإن قبل المُدَّعي يمين المدعى عليه، حلفه القاضي وخلَّى سبيله؛ لأن الأصل براءة الذمة.

-فإن نكل المدَّعى عليه عن اليمين وأبى أن يحلف، قضى عليه الحاكم بالنكول، فالنكول -يعني: الامتناع - قرينة ظاهرة دالة على صدق المدَّعي، وقد حكم بالنكول عثمان ﷺ وجماعة من أهل العلم. وذهب جماعة آخرون إلى أن اليمين ترد على المدعِي إذا نكل المدعَى عليه، فيحلف، ويستحق، ولا سيما إذا قوي جانبه.

-فإذا حلف المدعى عليه وخلَّى الحاكم سبيله، فأحضر المدَّعي بَينة بعد ذلك حكم له بها؛ لأن يمين المنكر لا تزيل الحق، وإنما هي مزيلة للخصومة.

الفوائد:

....

....

....

الشهادات:

●**تعريفها:** الشهادة في اللغة: الخبر القاطع، مشتقة من المشاهدة. والمراد بها عند الفقهاء: الإخبار بحق للغير على الغير في مجلس القضاء. أو: هي الإخبار بما علمه الشاهد بلفظ خاص، وهو: أشهد أو شهدت، أو ما يقوم مقامهما.

●**حكمها:** تَحَمُّل الشهادة في غير حق الله تعالى -يعني في حق الآدميين - فرض على الكفاية، إذا وجد من يقوم بذلك كفى عن الآخرين لحصول الغرض، وإن لم يوجد إلا من يكفي تعيَّن عليه؛ لقوله تعالى:(وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا) [البقرة: ٢٨٢]. وأما أداؤها وإثباتها عند الحاكم: ففرض عين على من تحملها متى دُعي إلى أدائها؛ لقوله تعالى:(وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ

قَلْبُهُ) [البقرة: ٢٨٣]، وهذا وعيد شديد لمن كتمها، فدل على فرضية أدائها على من تحملها، متى دعي إلى ذلك. ويشترط لوجوب تحملها وأدائها: انتفاء الضرر عن الشاهد، فإن كان يلحقه من ذلك ضرر في عرضه أو ماله أو نفسه أو أهله، فلا يجب عليه؛ لقوله ﷺ:" لا ضرر ولا ضرار" أخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي والبيهقي وصححه الألباني.

●**أدلة مشروعيتها:** دلَّ على مشروعية الشهادة الكتاب والسنة والإجماع. أما الكتاب فقوله تعالى:(وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا) [البقرة: ٢٨٢]، وقوله تعالى:(وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) [الطلاق: ٢]. وقوله تعالى:(وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ) [البقرة: ٢٨٣]. وقوله تعالى:(وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) [الطلاق: ٢]. وقوله تعالى:(وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ) [البقرة: ٢٨٢]. ومن السنة: حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال:" شاهداك أو يمينه" رواه البخاري، ومسلم، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:" البينة على المدَّعي، واليمين على من أنكر" رواه الترمذي، وصححه الألباني من حديث عمرو بن شعيب بلفظ "واليمين على المدعى عليه". وقد أجمع العلماء على مشروعيتها؛ لإثبات الحقوق، ولأن الحاجة داعية إليها.

●**شروط الشاهد الذي تقبل شهادته:** يشترط فيمن تقبل شهادته الشروط التالية:

١ -الإسلام: فلا تقبل شهادة الكافر؛ لقوله تعالى:(وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) [الطلاق: ٢]. وقوله عز وجل:(مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ) [البقرة: ٢٨٢] والكافر ليس بعدل ولا مرضي، وتقبل شهادة الكفار من أهل الكتاب في حال الوصية في السفر لأجل الضرورة، وذلك إذا لم يوجد غيرهم؛ لقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ) [المائدة: ١٠٦]. قال ابن عباس وجماعة كثيرون في قوله:(وْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ): من غير المسلمين، يعني أهل الكتاب انظر: تفسير ابن كثير.

٢ -البلوغ والعقل: فلا شهادة لصغير وإن اتصف بالعدالة، لأنه غير كامل العقل، فهو ناقص الأهلية. لكن تقبل شهادة الصبيان بعضهم على بعض في الجروح خاصة، وبخاصة قبل تفرقهم إذا اتفقت كلمتهم. وكذا لا تقبل شهادة المجنون والمعتوه والسكران؛ لأن شهادتهم لا تفيد اليقين الذي يحكم بمقتضاه.

٣ -الكلام: فلا تقبل شهادة الأخرس، ولو فهمت إشارته؛ وإنما قبلت إشارته في الأحكام الخاصة به للضرورة. لكن لو أدى الشهادة بخطه كتابة قُبلت؛ لدلالة الخط على الألفاظ.

٤ -الحفظ والضبط واليقظة: فلا تقبل شهادة المغفل والمعروف بكثرة الخطأ والسهو؛ لعدم حصول الثقة بقوله؛ لاحتمال أن يكون ذلك من غلطه، لكن تقبل ممن يقلُّ منه ذلك؛ لأنه لا يسلم منه أحد.

٥ -العدالة: فلا تقبل شهادة الفاسق؛ لقوله تعالى:(وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) [الطلاق: ٢]، والعدل: هو المستقيم في دينه، الذي لم تظهر منه ريبة، ذو المروءة، المؤدي للواجبات والمستحبات، المجتنب للمحرمات والمكروهات.

●الأحكام المتعلقة بالشهادة:

١ -يجب على الشاهد أن يكون على علم بما يشهد به، فلا يجوز له أن يشهد بما لا يعلم، قال الله عز وجل:(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) [الإسراء: ٣٦]. وقال تعالى:(إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [الزخرف: ٨٦] أي: على بصيرة وعلم. والعلم يحصل بالسماع أو بالرؤية أو بالشهرة والاستفاضة فيما لا يحصل إلا بها غالباً كالنسب والموت.

٢ -لا تقبل شهادة الأب لابنه ولا العكس؛ لحصول التهمة، وكذلك أحد الزوجين لصاحبه. وتقبل الشهادة عليهم، فلو شهد على أبيه أو ابنه أو زوجته أو شهدت عليه قبلت؛ لعدم التهمة في ذلك، قال الله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) [النساء: ١٣٥].

٣ -لا تقبل شهادة العدو على عدوه، ولا من يجر إلى نفسه نفعاً بها، أو يدفع بها ضرراً عن نفسه، أما العداوة في الدين فلا تمنع قبول الشهادة، فتقبل شهادة المسلم على الكافر، والسنيّ على المبتدع.

٤ -يجب على الشاهد أن يشهد بالحق ولو على أقرب الناس إليه ولا تجوز المحاباة، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) [النساء: ١٣٥] أي: وإن كانت الشهادة على والديك وقرابتك، فلا تراعهم فيها، بل اشهد بالحق وإن عاد ضررها عليهم.

٥ -تقبل الشهادة على الشهادة؛ لأن الحاجة تدعو إلى ذلك، ولكن بشرط تعذُّر شهود الأصل لمرض أو موت أو غيرهما، مع ثبوت عدالة شاهد الأصل والفرع معاً.

٦ -لا تقبل شهادة الزور، وهو الكذب، وهي من الكبائر لقوله تعالى:(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) [الحج: ٣٠]. وقوله ﷺ:" ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئاً فقال: ألا وقول الزور. قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت" رواه البخاري، ومسلم، ولأن فيها رفعاً للعدل وتحقيقاً للجور والظلم.

٧ -لا يجوز للشاهد أخذ الأجرة على أداء الشهادة، لكن لو عجز عن المشي إلى محل أداء الشهادة فله أخذ أجرة الركوب.

٨ -عدد الشهود يختلف باختلاف المشهود به، فالزنى واللواط لا يقبل فيهما أقل من أربعة شهود من الرجال؛ قال تعالى:(لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) [النور: ١٣]. أما بقية الحدود كالسرقة والقذف، وكذلك ما ليس بمال ولا يقصد به المال، وكان مما يطلع عليه الرجال في الغالب، كالنكاح والطلاق والرجعة والظهار والنسب والوكالة والوصية ونحوها، فيقبل فيها شاهدان من الرجال. ولا تقبل فيه شهادة النساء، لقوله تعالى في الرجعة:(وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) [الطلاق: ٢]، فيقاس عليه سائر ما ذكر، فإنه ليس بمال ولا يقصد به المال، فأشبه العقوبات.

أما المال وما يقصد به المال، كالبيع والإجارة والأجل والقرض والرهن والوديعة ونحو ذلك من العقود المالية، فيقبل فيه شهادة الرجلين أو الرجل والمرأتين؛ لقوله تعالى:(وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ) [البقرة: ٢٨٢]. ويقبل أيضاً في المال وما يقصد به المال شهادة رجل واحد ويمين المدعي لقضاء النبي بها. أما ما لا يطلع عليه الرجال في الغالب كعيوب النساء المستورة والثيوبة والبكارة والولادة والرضاع واستهلال المولود ونحو ذلك فتقبل فيه شهادة النساء منفردات، وتكفي امرأة واحدة عدلة. ومن ادعى الفقر بعد أن كان غنياً، فيشترط لإثبات ذلك شهادة ثلاثة رجال؛ لقوله ﷺ في حديث قبيصة بن الخارق فيمن تحل له المسألة:" ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحِجا من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة"[١٤].

٩ -لا يشترط في أداء الشهادة أن يقول: (أشهد) أو (شهدت)، بل يكفي في ذلك قوله: رأيت كذا، أو سمعت، أو نحو ذلك؛ لعدم ورود ما يدل على اشتراط ذلك. وبعد، فهذا ما يَسَّر الله - سبحانه - جمعه في هذا المختصر، نسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به عباده المؤمنين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع :

- المرجع الأساس: الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة مجموعة من العلماء
- المرجع المساعد: الفقه الإسلامي لوهبة الزحيلي

[١٤] - أخرجه مسلم. والحِجا: العقل.

مقرر مادة التاريخ

سيرة الخلفاء الراشدين

مقدمة

لقد أرسل الله تعالى محمدًا –عليه الصلاة والسلام - رسولًا وأسوة للعالمين وقدوةً لهم ؛ وأمرهم بالاقتداء به وسلوكِ هديه ﷺ، وهذا متوقفٌ على معرفة سيرته العطرة وشمائله الكريمة التي تُعدُّ منهج حياة لكلِّ مسلم ومسلمة، فقد كان عليه الصلاة والسلام قرآنًا يمشي على الأرض، وحياته كلها مدرسة؛ في التعليم والدعوة، والتضحية والجهاد، والعبادة والسلوك.

فتعلُّمُ السيرة مرتكزٌ هام في حياة المسلم، وسبيلٌ قويٌّ في تعميق محبته واتباعه ﷺ، وقد تم تناول ذلك في المستول الأول.. إلا أن الاطلاع على تاريخ وسيرة الصحابة من الأهمية بمكان؛ وضرورة لكل طالب علم، فمن لا يعرف ماضيه لا يعرف مستقبله، ومن حوى التاريخ إلى صدره أضاف أعمارًا إلى عمره. فكيف إذا كان هذا التاريخ تاريخ الخلفاء الرشدين الذين رافقوا النبيَّ ﷺ، وصحبوه في مسيرته الإيمانية!؟

فتاريخ عصر الخلفاء الراشدين مليء بالدروس والعبر، ونحن في أشد الحاجة إلى ما يغذي الأرواح، ويهذب النفوس، وينور العقول، ويشحذ الهمم، ويقدم الدروس، ويسهل العِبَر وينضج الأفكار، نستفيد ذلك كلَّه من حياة وعصر من قال الله فيهم:(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: ١٠٠]. وقال تعالى:(مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا) [الفتح: ٢٩]. وقال فيهم رسول الله ﷺ:" خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم..." رواه مسلم. وقال فيهم عبد الله بن مسعود:" من كان مستنًا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد، كانوا والله أفضل هذه الأمة وأبرَّها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم".

فبين أيديكم مقرر مادة التاريخ، المتعلق بمعرفة سيرة الخلفاء الراشدين ﷺ، والاطلاع على تفاصيل حياتهم، ولقد تمَّ اختصاره من كتاب تاريخ الخلفاء للإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله. نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم إلى كل خير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الوحدة الأولى:
سيرة أبي بكر الصديق ﷺ:

الدرس الأول:

أولًا - اسمه ولقبه ﷺ:

●اتفقوا على أن اسمه عبد الله بن عثمان إلا ما روى ابن سعد عن ابن سيرين أن اسمه عتيق والصحيح أنه لقبه ثم اختلف في وقت تلقيبه به وفي سببه.

● لقِّب بالعتيق؛ لعتاقة وجهه -أي لجماله-، وقيل: لقدمه في الخير. وقيل: لعتاقة نسبه (طهارته إذ لم يكن في نسبه شيء يعاب به)، وقيل: سمي به أولا ثم سمي بعبد الله. وقيل لأبي طلحة:" لم سمي أبو بكر عتيقا؟ قال: كانت أمه لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به البيت ثم قالت: اللهم إن هذا عتيق من الموت فهبه لي". وروي عن ابن عباس قال:" إنما سمي عتيقا لحسن وجهه". وروي عن عائشة قالت:" اسم أبي بكر الذي سماه به أهله عبد الله ولكن غلب عليه اسم عتيق، و في لفظ:" ولكن النبي ﷺ سماه عتيقاً". وروي عن النبي ﷺ قوله:" من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر".

●وسمِّي الصديق؛ قيل: كان يلقب به في الجاهلية لما عرف منه من الصدق، وقيل: لمبادرته إلى تصديق رسول الله ﷺ فيما كان يخبر به. وقتادة:" وأول ما اشتهر به صبيحة الإسراء". وأخرج الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت:" جاء المشركون إلى أبي بكر فقالوا: هل لك إلى صاحبك؟ يزعم أن أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. فقال: لقد صدق إني لأصدقه بأبعد من ذلك، بخبر السماء غدوة وروحة" فلذلك سمي الصديق، إسناده جيد. وقيل:" لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أسري به، فكان بذي طوى، قال يا جبريل: إن قومي لا يصدقوني. قال: يصدقك أبو بكر، وهو الصديق". وسئل علي ﷺ فقال:" ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل وعلى لسان محمد، كان خليفة رسول الله ﷺ على الصلاة، رضيه لديننا، فرضيناه لدنيانا" إسناده جيد. وقال أبو يحيى قال:" لا أحصي كم سمعت عليًّا، يقول على المنبر: إن الله سمى أبا بكر على لسان نبيه صديقاً".

ثانياً -مولده ومنشؤه ﷺ:

ولد بعد مولد النبي ﷺ بسنتين وأشهر، فإنه مات، وله ثلاث وستون سنة. قال ابن كثير: وأما ما أخرجه خليفة بن الخياط عن يزيد بن الأصم أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: "أنا أكبر أو أنت؟" قال: أنت أكبر وأنا أسن منك فهو مرسل غريب جداً والمشهور خلافه. وإنما صح ذلك عن العباس.

وكان منشؤه بمكة لا يخرج منها إلا لتجارة، وكان ذا مال جزيل في قومه ومروءة تامة وإحسان

وتفضل فيهم، كما قال ابن الدغنة: إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتكسب المعدوم، وتحمل الكَل، وتعين على نوائب الدهر، وتقري الضيف. قال النووي:" وكان من رؤساء قريش في الجاهلية وأهل مشاورتهم ومحببًا فيهم وأعلم لمعالمهم، فلما جاء الإسلام آثره على ما سواه، ودخل فيه أكمل دخول". وأخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن معروف بن خربوذ قال: إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أحد عشر من قريش اتصل بهم شرف الجاهلية والإسلام، فكان إليه أمر الديات والغرم، وذلك أن قريشًا لم يكن لهم ملك ترجع الأمور كلها إليه، بل كان في كل قبيلة ولاية عامة تكون لرئيسها، فكانت في بني هاشم السقاية والرفادة، ومعنى ذلك أنه لا يأكل ولا يشرب أحد إلا من طعامهم وشرابهم، وكانت في بني عبد الدار الحجابة واللواء والندوة، أي: لا يدخل البيت أحد إلا بإذنهم، وإذا عقدت قريش راية حرب عقدها لهم بنو عبد الدار، وإذا اجتمعوا لأمر إبرامًا أو نقضًا لا يكون اجتماعهم إلا بدار الندوة، ولا ينفذ إلا بها، وكانت لبني عبد الدار.

ثالثاً -عفته في الجاهلية رضي الله عنه:

أخرج ابن عساكر بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت:" والله ما قال أبو بكر شعرًا قط في جاهلية ولا إسلام، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية". وأخرجه أبو نعيم بسند جيد عنها قالت:" لقد كان حرَّم أبو بكر الخمر على نفسه في الجاهلية". وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن الزبير قال:" ما قال أبو بكر شعرا قط". وأخرج ابن عساكر عن أبي العالية الرياحي قال:" قيل لأبي بكر الصديق في مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ: هل شربت الخمر في الجاهلية؟ فقال: أعوذ بالله. فقيل: ولم؟ قال: كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيعًا في عرضه ومروءته. قال: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال:" صدق أبو بكر صدق أبو بكر مرتين" مرسل غريب سندًا ومتنًا.

رابعاً -فصل في صفته رضي الله عنه:

أخرج ابن سعد عن عائشة أنَّ رجلًا قال لها:" صفي لنا أبا بكر. فقالت: رجل أبيض نحيف خفيف العارضين أجنأ، لا يستمسك إزاره، يسترخي عن حقويه، معروق الوجه غائر العينين، ناتئ الجبهة، عاري الأشاجع، هذه صفته". وأخرج عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر كان يخضب بالحناء والكتم. وأخرج عن أنس قال:" قدم رسول الله ﷺ المدينة، وليس في أصحابه أشمط غير أبي بكر، فلفها بالحناء والكتم".

الفوائد:

....

....

الدرس الثاني:

أولًا -إسلامه رضي الله عنه:

أخرج الترمذي وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال:" قال أبو بكر: ألست أحق الناس بها؟ أي الخلافة ألست أول من أسلم؟ ألست صاحب كذا؟ ألست صاحب كذا؟". وأخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال:" أول من أسلم من الرجال أبو بكر". وأخرج ابن أبي خيثمة بسند صحيح عن زيد بن أرقم قال:" أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر". وأخرج ابن سعد عن أبي أروى الدوسي الصحابي رضي الله عنه قال:" أول من أسلم أبو بكر الصديق". وأخرج الطبراني في الكبير وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن الشعبي قال:" سألت ابن عباس أي الناس كان أول إسلاما؟ قال: أبو بكر الصديق ألم تسمع قول حسان:

إذا تذكرت شجوًا من أخي ثقةٍ فاذكرْ أخاك أبا بكر بما فَعَلا

خيرُ البرية أتقـاها وأعدلُـها إلا النبيّ وأوفـاها بما حَمَـلا

والثاني التالي المحمودُ مشهدُه وأولُ الناس منهم صدَّق الرُّسلا

وأخرج أبو نعيم عن فرات بن السائب قال:" سألت ميمون بن مهران قلت: علي أفضل عندك أم أبو بكر أم عمر؟ قال: فارتعد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال: ما كنت أظن أن أبقى إلى زمان يعدل بهما لله درهما! كانا رأس الإسلام. قلت: فأبو بكر كان أول إسلاما أم علي؟ قال: والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمن بحيرا الراهب، حين مر به، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه، وذلك كله قبل أن يولد علي".

وقيل: أول من أسلم علي. وقيل: خديجة. وجُمع بين الأقوال: بأن أبا بكر أول من أسلم من الرجال، وعلي أول من أسلم من الصبيان، وخديجة أول من أسلمت من النساء. وأول من ذكر هذا الجمع الإمام أبو حنيفة رحمه الله. وأخرج ابن أبي شيبة وابن عساكر عن سالم بن أبي الجعد قال:" قلت لمحمد ابن الحنفية: هل كان أبو بكر أول القوم إسلامًا؟ قال: لا. قلت: فبم علا أبو بكر وسبق، حتى لا يذكر أحد غير أبي بكر؟ قال: لأنه كان أفضلهم إسلامًا من حين أسلم حتى لحق بربه".

وأخرج ابن عساكر بسند جيد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص أنه قال لأبيه سعد:" أكان أبو بكر الصديق أولكم إسلاما؟ قال: لا. أسلم قبله أكثر من خمسة، ولكن كان خيرنا إسلاما". قال ابن كثير:" والظاهر أن أهل بيته ﷺ آمنوا قبل كل أحد: زوجته خديجة ومولاه زيد وزوجة زيد أم أيمن وعلي وورقة". وأخرج ابن عساكر عن عيسى بن يزيد قال:" قال أبو بكر الصديق: كنت جالسًا بفناء الكعبة، وكان زيد بن عمرو بن نفيل قاعدًا، فمر به أمية بن أبي الصلت، فقال: كيف أصبحت يا باغي الخير؟ قال: بخير. قال: وهل وجدت؟ قال: لا فقال:

كل دين يوم القيامة إلا ما قضى الله في الحقيقة بور

أما إن هذا النبي الذي ينتظر منا أو منكم قال: ولم أكن سمعت قبل ذلك بنبي ينتظر ويبعث. قال: فخرجت إلى ورقة بن نوفل، وكان كثير النظر إلى السماء، كثير همهمة الصدر، فاستوقفه ثم قصصت عليه الحديث، فقال: نعم يا بن أخي، إنا أهل الكتب والعلوم، إلا أن هذا النبي الذي ينتظر من أوسط العرب نسبًا -ولي علم بالنسب - وقومك أوسط العرب نسبًا. قلت: يا عم وما يقول النبي؟ قال: يقول ما قيل له إلا أنه لا يظلم ولا يظلم ولا يظالم فلما بعث رسول الله ﷺ آمنت به وصدقته". و قال ابن إسحاق:" حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله ﷺ قال:" ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما عتم عنه حين ذكرته، وما تردد فيه" [عتم: أي لبث].

قال البيهقي:" وهذا لأنه كان يرى دلائل نبوة رسول الله ﷺ ويسمع آثاره قبل دعوته، فحين دعاه كان قد سبق له فيه تفكر ونظر، فأسلم في الحال، ثم أخرج عن أبي ميسرة أن رسول الله ﷺ كان إذا برز سمع من يناديه: يا محمد! فإذا سمع الصوت ولى هاربًا. فأسرَّ ذلك إلى أبي بكر وكان صديقًا له في الجاهلية". وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال:" قال ﷺ: ما كلمت في الإسلام أحدًا إلا أبى علي وراجعني الكلام إلا ابن أبي قحافة، فإني لم أكلمه في شيء إلا قبله واستقام عليه". وأخرج البخاري عن أبي الدرداء قال:" قال رسول الله ﷺ: هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ إني قلت: أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا، فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدقت".

ثانيًا -صحبته ومشاهده رضي الله عنه:

قال العلماء: صحب أبو بكر النبيَّ ﷺ من حين أسلم إلى حين توفي، لم يفارقه سفرًا ولا حضرًا، إلا فيما أذن له ﷺ في الخروج فيه من حج وغزو، وشهد معه المشاهد كلَّها، وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة في الله و رسوله ﷺ، وهو رفيقه في الغار؛ قال تعالى:{ ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا }، وقام بنصر رسول الله ﷺ في غير موضع، وله الآثار الجميلة في المشاهد، وثبت يوم أحد ويوم حنين، وقد فر الناس كما سيأتي في فصل شجاعته. وأخرج ابن عساكر عن ابن سيرين:" أن عبد الرحمن بن أبي بكر كان يوم بدر مع المشركين، فلما أسلم قال لأبيه: لقد أهدفت لي يوم بدر، فانصرفت عنك ولم أقتلك، فقال أبو بكر: لكنك لو أهدفت لي لم أنصرف" [أهدفت: أشرفت. ومنه قيل للبناء المرتفع: هدف].

ثالثًا -شجاعته رضي الله عنه:

أخرج البزار في مسنده عن علي رضي الله عنه قال:" أخبروني من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت. قال: أما إني ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم فمن؟ قال: أبو بكر، إنه لما

كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ، لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه، فهو أشجع الناس". قال علي ﵁:" ولقد رأيت رسول الله ﷺ، وأخذته قريش، فهذا يجبؤه، وهذا يتلتله، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلها واحدًا؟ قال: فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا ويجبأ هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم! أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله. ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم فقال: ألا تجيبونني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه". وأخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال:" سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ فقال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ، وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه، فخنقه به خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه، فقال: أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟ وأخرج الهيثم بن كليب في مسنده عن أبي بكر قال:" لما كان يوم أحد انصرف الناس كلهم عن رسول الله ﷺ فكنت أول من فاء. وأخرج ابن عساكر عن عائشة قالت:" لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ فكانوا ثمانية وثلاثين رجلا، ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: يا أبا بكر إنا قليل. فلم يزل أبو بكر يلح على رسول الله ﷺ حتى ظهر رسول الله ﷺ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيبًا، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، وضربوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا. وأخرج ابن عساكر عن علي ﵁ قال: لما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ.

الفوائد:

....

....

الدرس الثالث:

أولًا -إنفاقه وجوده ﵁:

قال الله تعالى:(وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ❁ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى). قال ابن الجوزي: أجمعوا على أنها نزلت في أبي بكر. وأخرج أحمد "عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر" فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله". وأخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلا وزاد:" وكان ﷺ يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه". وأخرج ابن عساكر من طرق عن عائشة وعروة بن الزبير:" أن أبا بكر ﵁ أسلم يوم أسلم، وله أربعون ألف دينار، وفي لفظ: أربعون ألف درهم، فأنفقها على رسول الله ﷺ". وأخرج أبو سعيد ابن الأعرابي عن ابن عمر قال: أسلم

أبو بكر ﷺ يوم أسلم وفي منزله ألف درهم، فخرج إلى المدينة في الهجرة، وما له غير خمسة آلاف كل ذلك ينفعه في الرقاب والعون على الإسلام". وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها:" أن أبا بكر أعتق سبعة كلهم يعذب في الله".

وأخرج أبو داود والترمذي:" عن عمر بن الخطاب قال: أمرنا ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالًا عندي، قلت: اليوم أسبق أبا بكر، فجئت بنصف مالي. فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مِثْلَهُ. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله. فقلت: لا أسبقه في شيء أبدا" قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال ﷺ:" ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه، إلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر". وأخرج البزار عن أبي بكر الصديق ﷺ قال:" جئت بأبي قحافة إلى النبي ﷺ فقال: هلا تركت الشيخ حتى آتيه. قال: بل هو أحق أن يأتيك. قال: إنا نحفظه لأيادي ابنه عندنا". وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال:" قال ﷺ ما أحد عندي أعظم يدًا من أبي بكر، واساني بنفسه وماله، وأنكحني ابنته".

ثانيًا -علمه وذكاؤه ﷺ:

قال النووي في تهذيبه: استدل أصحابنا على عظم علمه ﷺ بقوله في الحديث الثابت في الصحيحين:" والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه". واستدل الشيخ أبو إسحاق بهذا وغيره في طبقاته على أن أبا بكر الصديق ﷺ أعلم الصحابة؛ لأنهم كلهم وقفوا عن فهم الحكم في المسألة إلا هو، ثم ظهر لهم بمباحثته لهم أن قوله هو الصواب، فرجعوا إليه. وعن ابن عمر أنه سئل:" من كان يفتي الناس في زمن رسول الله ﷺ؟ فقال: أبو بكر وعمر ما أعلم غيرهما". وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال:" خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: إن الله تبارك وتعالى خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله تعالى، فبكى أبو بكر، وقال: نفديك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ:" إن من أمنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين باب إلا سد إلا باب أبي بكر" هذا من كلام النووي.

وقال ابن كثير: كان الصديق ﷺ أقرأ الصحابة (أعلمهم بالقرآن)؛ لأنه ﷺ قدمه إمامًا للصلاة بالصحابة ﷺ مع قوله:" يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله". وكان أعلمهم بالسنة، كما رجع إليه الصحابة في غير موضع، يبرز عليهم بنقل سنن عن النبي ﷺ يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها، ليست عندهم، وكيف لا يكون ذلك، وقد واظب على صحبة الرسول الله ﷺ من أول البعثة إلى

الوفاة؟ وهو مع ذلك من أذكى عباد الله وأعقلهم، وإنما لم يرو عنه من الأحاديث المسندة إلا القليل لقصر مدته وسرعة وفاته بعد النبي ﷺ، وإلا فلو طالت مدته لكثر ذلك عنه جداً، ولم يترك الناقلون عنه حديثًا إلا نقلوه، ولكن كان الذين في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحد منهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم.

وأخرج أبو القاسم البغوي عن ميمون بن مهران قال:" كان أبو بكر ﷺ إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب، وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال: أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله ﷺ فيه قضاء، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا. فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله ﷺ جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإن أجمع أمرهم على رأي قضى به، وكان عمر ﷺ يفعل ذلك، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء؟ فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا رؤوس المسلمين، فإذا اجتمعوا على أمر قضى به".

وكان الصديق ﷺ مع ذلك أعلم الناس بأنساب العرب لا سيما قريش؛ أخرج ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن شيخ من الأنصار قال: كان جبير بن مطعم من أنسب قريش لقريش والعرب قاطبة، وكان يقول: إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق، وكان أبو بكر الصديق من أنسب العرب.

وكان الصديق غاية في علم تعبير الرؤيا، وقد كان يعبر الرؤيا في زمن النبي ﷺ، وقد قال محمد بن سيرين -وهو المقدم في هذا العلم بالاتفاق -:" كان أبو بكر أعبر هذه الأمة بعد النبي ﷺ" أخرجه ابن سعد. قال ابن كثير: وكان من أفصح الناس وأخطبهم. قال الزبير بن بكار: سمعت بعض أهل العلم يقول: أفصح خطباء أصحاب رسول الله ﷺ: أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وسيأتي في حديث السقيفة قول عمر ﷺ: وكان من أعلم الناس بالله وأخوفهم له. وسيأتي من كلامه في ذلك وفي تعبير الرؤيا ومن خطبه جملة في فصل مستقل.

ومن الدلائل على أنه أعلم الصحابة حديث صلح الحديبية حيث سأل عمر رسول الله ﷺ عن ذلك الصلح وقال:" علام نعطي الدنية في ديننا؟ فأجابه النبي ﷺ، ثم ذهب إلى أبي بكر فسأله عما سأل رسول الله ﷺ، فأجابه كما أجابه النبي ﷺ سواء بسواء" أخرجه البخاري وغيره. وقال النووي في تهذيبه: الصديق أحد الصحابة الذين حفظوا القرآن كله"، وذكر هذا أيضا جماعة منهم ابن كثير. وأما حديث أنس " جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ أربعة" فالمراد من الأنصار كما أوضحته في كتاب الإتقان، وأما ما أخرجه ابن أبي داود عن الشعبي قال: مات أبو بكر الصديق ﷺ ولم يجمع

القرآن كله فهو مدفوع أو مؤول على أن المراد جمعه في المصحف على الترتيب الذي صنعه عثمان رضي الله عنه.

ثالثًا -بيان أنه أفضل الصحابة وخيرهم:

أجمع أهل السنة أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم سائر العشرة ثم باقي أهل بدر ثم باقي أهل أحد ثم باقي أهل البيعة ثم باقي أهل الصحابة هكذا حكى الإجماع عليه أبو منصور البغدادي. وروى البخاري عن ابن عمر قال:" كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله ﷺ، فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان". وزاد الطبراني في الكبير: فيعلم بذلك النبي ﷺ ولا ينكره.

وأخرجه ابن عساكر عن ابن عمر قال:" كنا وفينا رسول الله ﷺ نفضل أبا بكر وعمر وعثمان وعليا".

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال:" كنا معاشر أصحاب رسول الله ﷺ، ونحن متوافرون، نقول: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت. وأخرج البخاري عن محمد بن علي بن أبي طالب قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر قلت: ثم من؟ قال: عمر. وخشيت أن يقول عثمان. فقلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين". وأخرج أحمد وغيره عن علي قال:" خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر". قال الذهبي: هذا متواتر عن علي رضي الله عنه فلعن الله الرافضة ما أجهلهم!

وأخرج الترمذي بسند حسن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:" أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ". وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عمر صعد المنبر ثم قال:" ألا إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، فمن قال غير هذا فهو مفتر، عليه ما على المفتري". وأخرج أيضًا عن ابن أبي ليلى قال: قال علي: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري.

وأخرج عبد الرحمن بن حميد وأبو نعيم وغيرهما من طرق "عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال:" ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبي بكر إلا أن يكون نبي" وفي لفظ "على أحد من المسلمين بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر". وقد ورد أيضًا من حديث جابر ولفظه:" ما طلعت الشمس على أحد منكم أفضل منه" أخرجه الطبراني وغيره وله شواهد من وجوه أخر، تقضي له بالصحة أو الحسن، وقد أشار ابن كثير إلى الحكم بصحته. وأخرج الطبراني "عن سلمة بن الأقرع قال: قال ﷺ: أبو بكر الصديق خير الناس إلا أن يكون نبي" وفي الأوسط:" عن سعد بن زرارة قال: قال ﷺ: إن روح القدس جبريل أخبرني أن خير أمتك بعدك أبو بكر".

وأخرج الشيخان "عن عمرو بن العاص قال: قلت يا رسول الله ﷺ أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة قلت من الرجال؟ قال: أبوها قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب وقد ورد هذا الحديث بدون [ثم] في رواية أنس وابن عمرو وابن عباس".

وأخرج الترمذي والنسائي والحاكم عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لعائشة: أي أصحاب رسول الله ﷺ كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قالت: عمر. قلت: ثم من؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح". وأخرج الترمذي بسند صحيح عن أنس قال:" قال ﷺ لأبي بكر وعمر: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين". وأخرج ابن سعيد " عن الزهري قال: قال ﷺ لحسان بن ثابت: هل قلت في أبي بكر شيئا؟ قال: نعم. فقال حسان:

والثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به إذ صعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد عملوا ... من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: صدقت يا حسان".

وروى أحمد والترمذي": عن أنس قال: قال ﷺ: أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي بن كعب ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح" وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن عمر وزاد فيه [وأقضاهم علي].

الفوائد:

....

....

الدرس الرابع:

أولًا -ذكر ما أنزل فيه من الآيات:

-قال تعالى:(إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ): أجمع المسلمون على أن الصاحب المذكور أبو بكر. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى:(فأنزل الله سكينته عليه) قال: على أبي بكر، فإن النبي ﷺ لم تزل السكينة عليه.

-وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود أن أبا بكر اشترى بلالًا من أمية بن خلف وأبي ابن خلف ببردة وعشر أواق، فأعتقه لله، فأنزل الله:(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) سعي أبي بكر وأمية وأبي. وأخرج ابن جرير عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال أبوه: أي

بني أراك تعتق أناسًا ضعافًا فلو أنك تعتق رجالًا جلدًا يقدمون معك ويمنعونك ويدفعون عنك؟ قال: أي أبت أنا أريد ما عند الله. قال: فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية نزلت فيه:(فأما من أعطى واتقى).

-وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن عروة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أعتق سبعة كلهم يعذب في الله وفيه نزلت (وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى). وأخرج البزار عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت هذه الآية:(وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) في أبي بكر الصديق ﷺ.

-وأخرج البخاري عن عائشة أن أبا بكر لم يكن يحنث في يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين. وأخرج البزار وابن عساكر عن أسيد بن صفوان ﷺ قال: قال علي: [والذي جاء بالحق] محمد [وصدق به] أبو بكر الصديق.

-وأخرج الحاكم عن ابن عباس في قوله تعالى: (وشاورهم في الأمر) قال: نزلت في أبي بكر وعمر.

-وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: نزلت {ولمن خاف مقام ربه جنتان} في أبي بكر رضي الله عنه وله طرق أخرى ذكرتها في أسباب النزول.

-وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر وابن عباس في قوله تعالى:(فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) قال نزلت في أبي بكر وعمر.

ثانيًا -الأحاديث الواردة في فضله مقرونًا بعمر:

-عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ:" بينما راعٍ في غنمه، عدا الذئبُ، فأخذَ منها شاة، فطلبها حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب، فقال له: مَنْ لها يومَ السَّبُع يوم ليس لها راع غيري؟ فقال الناسُ: سبحان الله! فقال رسولُ الله ﷺ: فإني أُومِنُ بهِ، وأبو بكر وعمرُ، وما ثَمَّ أبو بكر وعمر" رواه البخاري. أي لم يكونا في المجلس شهد لهما بالإيمان بذلك لعلمه بكمال إيمانهما.

-وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ:" بينما رَجُل يَسُوقُ بَقَرَة قد حَمَلَ عليها، التَفَتَتْ إليه البقرةُ، فقالتْ: إني لم أُخْلَقْ لهذا، ولكني خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ، فقال الناس: سبحان الله! تَعجُّبا وفَزَعا أَبَقَرَة تَكَلَّم؟ فقال رسولُ الله ﷺ: فَإني أُومِن به، وأبو بكر وعمرُ".

-أخرج أصحاب السنن وغيرهم "عن سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة" وذكر تمام العشرة.

-أخرج الترمذي عن أبي سعيد قال:" قال رسول الله ﷺ: إن أهل الدرجات العلا ليراهم مَنْ تحتَهم، كما ترون النجمَ الطالعَ في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم".

-أخرج الترمذي والحاكم وصححه:" أن النبي ﷺ رأى أبا بكر وعمر، فقال: هذان السمع والبصر".

ثالثًا -الأحاديث الواردة في فضله وحده:

-أخرج الشيخان عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان. فقال أبو بكر: ما على من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: نعم فأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر".

-أخرج الشيخان عن أبي سعيد ﷺ قال:" قال رسول الله ﷺ إن من أمنِّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام".

-أخرج البخاري عن أبي الدرداء قال:" كنت جالسًا عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر فسلم، وقال: إنه كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ، فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا. ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي يكر فلم يجده، فأتى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم منه مرتين. فقال النبي ﷺ: إِني قلتُ: يا أَيُّها الناس إِني رسولُ الله إِليكم. فقلتم كذبت. وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟ مرتين فما أوذي بعدها

-أخرج البخاري عن ابن عمر قال:" قال رسول الله ﷺ: من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة. فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه. فقال رسول الله ﷺ:" إنك لست تصنع ذلك خيلاء".

-أخرج مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال:" قال رسول الله ﷺ: من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن تبع منكم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن عاد اليوم منكم مريضًا؟ قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة".

-أخرج أحمد بسند حسن عن ربيعة الأسلمي ﷺ قال:" جرى بيني وبين أبي بكر كلام، فقال لي كلمة كرهتها وندم، فقال لي: يا ربيعة ردَّ عليَّ مثلها حتى يكون قصاصا. قلت: لا أفعل. قال أبو بكر: لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله ﷺ. فقلت: ما أنا بفاعل فانطلق أبو بكر ﷺ إلى النبي ﷺ، وانطلقت أتلوه، وجاء أناس من أسلم، فقالوا لي: رحم الله أبا بكر! في أي شيء يستعدي عليك رسول الله ﷺ، وهو الذي قال لك ما قال؟ فقلت: أتدرون من هذا؟ هذا أبو بكر الصديق، هذا ثاني اثنين، وهذا ذو شيبة المسلمين، إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب، فيأتي رسول الله ﷺ

فيغضب لغضبه، فيغضب الله عز وجل لغضبهما، فيهلك ربيعة. قالوا: ما تأمرنا؟ قال: ارجعوا، وانطلق أبو بكر ﷺ وتبعته وحدي، حتى أتى رسول الله ﷺ فحدثه الحديث كما كان، فرفع إلي رأسه فقال:" يا ربيعة مالك والصديق؟ فقلت: يا رسول الله كان كذا وكذا، فقال لي: كلمة كرهتها. فقال لي: قل كما قلت حتى يكون قصاصًا، فأبيت. فقال ﷺ: أجل لا ترد عليه ولكن قل: قد غفر الله لك يا أبا بكر. فقلت: غفر الله لك يا أبا بكر. قال الحسن: فولى أبو بكر ﷺ وهو يبكي".

ثالثًا -ما ورد من كلام الصحابة ومن بعدهم في فضله:

-أخرج البخاري عن جابر ﷺ قال: قال عمر بن الخطاب: أبو بكر سيدنا. وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عمر ﷺ قال: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم. وأخرج ابن أبي خثيمة وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عمر ﷺ قال إن أبا بكر كان سابقا مبرزًا.

-أخرج ابن عساكر عن علي أنه دخل على أبي بكر وهو مسجى فقال: ما أحد لقي الله بصحيفته أحب إليَّ من هذا المسجى. وأخرج الطبراني في الأواسط عن علي ﷺ قال:" والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر". وأخرج في الأواسط أيضا عن علي قال:" خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر، لا يجتمع حب وبغض أبي بكر وعمر في قلب مؤمن".

-أخرج ابن عساكر عن الربيع عن أنس قال:" نظرنا في صحابة الأنبياء فما وجدنا نبيًّا كان له صاحب مثل أبي بكر الصديق".

-أخرج الدينوري في المجالسة وابن عساكر عن الشعبي قال:" خص الله تبارك وتعالى أبا بكر بأربع خصال لم يخص بها أحدًا من الناس: سماه الصديق، وهو صاحب الغار مع رسول الله ﷺ، ورفيقه في الهجرة، وأمره رسول الله بالصلاة والمسلمون شهود".

-أخرج الحاكم عن ابن المسيب قال:" كان أبو بكر من النبي ﷺ مكان الوزير، فكان يشاوره في جميع أموره، وكان ثانيه في الإسلام، وثانيه في الغار، وثانيه في العريش يوم بدر، وثانيه في القبر، ولم يكن رسول الله ﷺ يقدِّم عليه أحدًا".

الفوائد:

....

....

الدرس الخامس:

أولًا -الأحاديث المشيرة إلى خلافته ﷺ:

-أخرج الترمذي والحاكم عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر". وفي الصحيحين في الحديث السابق أنه ﷺ لما خطب قرب وفاته وقال:" إن عبدًا خيره الله"،

وفي آخره: ولا يبقين باب إلا سد إلا باب أبي بكر"، وفي لفظ لهما:" لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر". قال العلماء: هذا إشارة إلى الخلافة؛ لأنه يخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين.

-أخرج الشيخان عن جبير بن مطعم ﷺ عن أبيه قال:" أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت و لم أجدك؟ (كأنها تقول: الموت) قال ﷺ: إن لم تجديني فأتي أبا بكر". وأخرج الحاكم عن أنس ﷺ قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ أن سله إلى من ندفع صدقاتنا بعدك فأتيته فسألته فقال: إلى أبي بكر". وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تسأله شيئًا؟ فقال لها: تعودين فقالت: يا رسول الله إن عدت فلم أجدك (تعرِّض بالموت) فقال: إن جئت فلم تجديني فأتي أبا بكر".

-أخرج مسلم عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: ادعِي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنَّى متمنٍّ، ويقول قائل: أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر". وأخرجه أحمد وغيره من طرق عنها وفي بعضها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه الذي فيه مات: ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه أحد بعدي". وأخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت:" من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلف؟ قالت أبو بكر قيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر قيل لها: من بعد عمر؟ قالت أبو عبيدة بن الجراح".

-أخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال:" مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. قالت عائشة: يا رسول الله إنه رجل رقيق القلب إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس. فقال: مري أبا بكر فليصل بالناس. فعادت فقال: مري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف". وروى أبو داود عن عبد الله بن زمعة ﷺ قال:" لما اسْتُعِزَّ بالنبيِّ ﷺ وأنا عنده في نَفَر من الناس، دعاه بلال إلى الصلاة، فقال رسولُ الله ﷺ: مُرُوا أبا بكر يُصلِّي بالناس، قال: فخرجنا، فإذا عُمرُ في الناس، وكان أبو بكر غائبًا، فقلتُ: يا عمر، قم فصلِّ للناس، فتقدَّم فكبَّر، فلما سمع النبيُّ ﷺ صوتَه، وكان عمر رجلا مِجْهَرا، قال: فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون، فبعث إِلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس".

قال العلماء: في هذا الحديث أوضح دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالإمامة.

ثانيًا -مبايعته رضي الله عنه:

-روى البخاري عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما - أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ خطب الناس مرجعَهُ من الحج، فقال:" ... ثم إنه بلغني أنَّ قائلا منكم يقول: والله لو مات عمرُ بَايعتُ فُلانا، فلا

يَغتَرَّ امْرؤٌ أَنْ يقول: إنما كانت بَيعةُ أبي بَكرٍ فَلتَة، وَتَمَّتْ، أَلا وإنها قد كانت كذلك، ولكنَّ الله وَقَى شرَّها، وليس فيكم مَنْ تُقْطعُ إليه الأَعْنَاقُ مثلُ أبي بكر، [من بايع رجلا عن غير مَشُورةٍ من المسلمين فلا يُبايَعُ هو ولا الذي بايعه تَغرَّة أن يقتلا]، وإنَّهُ قد كان من خبرنا - حين تُوفِّي نبيُّ الله -صلى الله عليه وسلم - أَنَّ الأنصار خالفونا واجْتَمَعوا بِأسرِهِمْ في سَقيفةِ بني سَاعِدَةَ، وَخَالَفَ عَنَّا عليٌّ والزُّبَيرُ ومن معهما. واجتَمَعَ المهاجرونَ إلى أبي بكر، فَقُلْتُ لأبي بكر: يا أبا بكر، انْطَلِق بِنَا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصارِ، فانطَلَقْنَا نُرِيدُهُم، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُم لَقِينا منهم رَجُلانِ صَالِحَانِ، فَذَكَرَا مَا تَمالأ عليه القوم، فقالا: أيْنَ تُرِيدُونَ يَا معشرَ المهاجرين؟ فقلنا: نُريدُ إخْوانَنَا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عَلَيْكم، لا تَقرَبُوهم ، اقضُوا أمْرَكم، فقلت: والله لَنَأْتِيَنَّهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سَقيفة بني ساعدة، فإذا رجلٌ مُزمَّلٌ بين ظَهرانيْهِمْ، فقلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: هذا سَعدُ بنُ عُبَادَةَ، فقلتُ: مَا لَهُ ؟ قالوا: يُوعَكُ، فَلَمَا جَلَسْنا قليلا تَشَهَّدَ خَطيبُهُمْ، فَأَثْنى على الله بما هو أهلُه، ثم قال: أمَّا بعدُ ، فَنحنُ أنْصارُ الله، وكتيبَةُ الإسلام ، وَأنْتُمْ مَعَاشِرَ المهاجِرينَ رَهْطٌ مِنَّا، وقد دَفَّتْ دافَّةٌ من قومكم، فإذا هُمْ يريدون أنْ يَخْتَزِلونا من أصلنا، وأنْ يَحضُنُونَا من الأمر، فَلَما سكتَ أَرَدتُ أن أتكلَّمَ، وكنتُ زَوَّرتُ مَقَالَة أَعْجَبَتْنِي أُرِيدُ أَنْ أُقدِّمَها بين يديْ أبي بكرٍ، وكنتُ أُدَاري منه بعض الحَدِّ.

فلما أردتُ أن أتكلَّم قال أبو بكر: على رِسْلِك، فكرِهْتُ أن أُغْضِبَهُ، فتكلم أبو بكر، فكانَ هو أَحْلَمَ مِني، وأوقرَ، والله ما تَرَكَ من كلمةٍ أعجبَتْني في تَزْويري إلا قال في بَدِيهتِهِ مِثْلهَا، أو أفضلَ منها، حتى سكتَ، فقال: ما ذكرتُم فيكم من خَيْرٍ، فَأنتم لَهُ أَهلٌ، وَلَنْ تَعرِفَ العربُ هذا الأمرَ إلا لهذا الحيِّ من قُريشٍ، هم أوْسَطُ العربِ نَسَبا، ودَارا، وقد رَضِيتُ لكم أحَدَ هَذين الرجلين، فبَايِعُوا أيَّهُما شِئْتُم؟ فَأخَذَ بِيدِي، ويدِ أبي عُبَيدَةَ بن الجراح، وهو جالسٌ بيننا، فلم أكرَهْ مِمَّا قال غيرَها، كان والله أن أُقدَّم فَتُضْرَبَ عُنُقي -لا يُقَرِّبُني ذلك من إثْمٍ - أَحَبَّ إليَّ من أن أتَأمَّرَ على قَومٍ فيهم أبو بكر، اللهم إلا أنْ تُسَوِّلَ لي نفسي عند الموتِ شيئا لا أجِدُهُ الآن. فقال قائل مِن الأنصارِ: أنا جُذَيلُها المُحَكَّكُ، وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ، مِنَّا أميرٌ، ومنكم أميرٌ، يا معشرَ قريش، فكثُرَ اللَّغطُ، وارتفعتِ الأصواتُ، حتى فَرِقْتُ من الاختلاف، فقلتُ: ابْسُط يَدَكَ يا أبا بكر، فبسطَ يَدَهُ ، فَبَايَعْتُهُ، وَبَايَعهُ المهَاجِرُونَ، ثم بايَعَتْهُ الأنصَارُ، وَنَزَوْنَا على سعدِ بنِ عُبَادَةَ، فقال قائلٌ منهم: قَتَلْتُمْ سعدَ بنَ عبادة، فقلتُ: قَتَلَ الله سعدَ بن عبادةَ، قال عمرُ: وإنا واللهِ، مَا وَجَدنَا فِيما حَضَرَنَا مِنْ أمْرِنَا أقوى من مُبَايَعَةِ أبي بكر، خَشينَا إنْ فَارقنا القومَ، ولم تَكُنْ بَيْعَةٌ، أن يُبايعوا رجلا منهم بعدَنا، فإما تَابَعْنَاهم على ما لا نرضى، وإما أن

نُخَالِفَهُم فيكونَ فسادٌ، فمن بايعَ رجلا على غير مَشورَةٍ من المسلمين فلا يُتَابَع هُو، ولا الذي بَايَعهُ، تَغِرَّةً أن يُقتَلا"[١٥].

-أخرج النسائي وأبو يعلي والحاكم عن ابن مسعود قال:" لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. فأتاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر".

-روى ابن إسحاق عن أنس بن مالك قال:" لما بويع أبو بكر في السقيفة، وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر البيعة العامة بعد بيعة السقيفة. ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:" أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله".

-أخرج موسى بن عقبة في مغازيه والحاكم عن عبد الرحمن بن عوف قال:" خطب أبو بكر فقال: والله ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة قط، ولا كنت راغبًا فيها، ولا سألتها الله في سر ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة ومالي في الإمارة من راحة، لقد قلدت أمرًا عظيمًا مالي به من طاقة، ولا يد إلا بتقوية الله. فقال علي والزبير: ما غضبنا إلا لأنا أُخِّرنا عن المشورة، وإنا نرى أبا بكر

١٥-[الفلتة: الفجأة، وذلك أنهم لم ينتظروا ببيعة أبي بكر عامة الصحابة، وإنما ابتدرها عمر، ومن تابعه. ظهرانيهم: بينهم. مزَمَّل: مدثر ومغطى بثوب ونحوه. يوعك: الوعك: الحمى. الكتيبة: الجيش. دفت دافة: جاءت جماعة. يختزلونا: يقطعونا عن مرادنا، وانخزل الرجل: ضعف. يحضنونا: حضنت الرجل عن الأمر حضنا وحضانة إذا نحيته عنه، وانفردت به دونه. زورت: هيأت ورتبت في نفسي كلاما لأذكره. الحد والحدة: الغضب. أداريء: المدارءة المدافعة بلين وسكون. على رِسلك: على هينتك وتؤدتك وتأنيك. بديهته: البديهة: ضد التروي والتفكر. تُسول: تزين نفسه شيئًا وتحسنه إليه. جذيلها المحكك: الجذيل: تصغير الجذل، وهو عود ينصب للإبل الجربى تحتك به فتستشفى، والمحكك: الذي كثر به الاحتكاك حتى صار أملس. وعذيقها المرجب: عذيقها: تصغير العَذق وهو النخلة، والمرجب المسند بالرجبة، وهي خشبة ذات شعبتين، وذلك إذا طالت الشجرة وكثر حملها اتخذوا ذلك لها، لضعفها عن كثرة حملها، والمعنى: أني ذو رأي يستشفى به في الحوادث، لاسيما في مثل هذه الحادثة، وأني في ذلك كالعود الذي يشفي الجربى، وكالنخلة الكثيرة الحمل، من توفر مواد الآراء عندي. اللغط: كثرة الأصوات واختلافها. فرقت: الفرق: الخوف والفزع. ونزوا: النزو: الوثب. فلا يبايع هؤلاء الذي بايعه تغرة أن يقتلا: التغرة: مصدر غررته إذا لقيته في الغرر، وهي من التغرير، كالتعلة من التعليل، وفي الكلام مضاف محذوف، تقديره: خوف تغرة أن يقتلا، أي: خوف إيقاعهما في القتل. ومعنى الحديث: أن البيعة حقها أن تقع صادرة عن المشورة والاتفاق، فإذا استبد رجلان دون الجماعة بمبايعة أحدهما الآخر: فذاك تظاهر منهما بشق العصا، واطراح الجماعة، فإن عقد لأحد فلا يكون المعقود له واحدًا منهما، وليكونا معزولين من الطائفة التي تتفق على تمييز الإمام منها، لأنه إن عقد لواحد منهما -وهما قد ارتكبا تلك الفعلة الشنيعة التي أحقدت الجماعة، من التهاون بهم والاستغناء عن رأيهم- لم يؤمن أن يقتلا].

أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخيره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي".

-أخرج الواقدي من طرق عن عائشة وابن عمر وسعيد بن المسيب وغيرهم أن أبا بكر بويع يوم قبض رسول الله ﷺ يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر قال: لم يجلس أبو بكر الصديق في مجلس رسول الله ﷺ على المنبر حتى لقي الله ولم يجلس عمر في مجلس أبي بكر حتى لقي الله ولم يجلس عثمان في مجلس عمر حتى لقي الله.

الفوائد:

....

....

الدرس السادس

ما وقع من الأحداث زمن خلافته ﷺ من الأحداث الكبار

وقع في أيامه ﷺ من الأمور الكبار: تنفيذ جيش أسامة، وقتال أهل الردة ومانعي الزكاة ومسيلمة الكذاب، وجمع القرآن.

- لما مات رسول الله ﷺ عظم الخطب، واشتد الحال، ونجم النفاق بالمدينة، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة، ولم تبق الجمعة تقام في بلد سوى مكة والمدينة، عندها أشار كثير من الناس على الصدِّيق ﷺ أن لا ينفذ جيش أسامة؛ لاحتياجه إليه فيما هو أهم الآن مما جهز بسببه في حال السلامة، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو أن الطير تخطفنا، والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين، لأجهزن جيش أسامة. فجهزه وأمر الحرس يكونون حول المدينة، فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح، والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة. فغابوا أربعين يومًا، ويقال: سبعين يوما. ثم آبوا سالمين غانمين، ثم رجعوا فجهزهم حينئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة، ومانعي الزكاة، على ما سيأتي تفصيله.

-عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لما بويع أبو بكر، وجمع الأنصار في الأمر الذي افترقوا فيه قال: ليتم بعث أسامة. وقد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق واشرأبت اليهودية والنصرانية، والمسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية؛ لفقد نبيهم ﷺ، وقلتهم، وكثرة عدوهم، فقال له الناس: إن هؤلاء جل المسلمين، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك، وليس ينبغي

لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين. فقال: والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته.

-أخرج الإسماعيلي عن عمر ﵁ قال: لما قبض رسول الله ﷺ ارتد من ارتد من العرب وقالوا: نصلي ولا نزكي. فأتيت أبا بكر، فقلت: يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم، فإنهم بمنزلة الوحش. فقال: رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك. جبارًا في الجاهلية خوارًا في الإسلام، بماذا عسيت أن أتألفهم؟ بشعر مفتعل أو بسحر مفترى؟ هيهات هيهات، مضى النبي ﷺ وانقطع الوحي، والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي، وإن منعوني عقالًا. قال عمر: فوجدته في ذلك أمضى مني وأحزم وآدب الناس على أمور هانت على كثير من مؤونتهم حين وليتهم". وأخرج أبو القاسم البغوي وأبو بكر الشافعي في فوائده وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت:" لما توفي رسول الله ﷺ اشرأب النفاق، وارتدت العرب، وانحازت الأنصار فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها، فما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بفنائها وفضلها، قالوا: أين يدفن النبي ﷺ؟ فما وجدنا عند أحد من ذلك علمًا، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من نبي يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه. قالت: واختلفوا في ميراثه فما وجدوا عند أحد من ذلك ، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة. قال الأصمعي: الهيض: الكسر للعظم والإشرئباب: رفع الرأس. قال بعض العلماء: هذا أول اختلاف وقع بين الصحابة ﵃، فقال بعضهم: ندفنه بمكة بلده الذي ولد بها. وقال آخرون: بمسجده. وقال آخرون: بالبقيع. وقال آخرون: في بيت المقدس مدفن الأنبياء. حتى أخبرهم أبو بكر بما عنده من العلم.

-قال الذهبي: لما اشتهرت وفاة النبي ﷺ بالنواحي ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام، ومنعوا الزكاة، فنهض أبو بكر الصديق لقتالهم، فأشار عليه عمر وغيره أن يفتر عن قتالهم، فقال: والله لو منعوني عقالا أو عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله"؟ فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، وقد قال: إلا بحقها. قال عمر: فو الله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق" أخرجه الشيخان وغيرهما.

-وعن حنظلة بن علي الليثي أن أبا بكر بعث خالدًا وأمره أن يقاتل الناس على خمس، من ترك واحدة منهن قاتله، كما يقاتل من ترك الخمس جميعا: على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وسار خالد ومن معه في جمادى الآخرة، فقاتل بني أسد وغطفان وقتل من قتل وأسر من أسر، ورجع الباقون إلى الإسلام،

واستشهد بهذه الواقعة من الصحابة عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم. وفي رمضان من هذه السنة ماتت فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين وعمرها أربع و عشرون سنة. وماتت قبلها بشهر أم أيمن. وفي شوال مات عبد الله بن أبي بكر الصديق. ثم سار بجموعه إلى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب في أواخر العام، والتقى الجمعان، ودام الحصار أيامًا، ثم قتل الكذاب لعنه الله، قتله وحشي قاتل حمزة. واستشهد فيها خلق من الصحابة: أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولى أبي حذيفة وشجاع بن وهب وزيد بن الخطاب وعبد الله بن سهل ومالك بن عمرو والطفيل بن عمرو الدوسي ويزيد بن قيس وعامر بن البكير وعبد الله بن مخرمة والسائب بن عثمان بن مظعون وعباد بن بشر ومعن بن عدي وثابت بن قيس بن شماس وأبو دجانة سماك بن حرب وجماعة آخرون.

-وفي سنة اثني عشرة بعث الصديق العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وكانوا قد ارتدوا فالتقوا بجواثي، وبعث عكرمة بن أبي جهل إلى عمان، وكانوا قد ارتدوا، وبعث المهاجر بن أبي أمية إلى أهل النجير، وكانوا قد ارتدوا، وبعث زياد بن لبيد الأنصاري إلى طائفة من المرتدة، وفيها بعد فراغ قتال أهل الردة بعث الصديق ﷺ خالد بن الوليد إلى أرض البصرة فغزا الأبلة، فافتتحها وافتتح مدائن كسرى التي بالعراق صلحًا وحربًا. وفيها أقام الحج أبو بكر الصديق ثم رجع، فبعث عمرو بن العاص والجنود إلى الشام، فكانت وقعة أجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، ونصر المسلمون، وبشر بها أبو بكر، وهو بآخر رمق، واستشهد بها عكرمة بن أبي جهل وهشام بن العاصي في طائفة. وفيها كانت وقعة مرج الصفر وهزم المشركون واستشهد بها الفضل بن العباس في طائفة.

-جمع القرآن: أخرج البخاري عن زيد بن ثابت ﷺ قال:" أرسل إلي أبو بكر ﷺ مقتلَ أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني لأخشى أن يستحر القتل بالقرَّاء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه، وإني لأرى أن يجمع القرآن. قال أبو بكر لعمر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري فرأيت الذي رأى عمر. قال زيد: -وعمر عنده جالس لا يتكلم - فقال أبو بكر: إنك شاب عاقل ولا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فو الله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. فقلت: كيف تفعلان شيئًا لم يفعله النبي ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره:(لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخرها، فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله

عنها". وأخرج أبو يعلي عن علي ﷺ قال:" أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين".

الفوائد:

....

....

الدرس السابع

أولًا -أوَّليَّاتُه:

-منها أنه أول من أسلم، وأول من جمع القرآن، وأول من سماه مصحفاً، وأول من سمي خليفة؛ أخرج أحمد عن أبي بكر بن أبي قال: قيل لأبي بكر: يا خليفة الله قال أنا خليفة رسول الله ﷺ وأنا راضي به.

-ومنها أنه أول من ولي الخلافة وأبوه حي وأول خليفة فرض له رعيته العطاء. أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت:" لما استخلف أبو بكر قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين". وأخرج ابن سعد من عطاء بن السائب قال: لما رجع أبو بكر أصبح وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب إلى السوق فقال عمر: أين أطعم عيالي؟ فقال: انطلق يفرض لك أبو عبيدة فانطلقا إلى أبي عبيدة فقال: أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم وكسوة الشتاء والصيف إذا أخلقت شيئًا رددته وأخذت غيره ففرضنا له كل يوم نصف شاة وما كساه في الرأس والبطن.

-ومنها أنه أول من اتخذ بيت المال؛ أخرج ابن سعد عن سهل بن أبي خيثمة وغيره: أن أبا بكر كان له بيت مال بالسنح. ولما انتقل إلى المدينة حوّله فجعله في داره، فقدم عليه مال فكان يقسمه على فقراء الناس فيسوي بين الناس في القسم وكان يشتري الإبل والخيل والسلاح فيجعله في سبيل الله واشترى قطائف أتي بها من البادية ففرقها في أرامل المدينة، فلما توفي أبو بكر ودفن دعا عمر الأمناء ودخل بهم بيت مال أبي بكر منهم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه شيئًا ولا دينارًا ولا درهمًا. قلت: وبهذا الأثر يرد قول العسكري في الأوائل: إن أول من اتخذ بيت المال عمر وإنه لم يكن للنبي ﷺ بيت مال ولا لأبي بكر ﷺ. ومنها: أول لقب في الإسلام لقب أبي بكر ﷺ [عتيق]. أخرج الشيخان" عن جابر ﷺ قال : قال ﷺ: لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا و هكذا" فلما جاء مال البحرين بعد وفاة رسول الله ﷺ قال أبو بكر: من كان له عند رسول الله ﷺ دين أو عدة فليأتنا فجئت وأخبرته. فقال: خذ فأخذت. فوجدتها خمسمائة فأعطاني ألفا وخمسمائة.

ثانيًا -حلمه وتواضعه:

أخرج ابن عساكر عن أنيسة قالت: نزل فينا أبو بكر ثلاث سنين قبل أن يستخلف وسنة بعدما استخلف فكان جواري الحي يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن. وأخرج أحمد في الزهد عن ميمون بن مهران قال: جاء رجل إلى أبي بكر فقال: السلام عليك يا خليفة رسول الله قال: من بين هؤلاء أجمعين.

وأخرج ابن عساكر عن أبي صالح الغفاري: أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل فيسقي لها ويقوم بأمرها فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الذي يأتيها، وهو يومئذ خليفة، فقال عمر: أنت هو لعمري". وأخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمن الأصبهاني قال: جاء الحسن بن علي إلى أبي بكر وهو على منبر رسول الله ﷺ فقال: انزل عن مجلس أبي فقال: صدقت إنه مجلس أبيك وأجلسه في حجره وبكى فقال علي: والله ما هذا عن أمري فقال: صدقت والله ما أتهمك. أخرج ابن سعد عن ابن عمر قال: استعمل النبي ﷺ أبا بكر على الحج في أول حجة كانت في الإسلام ثم حج رسول الله ﷺ في السنة المقبلة فلما قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر استعمل عمر بن الخطاب على الحج ثم حج أبو بكر من قابل فلما قبض أبو بكر واستخلف عمر استعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج ثم لن يزل عمر يحج سنيه كلها حتى قبض فاستخلف عثمان واستعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج.

ثالثًا -وفاته ووصيته واستخلافه:

-أخرج سيف والحاكم عن ابن عمر قال: كان سبب موت أبي بكر وفاة رسول الله ﷺ، فما زال جسمه ينقص حتى مات. وأخرج ابن سعد والحاكم بسند صحيح عن ابن شهاب أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة (لحم مقطع قطع صغيرة)، أهديت لأبي بكر فقال الحارث لأبي بكر: ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله إن فيها لسمًّا سنة، وأنا وأنت نموت في يوم واحد، فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة". وأخرج الحاكم عن الشعبي قال: ماذا نتوقع من هذه الدنيا الدنية وقد سُمَّ رسول الله ﷺ وسُمَّ أبو بكر؟

-أخرج الواقدي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يومًا باردًا فحُمَّ خمسة عشر يومًا، لا يخرج إلى صلاة، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة.

وأخرج ابن سعد وابن أبي الدنيا عن أبي السفر قال:" دخلوا على أبي بكر في مرضه فقالوا: يا خليفة رسول الله: ألا تدعو لك طبيبًا ينظر إليك؟ قال: قد نظر إلي فقالوا: ما قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد".

-دعا أبو بكر ﷺ عثمان، فقال:" اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلًا فيها، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب: إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرًا، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب، والخيرَ أردت، ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته". ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختومًا فبايع الناس ورضوا به، ثم دعا أبو بكر عمر خاليًا فأوصاه بما أوصاه.

-أخرج ابن سعد عن عروة أن أبا بكر أوصى بخمس ماله، وقال:" آخذ من مالي ما أخذ الله من فيء المسلمين". وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن الضحاك أن أبا بكر وعليا أوصيا بالخمس من أموالهما لمن لا يرث من ذوي قرابتهما.

-وأخرج ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما ثقل أبو بكر تمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراءُ عن الفتى   إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدرُ

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذلك ولكن قولي:(وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما، فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت".

-وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب:" أن عمر ﷺ صلى على أبي بكر بين القبر والمنبر وكبر عليه أربعا". وأخرج عن عروة والقاسم بن محمد أن أبا بكر أوصى عائشة أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ فلما توفي حفر له وجعل رأسه عند كتف رسول الله ﷺ، وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ". وأخرج من طرق عدة: أنه دفن ليلا. وعن مجاهد أن أبا قحافة رد ميراثه من أبي بكر على ولد أبي بكر ولم يعش أبو قحافة بعد أبي بكر إلا ستة أشهر وأياما ومات في المحرم سنة أربع عشرة، وهو ابن سبع وتسعين سنة. قال العلماء: لم يل الخلافة أحد في حياة أبيه إلا أبو بكر ولم يرث خليفة أبوه إلا أبا بكر. وأخرج الحاكم عن ابن عمر قال: ولي أبو بكر سنتين وسبعة أشهر.

الفوائد:

....

....

الدرس الثامن

أولًا -ما روي عن أبي بكر من الأحاديث المسندة:

-قال النووي في تهذيبه: روى الصديق عن رسول الله ﷺ مائة واثنين وأربعين حديثًا، وسبب قلة روايته -مع تقدم صحبه وملازمته النبي ﷺ أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء

التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها. قلت: وقد ذكر عمر ﷺ في حديث البيعة السابق أن أبا بكر لم يترك شيئًا أنزل في الأنصار أو ذكره ﷺ في شأنهم إلا ذكره، وهذا أدل دليل على كثرة محفوظه من السنة وسعة علمه بالقرآن.

-روى عنه ﷺ: عمر وعلي وابن عوف وابن مسعود وحذيفة وابن عمر وابن الزبير وابن عمر وابن عباس وأنس وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وأبو هريرة وعقبة بن الحارث وعبد الرحمن ابنه وزيد بن أرقم وعبد الله بن مغفل وعقبة بن عامر الجهني وعمران بن حصين وأبو برزة الأسلمي وأبو سعيد الخدري وأبو موسى الأشعري وأبو الطفيل الليثي وجابر بن عبد الله وبلال وعائشة ابنته وأسماء ابنته ومن التابعين أسلم مولى عمر وواسط البجلي وخلائق.

-عن أبي بَكْرٍ ﷺ قَالَ:" كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ، فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا. قَالَ: مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا" رواه البخاري.

عن أبي بَكْرٍ ﷺ قَالَ:" قُلْتُ: يا رسولَ الله، عَلمني دُعاء أَدعو بِهِ في صَلاتي، قال: قُلْ: اللهمَّ إني ظَلَمتُ نَفسي ظُلْما كثيرا، ولا يَغفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنتَ، فَاغْفِر لي مَغْفِرَة من عِنْدِكَ، وارحمني، إنك أَنتَ الغَفُورُ الرَّحيمُ" متفق عليه.

-عن أبي بَكْرٍ ﷺ:" أنهُ خَرَجَ حاجّا مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، ومعه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية، فلما كانوا بذي الحليفة ولدت أسماء محمد بن أبي بكر، فأتى أبو بكر رسول الله ﷺ فأخبره، فأمره رسول ﷺ: أن يأمُرَها أن تَغتسل، ثم تُهِل بالحج، وتصنع ما يصنعُ الناس، إلا أنها لا تطوف بالبيت" أخرجه النسائي.

-قام أبو بكر الصديق ﷺ على المنبر ثم بكى، فقال: قام رسولُ الله ﷺ عام أولَ على المنبر، ثم بكى، فقال:" سَلُوا الله العفْوَ والعافيةَ، فإن أَحدا لم يُعطَ بعد اليقين خيرًا من العافية" أخرجه الترمذي.

-ومنها: حديث البحر:" هو الطهور ماؤه الحل ميتته" الدارقطني. وحديث:" السواك مطهرة للفم مرضاة للرب" أحمد. وحديث:" من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد" أحمد. وحديث:" من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفروا الله في عهده فمن قتله طلبه الله حتى يكبه في النار على وجهه" ابن ماجه. وحديث:" ما من رجل يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله إلا غفر له" أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان. وحديث:" ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه" الترمذي. وحديث:" لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدا" أبو يعلى. وحديث:" اتقوا النار ولو بشق تمرة فإنها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان" أبو يعلى. وحديث:" فرائض الصدقات بطوله"

البخاري وغيره. وحديث:" لا نورث ما تركناه صدقة" البخاري. وحديث" من أغبرت قدماه في سبيل الله حرمها الله على النار" البزار. وحديث" أمرت أن أقاتل الناس".

ثانيًا -ما ورد عنه ﷺ من التفسير:

-سئل أبو بكر ﷺ عن قوله تعالى:(وفاكهة وأبا). فقال:" أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم".

-أخرج البيهقي وغيره عن أبي بكر أنه سئل عن الكلالة؟ فقال:" إني سأقول فيها برأيي فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، أراه: ما خلا الولد والوالد، فلما استخلف عمر قال: إنني لأستحي أن أرد شيئًا".

-قال أبو بكر ﷺ لأصحابه:" ما تقولون في هاتين الآيتين:(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا)، (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)؟ قالوا: ثم استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا إيمانهم بخطيئة قال: لقد حملتموهما على غير المحمل، ثم قال:(ثم استقاموا) فلم يميلوا إلى إله غيره (ولم يلبسوا) إيمانهم بشرك".

-أخرج ابن جرير عن أبي بكر الصديق ﷺ في قوله تعالى:(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال:" النظر إلى وجه الله تعالى".

ثالثًا -ما روي عنه ﷺمن الأقوال والآراء:

-قال أبو بكر ﷺ: استحيوا من الله، فوالله إني لأدخل الكنيف فأسند ظهري إلى الحائط حياء من الله. وأخرج الشافعي عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه كره بيع اللحم بالحيوان. وأخرج البخاري عنه أنه جعل الجد بمنزلة الأب يعني في الميراث.

-أخرج البخاري:" أن رجلا عض يد رجل فأندر ثنيته، فأهدرها أبو بكر". وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي أن أبا بكر ﷺ قضى في الأذن بخمس عشرة من الإبل. وقال: يواري شينها الشعر والعمامة.

-أوصى ﷺ يزيد بن أبي سفيان أمير جيوشه إلى الشام:" إني موصيك بعشر خلال: لا تقتلوا امرأة ولا صبيًا ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطع شجرًا مثمرًا، ولا تخربن عامرًا، ولا تعقر شاة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، ولا تفرقن نخلًا ولا تحرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن".

-أخرج البخاري عن ابن عمر قال: قال أبو بكر: ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته. وأخرج أبو عبيد في الغريب عن أبي بكر قال: طوبى لمن مات في النانأة" أي في أول الإسلام قبل تحرك الفتن، والنَّأْنَأَةُ: العَجْزُ والضّعْفُ.

-أخرج البخاري عن عائشة، قالت: كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوما بشيء، فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ قال: ما هو؟ قال: كنت

تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني هذا الذي أكلت منه. فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه".

-أخرج ابن سعد عن ابن سيرين قال:" لم يكن أحد بعد النبي ﷺ أهيب لما لا يعلم من أبي بكر، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب لما لا يعلم من عمر، وإن أبا بكر نزلت فيه قضية فلم يجد لها في كتاب الله أصلا ولا في السنة أثرًا، فقال: أجتهد رأيي، فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني، وأستغفر الله".

رابعًا -ما ورد عنه من تعبير الرؤيا:

-أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب قال:" رأت عائشة، وكأنه وقع في بيتها ثلاثة أقمار، فقصتها على أبي بكر، فقال: إن صدقت رؤياك ليدفنن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثًا، فلما قبض النبي ﷺ قال: يا عائشة هذا خير أقمارك".

-وأخرج أيضا عن عمر بن شرحبيل قال:" قال رسول الله ﷺ رأيتني أردفت غنم سود، ثم أردفتها غنم بيض حتى ما ترى السود فيها، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما الغنم السود فإنها العرب يسلمون ويكثرون، والغنم البيض الأعاجم يسلمون حتى لا يرى العرب فيهم من كثرتهم".

-وأخرج ابن سعد:" عن ابن شهاب قال: رأى رسول الله ﷺ رؤيا فقصها على أبي بكر فقال: رأيت كأني استبقت أنا وأنت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف، قال: يا رسول الله، يقبضك الله إلى مغفرة ورحمة، وأعيش بعدك سنتين ونصفًا".

-رأيت بخط الحافظ الذهبي:" من كان فرد زمانه في فنه: أبو بكر في النسب، وعمر في القوة في أمر الله، وعثمان في الحياء، وعلي في القضاء، وأبي بن كعب في القراءة، وزيد بن ثابت في الفرائض، وأبو عبيدة في الأمانة، وابن عباس في التفسير، وأبو ذر في صدق اللهجة، وخالد في الشجاعة".

الفوائد:

....

....

الوحدة الثانية
سيرة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ:

الدرس التاسع

أولًا -نسبه ومولده:

●عمر بن الخطاب: بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، أمير المؤمنين، أبو حفص القريشي العدوي، الفاروق، أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة قاله الذهبي.

●قال النووي: ولد عمر ﷺ بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيرًا: أي رسولا وإذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافرًا أو مفاخرًا. وأسلم قديما بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة. وقيل: بعد تسعة وثلاثين رجلا وثلاث وعشرين امرأة. وقيل: بعد خمسة وأربعين رجلًا وإحدى عشرة امرأة.

●وهو أحد السابقين الأولين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد أصهار رسول الله ﷺ، وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم. روي له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثا. روى عنه عثمان بن عفان وعلي وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبو ذر وعمر بن عبسة وابنه عبد الله وابن العباس وابن الزبير وأنس وأبو هريرة وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري والبراء بن عازب وأبو سعيد الخدري وخلائق آخرون من الصحابة وغيرهم ﷺ.

ثانيًا -إسلامه ﷺ:

●أخرج الترمذي وغيره عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال:" اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام". وأخرج الحاكم:" عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة". وقال عمرﷺ:" خرجت أتعرض رسول الله ﷺ فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت: والله هذا شاعر كما قالت قريش فقرأ:{ إنه لقول رسول كريم ❖ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون} الآيات فوقع في قلبي الإسلام كل موقع".

●عن أنس ﷺ قال:" خرج عمر متقلدًا سيفه، فلقيه رجل من بني زهرة، فقال: أين تعمد يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل محمدًا. قال: وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدًا؟ فقال: ما أراك إلا قد صبأت. قال: أفلا أدلك على العجب إن ختنك وأختك قد صبآ وتركا دينك. فمشى

عمر فأتاهما، وعندهما خباب، فلما سمع بحس عمر توارى في البيت فدخل. فقال: ما هذه الهينمة؟ وكانوا يقرؤون "طه". قالا: ما عدا حديثا تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبأتما؟ فقال له ختنه: يا عمر إن كان الحق في غير دينك. فوثب عليه عمر فوطئه وطأ شديدًا، فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها. فقالت -وهي غضبى-: وإن كان الحق في غير دينك؟ إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. فقال عمر: أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه. وكان عمر يقرأ الكتاب، فقالت أخته: إنك نجس وإنه لا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ، فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب، فقرأ "طه" حتى انتهى إلى:(إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) فقال عمر: دلوني على محمد. فلما سمع خباب قول عمر خرج: فقال: أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام. وكان ﷺ في أصل الدار التي في أصل الصفا، فانطلق عمر حتى أتى الدار، وعلى بابها حمزة وطلحة وناس، فقال حمزة: هذا عمر إن يريد الله به خيرًا يسلم، وإن يريد غير ذلك يكن قتله علينا هينًا. قال: والنبي ﷺ دخل يوحى إليه، فخرج حتى أتى عمر، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، فقال: ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة. فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبد الله ورسوله".

● عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سألت عمر ﷺ: لأي شيء سميت الفاروق؟ فقال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام، فخرجت إلى المسجد فأسرع أبو جهل إلى النبي ﷺ يسبه فأخبر حمزة، فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد إلى حلقة قريش التي فيها أبو جهل، فاتكأ على قوسه مقابل أبي جهل فنظر إليه فعرف أبو جهل الشر في وجهه، فقال: مالك يا أبا عمارة؟ فرفع القوس فضرب به أخدعه فقطعه فسالت الدماء، فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر. قال: ورسول الله ﷺ مختف في دار الأرقم المخزومي، فانطلق حمزة فأسلم فخرجت بعده بثلاثة أيام، فإذا فلان المخزومي، فقلت له: أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد؟ فقال: إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقا مني. قلت: ومن هو؟ قال: أختك وختنك. فانطلقت فوجدت الباب مغلقا، وسمعت همهمة، ففتح لي الباب فدخلت، فقلت: ما هذا الذي أسمع عندكم؟ قالوا: ما سمعت شيئا. فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأسي ختني فضربته ضربة فأدميته. فقامت إلي أختي فأخذت برأسي، وقالت: قد كان ذلك على رغم أنفك، فاستحيت حين رأيت الدماء فجلست، وقلت: أروني هذا الكتاب. فقالت: إنه لا يمسه إلا المطهرون، فقمت فاغتسلت فأخرجوا إلي صحيفة فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) فقلت: أسماء طيبة طاهرة. (طه ❖ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) إلى قوله:(له الأسماء الحسنى) قال: فتعظمت في صدري. وقلت: من هذا فرت قريش، فأسلمت، وقلت: أين رسول الله ﷺ؟ قالت: فإنه في دار

الأرقم، فأتيت الدار فضربت الباب، فاستجمع القوم. فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر. قال: وإن كان عمر افتحوا له الباب فإن أقبل قبلنا منه، وإن أدبر قتلناه". فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج فتشهد عمر، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل مكة. قلت: يا رسول الله ألسنا على حق؟ قال: بلى قلت: ففيم الإخفاء؟ فخرجنا صفين أنا في أحدهما، وحمزة في الآخر، حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش إلي وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة، لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله ﷺ الفاروق يومئذ؛ لأنه أظهر الإسلام وفرق بين الحق والباطل". وأخرج ابن سعد عن ذكوان قال: قلت لعائشة: من سمى عمر الفاروق؟ قالت: النبي ﷺ.

●أخرج البخاري عن ابن مسعود ﷺ قال:" ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر". وأخرج ابن سعد عن حذيفة قال:" لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجال المقبل لا يزداد إلا قُربًا، فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعدًا". وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال:" أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب" إسناده صحيح. وأخرج ابن سعد عن صهيب قال:" لما أسلم عمر ﷺ أظهر الإسلام ودعا إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقاً، وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتي به".

●أخرج ابن سعد عن أسلم مولى عمر قال:" أسلم عمر في ذي الحجة السنة السادسة من النبوة، وهو ابن ست وعشرين سنة".

ثالثًا -هجرته:

●أخرج ابن عساكر عن علي قال:" ما علمت أحدًا هاجر إلا مختفيًا إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما همَّ بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهما، وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها، فطاف سبعًا ثم صلى ركعتين عند المقام، ثم أتى حلقهم واحدة واحدة، فقال: شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمه، وييتم ولده، وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي، فما تبعه منهم أحد".

●وأخرج ابن عساكر عن البراء ﷺ قال:" أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير، ثم ابن مكتوم، ثم عمر بن الخطاب في عشرين راكبًا، فقلنا: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: هو على أثري ثم قدم رسول الله ﷺ وأبو بكر ﷺ معه". قال النووي: شهد عمر مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها وكان ممن ثبت معه يوم أحد.

الفوائد:

....

....

الدرس العاشر

أولًا -الأحاديث الواردة في فضله:

●أخرج الشيخان عن أبي هريرة ﵁ قال:" قال ﷺ: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، قلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر فذكرت غيرتك فوليت مدبرًا. فبكى عمر، وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟".

●أخرج الشيخان عن ابن عمر أن النبيَّ ﷺ قال:" بينا أنا نائم شربت -يعني اللبن - حتى أنظر الري يجري في أظفاري، ثم ناولته عمر. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم". وأخرج الشيخان:" عن أبي سعيد ﵁ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: بينا أنا نائم، رأيت الناس عُرضوا علي، وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض عليَّ عمر وعليه قميص يجره. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين".

●أخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص ﵁ قال:" قال ﷺ: يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا قط إلا سلك فجًّا غير فجِّك".

●أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ". قال ابن عمر:" وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر".

●أخرج الشيخان عن ابن عمر وأبي هريرة ﵃ قالا: قال ﷺ:" بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو، فنزعت منها إلى ما شاء الله، ثم أخذها أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت في يده غَرْبًا، فلم أر عبقريًّا من الناس، ينزع نزع عمر، وضربوا بعطن" [غَرْبًا: دلوًا عظيمًا. وضربوا بعطن: رويت الإبل ثم بركت حول الماء والمراد اتساع الأمصار].

قال العلماء: هذا إشارة إلى خلافة أبي بكر وعمر وكثرة الفتوح وظهور الإسلام في زمن عمر.

ثانيًا -من أقوال الصحابة والسلف فيه ﵃:

●قال أبو بكر الصديق ﵁:" ما على ظهر الأرض رجل أحب إلي من عمر" أخرجه ابن عساكر. وقيل لأبي بكر في مرضه:" ماذا تقول لربك وقد وليت عمر؟ قال: أقول له: وليت عليهم خيرهم" أخرجه ابن سعد. وقال علي ﵁:" إذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر، ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر" أخرجه الطبراني في الأوسط.

●قال حذيفة ﵁:" كأن علم الناس كان مدسوسًا في حجر عمر". وقال حذيفة:" والله ما أعرف رجلا لا تأخذه في الله لومة لائم إلا عمر". وقال معاوية ﵁:" أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهرا لبطن" أخرجه الزبير بن بكار في الموفقيات.

●أخرج أحمد والبزار والطبراني عن ابن مسعود ﷺ قال: فُضِّل عمر بن الخطاب الناس بأربع: بذكر الأسرى يوم بدر، أمر بقتلهم فأنزل الله:(لولا كتاب من الله سبق) الآية، وبذكر الحجاب، أمر نساء النبي ﷺ أن يحتجبن فقالت له زينب: وإنك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل علينا في بيوتنا فأنزل الله:(وإذا سألتموهن متاعا) الآية، وبدعوة النبي ﷺ:" اللهم أيد الإسلام بعمر، و برأيه في أبي بكر كان أول من بايعه".

●قال سفيان الثوري: من زعم أن عليا كان أحق بالولاية من أبي بكر وعمر فقد أخطأ وخطأ أبا بكر والمهاجرين والأنصار.

ثالثًا -موافقات القرآن لآراء عمر:

●قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين، أخرج ابن مردويه عن مجاهد قال: كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن. وأخرج ابن عساكر عن علي قال: إن في القرآن لرأيا من رأي عمر. وأخرج عن ابن عمر مرفوعا: ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر.

●وأخرج الشيخان عن عمر ﷺ قال:" وافقت ربي في ثلاث: قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت:(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)، وقلت: يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر، فلو أمرتهن يحتجبن فنزلت آية الحجاب. واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة، فقلت: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن، فنزلت كذلك. وأخرج مسلم عن عمر ﷺ قال: وافقت ربي في ثلاث في الحجاب وفي أسارى بدر وفي مقام إبراهيم.

●وفي التهذيب للنووي: نزل القرآن بموافقته: في أسرى بدر وفي الحجاب وفي مقام إبراهيم وفي تحريم الخمر، فزاد خصلة خامسة، وحديثها في السنن ومستدرك الحاكم، أنه قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فأنزل الله تحريمها.

رابعًا -من كراماته ﷺ:

●عن ابن عمر قال: وجه عمر جيشًا، ورأس عليهم رجلا يدعى سارية، فبينما عمر يخطب جعل ينادي: يا سارية الجبل ثلاثًا، ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين هزمنا، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتًا ينادي: يا سارية الجبل ثلاثا، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله. قال: قيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك وذلك الجبل الذي كان سارية عنده بنهاوند من أرض العجم. قال ابن حجر في الإصابة: إسناده حسن. وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر قال: كان عمر يخطب يوم الجمعة، فعرض في خطبته أن قال: يا سارية الجبل، من استرعى الذئب ظلم. فالتفت الناس بعضهم لبعض، فقال لهم علي: ليخرجن مما قال، فلما فرغ سألوه فقال: وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا، وإنهم يمرون بجبل، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد، وإن جاوزوا هلكوا،

فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه. قال: فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا".

●أخرج أبو القاسم بن بشران في فوائده عن ابن عمر قال: قال عمر بن الخطاب لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة قال: ابن من؟ قال: ابن شهاب. قال: ممن؟ قال: من الحرقة. قال: أين مسكنك؟ قال: الحرة. قال: بأيها؟ قال: بذات لظى. فقال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا.

خامسًا –نبذ من سيرته:

●أخرج ابن سعد عن الأحنف ابن قيس قال: كنا جلوسا بباب عمر فمرت جارية، فقالوا: سرية أمير المؤمنين. فقال: ما هي لأمير المؤمنين بسرية، ولا تحل له إنها من مال الله. فقلنا: فماذا يحل له من مال الله تعالى؟ قال: إنه لا يحل لعمر من مال الله إلا حلتان: حلة للشتاء وحلة للصيف، وما أحج به وأعتمر، وقوتي وقوت أهلي، كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم، ثم أنا بعد رجل من المسلمين".

●قال عكرمة بن خالد وغيره: إن حفصة وعبد الله وغيرهما كلموا عمر، فقالوا: لو أكلت طعامًا طيبًا كان أقوى لك على الحق. قال: أكلُّكم على هذا الرأي؟ قالوا: نعم. قال: قد علمت نصحكم، ولكني تركت صاحبي على جادة، فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل. قال: وأصاب الناس سنة فما أكل عامئذ سمنًا ولا سمينًا.

●قال الحسن:" دخل عمر على ابنه عاصم وهو يأكل لحما، فقال: ما هذا؟ قال: قرمنا إليه. قال: أو كلما قرمت إلى شيء أكلته؟ كفى بالمرء سرفًا أن يأكل كلما اشتهى".

●قال النخعي: كان عمر يتجر وهو خليفة. وقال أنس: تقرقر بطن عمر من أكل الزيت عام الرمادة وكان قد حرم على نفسه السمن، فنقر بطنه بإصبعه، وقال: إنه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس.

الفوائد:

....

....

الدرس الحادي عشر

أولًا –صفته ﷺ:

●أخرج ابن سعد والحاكم عن زر قال: خرجت مع أهل المدينة في يوم عيد، فرأيت عمر يمشي حافيًا شيخًا أصلع آدم أعسر طوالا مشرفا على الناس، كأنه على دابة. قال الواقدي: لا يعرف عندنا أن عمر كان آدم إلا أن يكون رآه عام الرمادة، فإنه كان تغير لونه حين أكل الزيت.

●وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أنه وصف عمر فقال:" رجل أبيض تعلوه حمرة طوال أصلع أشيب". وأخرج عن عبيد بن عمير قال:" كان عمر يفوق الناس طولا. وأخرج عن سلمة بن الأكوع قال: كان عمر رجلا أعسر يعني يعتمد بيديه جميعًا". وأخرج ابن عساكر عن أبي رجاء العطاردي قال:" كان عمر رجلا طويلا جسيما أصلع شديد الصلع أبيض شديد الحمرة في عارضيه خفة سَبَلَتُه كبيرة وفي أطرافها صهبة" [سَبَلَتُه كبيرة: مقدَّم لحيته. صهبة: شقرة].

ثانيًا -خلافته والأحداث التي جرت في عهده:

●ولي الخلافة بعَهْدٍ من أبي بكر في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة؛ قال الزهري:" استخلف عمر يوم توفي أبو بكر، وهو يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة" أخرجه الحاكم.

●كثرت الفتوح في أيامه ﵁، ففي سنة أربع عشرة فتحت دمشق ما بين صلح وعنوة، وحمص وبعلبك صلحًا، والبصرة والأبلة كلاهما عنوة. وفيها جمع عمر الناس على صلاة التراويح، قاله العسكري في الأوائل. وفي سنة خمس عشرة فتحت الأردن كلها عنوة إلا طبرية، فإنها فتحت صلحًا، وفيها كانت وقعة اليرموك والقادسية. قال ابن جرير: وفيها مصَّر سعد الكوفة، وفيها فرض عمر الفروض، ودون الدواوين، وأعطى العطاء على السابقة.

●وفي سنة ست عشرة فتحت الأهواز والمدائن، وأقام بها سعد الجمعة في إيوان كسرى، وهي أول جمعة جمعت بالعراق، وذلك في صفر، وفيها كانت وقعة جلولاء، وهزم فيها يزدجرد بن كسرى، وتقهقر إلى الري. وفيها فتحت تكريت، وفيها سار عمر ففتح بيت المقدس، وخطب بالجابية خطبته المشهورة، وفيها فتحت قنسرين عنوة، وحلب وأنطاكية ومنبج صلحًا، وسروج عنوة، وفيها فتحت قرقيسياء صلحًا، وفي ربيع الأول كتب التاريخ من الهجرة بمشورة علي.

●وفي سنة عشرة زاد عمر في المسجد النبوي، وفيها كان القحط بالحجاز، وسمي عام الرمادة، واستسقى عمر للناس بالعباس. وفي سنة ثمان عشرة فتحت جند يسابور صلحًا وحلوان عنوة، وفيها كان طاعون عمواس، وفيها فتحت الرها وسميساط عنوة، وحران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة، وقيل: صلحًا، والموصل ونواحيها والموصل ونواحيها عنوة.

●وفي سنة تسع عشرة فتحت قيسارية عنوة. وفي سنة عشرين فتحت مصر عنوة، وقيل: مصر كلها صلحا إلا الإسكندرية فعنوة، وقال علي بن رباح: المغرب كله عنوة، وفيها فتحت تستر. وفيها هلك قيصر عظيم الروم، وفيها أجلى عمر اليهود عن خيبر وعن نجران وقسم خيبر ووادي القرى.

●وفي سنة إحدى وعشرين فتحت الإسكندرية عنوة ونهاوند، ولم يكن للأعاجم بعدها جماعة وبرقة وغيرها. وفي سنة اثنتين وعشرين فتحت أذربيجان عنوة وقيل: صلحًا، والدينور عنوة وماسبذان عنوة،

وهمذان وطرابلس المغرب والري وعسكر وقومس. وفي سنة ثلاث وعشرين كان فتح كرمان وسجستان ومكران من بلاد الجبل وأصبهان ونواحيها.

ثالثًا -مقتله ووصيته:

●في آخر سنة ثلاث وعشرين كانت وفاة سيدنا عمر ﷛ بعد صدوره من الحج شهيدًا، قال سعيد بن المسيب:" لما نفر عمر من منى أناخ بالأبطح، ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل" أخرجه الحاكم. وقال كعب الأحبار لعمر: أجدك في التوراة تقتل شهيدا. قال: وأنى لي بالشهادة وأنا بجزيرة العرب؟ وقال عمر:" اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك" أخرجه البخاري.

●قال معدان بن أبي طلحة: خطب عمر فقال: رأيت كأن ديكا نقرني نقرة أو نقرتين، وإني لا أراه إلا حضور أجلي، وإن قوما يأمروني أن أستخلف، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته، فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راض عنهم" أخرجه الحاكم.

●قال الزهري: كان عمر ﷛ لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة، حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة، وهو على الكوفة يذكر له غلامًا عنده جملة صنائع، ويستأذنه أن يدخل المدينة، ويقول: إن عنده أعمالًا كثيرة فيها، منافع للناس إنه حداد نقاش نجار، فأذن له أن يرسله إلى المدينة، وضرب عليه المغيرة مائة درهم في الشهر، فجاء إلى عمر يشتكي شدة الخراج. فقال: ما خراجك بكثير فانصرف ساخطًا يتذمر. فلبث عمر ليالي ثم دعاه، فقال: ألم أخبر أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح؟ فالتفت إلى عمر عابسًا، وقال: لأصنعن لك رحى يُتحدث بها. فلما ولى قال عمر لأصحابه: أوعدني العبد آنفا. ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه، فكمن بزاوية من زوايا المسجد في الغلس، فلم يزل هناك حتى خرج عمر، يوقظ الناس للصلاة، فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات" أخرجه ابن سعد. وقال عمرو بن ميمون الأنصاري: إن أبا لؤلؤة عبد المغيرة طعن عمر بخنجر له رأسان، وطعن معه اثني عشر رجلا، مات منهم ستة، فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبًا فلما اغتمَّ فيه قتل نفسه. وقال ابن عباس: كان أبو لؤلؤة مجوسيًّا.

●قال عمر بن ميمون: قال عمر: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، ثم قال لابنه: يا عبد الله انظر ما عليَّ من الدين. فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوها، فقال: إن وفى مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فاسأل في بني عدي، فإن لم تف أموالهم، فاسأل في قريش. اذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل: يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه فذهب إليها فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي، فأتى عبد الله فقال: قد أذنت فحمد الله تعالى. وقيل له: أوص يا

أمير المؤمنين واستخلفْ. قال: ما أرى أحدًا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى الستة، وقال: يشهد عبد الله بن عمر معهم، وليس له من الأمر شيء.

●أصيب عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، ودفن يوم الأحد مستهل المحرم، وله ثلاث وستون سنة. وقيل: ست وستون سنة، وقيل: غير هذا.

رابعًا -أوليات عمر رضي الله عنه:

●هو أول من سمِّي أمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ من الهجرة، وأول من عسَّ بالليل، وأول من عاقب على الهجاء، وأول من ضرب في الخمر ثمانين، وأول من حرم المتعة، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وأول من اتخذ الديوان، وأول من فتح الفتوح ومسح السواد، وأول من حمل الطعام من مصر في بحر أيلة إلى المدينة، وأول من احتبس صدقة في الإسلام، وأول من أعال الفرائض، وأول من أخذ زكاة الخيل.

●وهو أول من اتخذ الدرة، وهو أول من استقضى القضاء في الأمصار، وأول من مصَّر الأمصار: الكوفة والبصرة والجزيرة والشام ومصر والموصل. وأول من اتخذ دار الدقيق؛ قال ابن سعد: اتخذ عمر دار الدقيق فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه، يعين به المنقطع. ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصلح من ينقطع به.

الفوائد:

....

....

الدرس الثاني عشر

أولًا -نبذ من أخباره وقضاياه:

●أخرج العسكري والطبراني والحاكم: أن أبا بكر بن سليمان: كان يكتب:" من خليفة رسول الله ﷺ" في عهد أبي بكر، ثم كتب أولًا:" من خليفة أبي بكر". وجاء أن أبا بكر رضي الله عنه كان يكتب من خليفة رسول الله، وكان عمر يكتب من خليفة خليفة رسول الله، حتى سماه بـ(أمير المؤمنين) عدي بن حاتم ولبيد بن ربيعة، قال النووي: سماه بهذا الاسم عدي بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا عليه من العراق. وقيل: سماه به المغيرة بن شعبة. وقيل: إن عمر قال للناس: أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فسمي أمير المؤمنين، وكان قبل ذلك يقال له: خليفة خليفة رسول الله، فعدلوا عن تلك العبارة لطولها.

●أخرج البخاري في تاريخه عن ابن المسيب قال:" أول من كتب التاريخ عمر بن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته، فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي". وعن ابن عمر:" أن عمر رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن فاستخار الله شهرًا، فأصبح وقد عزم له، ثم قال: إني ذكرت قومًا كانوا قبلكم كتبوا

كتابًا، فأقبلوا عليه، وتركوا كتاب الله". ●أخرج ابن سعد عن شداد قال: كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال:" اللهم إني شديد فليني، وإني ضعيف فقوني، وإني بخيل فسخني".

●أخرج ابن سعد عن البراء بن معرور:" أن عمر خرج يومًا حتى أتى المنبر، وكان قد اشتكى شكوى، فنُعت له العسل، وفي بيت المال عكة. فقال: إن أذنتم لي فيها أخذتها وإلا فهي عليَّ حرام فأذنوا له".

●أخرج ابن سعد عن زادان عن سلمان أن عمر قال له:" أملك أنا أم خليفة؟ فقال له سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهمًا أو أقل أو أكثر، ثم وضعته في غير حقه، فأنت ملك غير خليفة. فاستعبر عمر".

●أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن حكيم بن عمير قال:" كتب عمر بن الخطاب: ألا لا يجلدن أمير جيش ولا سرية أحدًا الحد حتى يطلع الدرب لئلا تحمله حمية الشيطان أن يلحق بالكفار".

●أخرج ابن سعد عن ابن عمر أن عمر حج سنة ثلاث وعشرين فأنفق في حجته ستة عشر دينارًا، فقال: يا عبد الله أسرفنا في هذا المال.

●أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن قتادة والشعبي قالا: جاءت عمر امرأة فقالت: زوجي يقوم الليل ويصوم النهار فقال عمر: لقد أحسنت الثناء على زوجك فقال كعب بن سوار: لقد شكت فقال عمر: كيف؟ قال تزعم أنه ليس لها من زوجها نصيب قال: فإذا قد فهمت ذلك فاقض بينهما فقال: يا أمير المؤمنين أحل الله له من النساء أربعًا فلها من كل أربعة أيام يوم ومن كل أربع ليال ليلة.

●أخرج ابن سعد عن الحسن قال:" أول خطبة خطبها عمر حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فقد ابتليت بكم وابتليتم بي، وخلفت فيكم بعد صاحبي، فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا، ومن غاب عنا وليناه أهل القوة والأمانة، ومن يحسن نزده حسنًا، ومن يسيء نعاقبه، ويغفر الله لنا ولكم".

●أخرج عن جبير بن الحويرث: أن عمر بن الخطاب ﷺ استشار المسلمين في تدوين الديوان. فقال له علي: تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال ولا تمسك منه شيئا. وقال عثمان: أرى مالا كثيرًا يسع الناس، وإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ، خشيت أن يلتبس الأمر. فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين قد جئت الشام، فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانًا، وجندوا جنودًا، فدون ديوانًا وجند جنودًا، فأخذ بقوله، فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة ابن نوفل وجبير بن مطعم، و كانوا من نساب قريش، فقال: اكتبوا الناس على منازلهم فكتبوا فبدؤوا ببني هاشم، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه على الخلافة، فلما نظر فيه عمر قال: ابدؤوا بقرابة النبي ﷺ، الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله.

ثانيًا -رؤيته ﷺ في المنام:

●أخرج ابن عساكر عن ابن عباس أن العباس قال: سألت الله حولا بعدما مات عمر، أن يرينيه في المنام فرأيته بعد حول، وهو يسلت العرق عن جبينه، فقلت: بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ما شأنك؟ فقال: هذا أوان فرغت، وإن كاد عرش عمر ليهد، لولا أني لقيت رؤوفاً رحيماً. وأخرج ابن سعد عن سالم بن عبد الله بن عمر قال:" سمعت رجلًا من الأنصار يقول: دعوت الله أن يريني عمر في المنام، فرأيته بعد عشر سنين، وهو يمسح العرق عن جبينه، فقلت: يا أمير المؤمنين ما فعلت؟ قال: الآن فرغت، ولولا رحمة ربي لهلكت".

●أخرج الحاكم عن الشعبي قال: رثت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عمر فقالت:

(عين جـودي بعبـرة ونحيــب ... لا تمَلِّي على الإمـام الصليب)
(فجعتني المنونُ بالفـارسِ المعـ ... لمِ يومَ الهيـــاجِ والتأنيب)
(عصمةُ الدين والمُعين على الدَّهْـ ... رِ وغيثُ الملهوفِ والمكروب)
(قل لأهل الضراء والبؤس: موتوا .. إذ سقتنا المنون كـأسَ شعوب)

ثالثًا -ذكر من مات من الصحابة في زمنه ﷺ:

مات في أيام عمر ﷺ من الأعلام: عتبة بن غزوان، والعلاء بن الحضرمي، وقيس بن السكن، وأبو قحافة والد الصديق ﷺ، وسعد بن عبادة، وسهيل بن عمرو، وابن أم مكتوم المؤذن، وعياش بن أبي ربيعة، وعبد الرحمن أخو الزبير بن العوام، وقيس بن أبي صعصعة: أحد من جمع القرآن، ونوفل ابن الحارث بن عبد المطلب وأخوه أبو سفيان، ومارية أم السيد إبراهيم، وأبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، والفضل بن العباس، وأبو جندل بن سهيل، وأبو مالك الأشعري، وصفوان بن المعطل، وأبي بن كعب، وبلال المؤذن، وأسيد بن الحضير، والبراء بن مالك أخو أنس، وزينب بنت جحش، وعياض بن غنم، وأبو الهيثم بن التيهان، وخالد بن الوليد، والجارود سيد بني عبد القيس، والنعمان بن مقرن، وقتادة بن النعمان، والأقرع بن حابس، وسودة بنت زمعة، وعويم بن ساعدة، وغيلان الثقفي، وأبو محجن الثقفي، وخلائق آخرون من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

الفوائد:

....

....

الوحدة الثالثة

سيرة عثمان بن عفانرضي الله عنه:

الدرس الثالث عشر

أولًا -نسبه ومولده ولقبه:

●عثمان بن عفان: بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، القرشي الأموي المكي ثم المدني، أبو عمرو ويقال: أبو عبد الله وأبو ليلى.

●ولد في السنة السادسة من الفيل، وأسلم قديمًا، وهو ممن دعاه الصديق إلى الإسلام وهاجر الهجرتين: الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة. وتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ قبل النبوة، وماتت عنده في ليالي غزوة بدر، فتأخر عن بدر لتمريضها بإذن رسول الله ﷺ، وضرب له بسهمه وأجره، فهو معدود في البدريين بذلك. وجاء البشير بنصر المسلمين ببدر يوم دفنوها بالمدينة، فزوجه ﷺ بعدها أختها أم كلثوم، وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة. قال العلماء: لا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره؛ لذلك سمي ذا النورين.

●وهو من السابقين الأولين، وأول المهاجرين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وعنهم راض، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن. وقال ابن سعد: استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في غزوته إلى ذات الرقاع وإلى غطفان.

●روى عن رسول الله ﷺ مائة وستة وأربعين حديثًا. وروى عنه زيد بن خالد الجهني وابن الزبير والسائب بن يزيد وأنس بن مالك وزيد بن ثابت وسلمة بن الأكوع وأبو أمامة الباهلي وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن مغفل وأبو قتادة وأبو هريرة وآخرون من الصحابة رضي الله عنهم. وخلائق من التابعين، منهم: أبان بن عثمان وعبيد الله بن عدي وحمران وغيرهم. وأخرج ابن سعد: عن عبد الرحمن بن حاطب قال: ما رأيت أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ كان إذا حدث أتم حديثًا ولا أحسن من عثمان بن عفان إلا أنه كان رجلا يهاب الحديث. وأخرج عن محمد بن سيرين قال: كان أعلمهم بالمناسك عثمان وبعده ابن عمر.

●أمه: أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم توأمة أبي رسول الله ﷺ، فأم عثمان بنت عمة النبي ﷺ. قال: ابن إسحاق: وكان عثمان أول الناس إسلامًا بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة.

●أخرج ابن عساكر من طرق أن عثمان: كان رجلًا ربعة، ليس بالقصير ولا بالطويل، حسن الوجه أبيض مشربًا حمرة، بوجهه نكتات جدري، كثير اللحية، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين،

خدل الساقين، طويل الذراعين، شعره قد كسا ذراعيه، جعد الرأس، أحسن الناس ثغرًا، جمته أسفل من أذنيه، يخضب بالصفرة، وكان قد شد أسنانه بالذهب.

●أخرج ابن سعد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: لما أسلم عثمان بن عفان أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية، فأوثقه رباطًا، وقال: ترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟ والله لا أدعك أبدا حتى تدع ما أنت عليه. فقال عثمان: والله لا أدعه أبدًا ولا أفارقه. فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه. وأخرج أبو يعلى عن أنس قال: أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان، فقال النبي ﷺ صحبهما الله! إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط.

ثانيًا -الأحاديث الواردة في فضله:

●أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها:" أن النبي ﷺ جمع ثيابه حين دخل عثمان، قال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟".

●أخرج البخاري عن أبي عبد الرحمن السلمي:" أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم، فقال: أنشدكم بالله ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة؟ فجهزتهم. ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من حفر بئر رومة فله الجنة؟ فصدقوه بما قال".

●أخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب قال:" شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. ثم حض على الجيش، فقال عثمان: يا رسول الله علي مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. ثم حض على الجيش، فقال عثمان: يا رسول الله علي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. فنزل رسول الله ﷺ، وهو يقول:" ما على عثمان ما عمل بعد هذه شيء". وأخرج الترمذي عن أنس والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن سمرة قال:" جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز العسرة، فنثرها في حجره، فجعل رسول الله ﷺ يقلبها، ويقول: ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين".

●أخرج الترمذي عن أنس قال:" لما أمرنا رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان، كان عثمان بن عفان رسولَ النبيِّ الله ﷺ إلى أهل مكة، فبايع الناس فقال النبي ﷺ: إن عثمان بن عفان في حاجة الله وحاجة رسوله، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خير من أيديهم لأنفسهم".

●أخرج الترمذي عن ابن عمر قال:" ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فقال: يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان". وأخرج الترمذي والحاكم وصححه:" عن مرة بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة يقربها، فمر رجل مقنع في ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان،

فأقبلت إليه بوجهي فقلت: هذا؟ قال نعم". وأخرج الحاكم عن أبي هريرة قال:" اشترى عثمان الجنة عن النبي ﷺ مرتين: حيث حفر بئر رومة وحيث جهز جيش العسرة".

ثالثًا -أوليَّاته ﷺ:

●قال العسكري في الأوائل: هو أول من أقطع القطائع، وأول من حمى الحمى، وأول من خفض صوته بالتكبير، وأول من خلَّق المسجد (أي: سواه وملَّسه)، وأول من أمر بالأذان الأول في الجمعة، وأول من رزق المؤذنين، وأول من ارتج عليه في الخطبة، فقال:" أيها الناس إن أول مركب صعب وإن بعد اليوم أياما وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها وما كنا خطباء وسيعلمنا الله" أخرجه ابن سعد. وأول من فوض إلى الناس إخراج زكاتهم، وأول من ولي الخلافة في حياة أمه.

● قلت: بقي من أوائله أنه أول من هاجر إلى الله بأهله من هذه الأمة، وأول من جمع الناس على حرف واحدة في القراءة. وعن حكيم بن عباد قال: أول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا وانتهى سمن الناس طيران الحمام والرمي على الجلاهقات فاستعمل عليها عثمان رجلا من بني ليث سنة ثمان من خلافته فقصها وكسر الجلاهقات. (الجُلاهِق: الطين المُدَوَّر الأَملس).

رابعًا -الذين ماتوا في عهده من الأعلام:

مات في أيام عثمان ﷺ: سراقة بن مالك، وجبار بن صخر، وحاطب بن أبي بلتعة، وعياض بن زهير، وأبو أسيد الساعدي، وأوس بن الصامت، والحارث بن نوفل، وعبد الله بن حذافة، وزيد بن خارجة الذي تكلم بعد الموت، ولبيد الشاعر، والمسيب والد سعيد، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، ومعبد بن العباس، ومعيقب ابن أبي فاطمة الدوسي، وأبو لبابة بن عبد المنذر، ونعيم بن مسعود الأشجعي، وآخرون من الصحابة. ومن غير الصحابة: الحطيئة الشاعر، وأبو ذؤيب الشاعر الهذلي.

الفوائد:

....

....

الدرس الرابع عشر

أولًا -خلافته ﷺ:

●بويع بالخلافة بعد دفن عمر بثلاث ليال، فروي أن الناس كانوا يجتمعون في تلك الأيام إلى عبد الرحمن بن عوف، يشاورونه ويناجونه، فلا يخلو به رجل ذو رأي فيعدل بعثمان أحدًا، ولما جلس عبد الرحمن للمبايعة حمد الله وأثنى عليه، وقال في كلامه: إني رأيت الناس يأبون إلا عثمان". وأخرجه ابن عساكر عن المسور بن مخرمة وفي رواية:" أما بعد يا علي فإني نظرت في الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلا، ثم أخذ بيد عثمان فقال: نبايعك على سنة الله وسنة رسوله وسنة الخليفتين بعده، فبايعه عبد الرحمن، وبايعه المهاجرون والأنصار".

●وفي مسند أحمد عن أبي وائل قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف: كيف بايعتم عثمان وتركتم عليا؟ قال: ما ذنبي؟ قد بدأت بعلي فقلت: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر؟ فقال: فيما استطعت ثم عرضت ذلك على عثمان، فقال: نعم. وأخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود ﵁ أنه قال -لما بويع عثمان-: "أمرنا خير من بقي ولم نأل".

ثانيًا -ما حدث في عهده من الأحداث:

●في هذه السنة من خلافته فتحت الري، وكانت فتحت وانتقضت، وفيها أصاب الناس رعاف كثير، فقيل لها: سنة الرعاف، وأصاب عثمان رعاف حتى تخلف عن الحج وأوصى، وفيها فتح من الروم حصون كثيرة، وفيها ولّى عثمان الكوفة سعد بن أبي وقاص وعزل المغيرة. وفي سنة خمس وعشرين عزل عثمان سعدًا عن الكوفة، وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وهو صحابي أخو عثمان لأمه.

●وفي سنة ست وعشرين زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه، واشترى أماكن للزيادة، وفيها فتحت سابور، وفي سنة سبع وعشرين غزا معاوية قبرص، فركب البحر بالجيوش، وكان معهم عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان الأنصارية، فسقطت عن دابتها فماتت شهيدة هناك، -وكان النبي ﷺ أخبرها بهذا الجيش ودعا لها بأن تكون منهم - فدفنت بقبرص. وفيها فتحت أرجان ودرا بجرد، وفيها عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر، وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فغزا أفريقية فافتتحها سهلا وجبلا، فأصاب كل إنسان من الجيش ألف دينار، وقيل: ثلاثة آلاف دينار ثم فتحت الأندلس في هذا العام.

●لطيفة: كان معاوية يلح على عمر بن الخطاب في غزوة قبرص وركوب البحر لها، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص أن صف لي البحر وراكبه، فكتب إليه: إني رأيت خلقًا كبيرًا، يركبه خلق صغير، إن ركد خرق القلوب، وإن تحرك أراع العقول، تزداد فيه العقول قلة والسيئات كثرة، وهم فيه كدود على عود، إن مال غرق وإن نجا فرق، فلما قرأ عمر الكتاب كتب إلى معاوية: والله لا أحمل فيه مسلما أبدًا. قال ابن جرير: فغزا معاوية قبرص في أيام عثمان فصالحه أهلها على الجزية.

●وفي سنة تسع وعشرين فتحت إصطخر عنوة وغير ذلك، وفيها زاد عثمان في مسجد المدينة ووسعه، وبناه بالحجارة المنقوشة، وجعل عمده من حجارة، وسقفه بالساج، وجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع.

●وفي سنة ثلاثين فتحت جور وبلاد كثيرة من أرض خراسان وفتحت نيسابور صلحًا، وقيل: عنوة، وطوس وسرخس كلاهما صلحًا، وكذا مرو وبيهق، ولما فتحت هذه البلاد الواسعة كثر الخراج على عثمان وأتاه المال من كل وجه، حتى اتخذ له الخزائن وأدر الأرزاق، وكان يأمر للرجل بمائة ألف بدرة في كل بدرة أربعة آلاف أوقية.

●وفي سنة إحدى وثلاثين توفي أبو سفيان بن حرب والد معاوية، وفيها مات الحكم بن أبي العاص عم عثمان رضي الله عنه. وفي سنت اثنتين وثلاثين توفي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وصلى عليه عثمان، وفيها توفي عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة من السابقين الأولين، تصدق مرة بأربعين ألفا وبقافلة جاءت من الشام كما هي، وفيها مات عبد الله بن مسعود الهذلي أحد القراء الأربعة ومن أهل السوابق في الإسلام ومن علماء الصحابة المشهورين بسعة العلم، وفيها مات أبو الدرداء الخزرجي ولي قضاء دمشق لمعاوية، وفيها توفي أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، وفيها مات زيد بن عبد ربه الأنصاري الذي أري الأذان.

●وفي سنة ثلاث وثلاثين توفي المقداد بن الأسود في أرضه بالجرف وحمل إلى المدينة، وفيها غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح الحبشة. وفي سنة أربع وثلاثين أخرج أهل الكوفة سعيد بن أبي العاص ورضوا بأبي موسى الأشعري. وفي سنة خمس وثلاثين كان مقتل عثمان رضي الله عنه.

ثالثًا -أحداث مقتله رضي الله عنه:

●قال الزهري:" ولي عثمان الخلافة اثنتي عشرة سنة يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئا، وإنه لأحب إلى قريش من عمر بن الخطاب؛ لأن عمر كان شديدًا عليهم، فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم، ثم توانى في أمرهم واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر، وكتب لمروان بخمس إفريقية وأعطى أقرباءه وأهل بيته المال، وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها، وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإني أخذته فقسمته في أقربائي فأنكر الناس عليه ذلك" أخرجه ابن سعد.

●فلما كان في الست الأواخر استأثر بني عمه، فولاهم وما أشرك معهم، وأمرهم بتقوى الله، فولى عبد الله بن أبي سرح مصر، فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه، فكتب إليه كتابًا يتهدد فيه فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان، وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر، ممن كان أتى عثمان فقتله، فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح بهم. فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان بكلام شديد، وأرسلت عائشة رضي الله عنها إليه، فقالت: تقدم إليك أصحاب محمد ﷺ وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت؟ فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك. ودخل عليه علي بن أبي طالب فقال: إنما يسألونك رجلا مكان رجل، وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم، واقض بينهم، فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه، فقال لهم: اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه، فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر. فقالوا: استعمل علينا محمد بن أبي بكر، فكتب عهده وولاه وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار، ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح، فخرج محمد ومن معه فلما

كان على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة، إذا هم بغلام أسود على بعير يخبط البعير خبطًا، فقال له أصحاب محمد ﷺ: ما قصتك وما شأنك؟ كأنك هارب أو طالب؟ فقال لهم: أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر. فقال له رجل: هذا عامل مصر، قال: ليس هذا ما أريد وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر، فبعث في طلبه رجلا، فأخذه فجاء به إليه، فقال: غلام من أنت؟ فأقبل مرة يقول: أنا غلام أمير المؤمنين، ومرة يقول: أنا غلام مروان حتى عرفه رجل أنه لعثمان، فقال له محمد: إلى من أرسلت؟ قال: إلى عامل مصر. قال: بماذا؟ قال: برسالة قال: معك كتاب؟ قال: لا. ففتشوه فلم يجدوا معه كتابًا وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه، ليخرج فلم يخرج فشقوا الإداوة، فإذا بها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح، فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والأنصار وغيرهم، ثم فك الكتاب بمحضر منهم، فإذا فيه: إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم، وأبطل كتابه وقر على عملك، حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء إلي يتظلم منك، ليأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله تعالى. فلما قرؤوا الكتاب فزعوا وأزمعوا فرجعوا إلى المدينة، وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه، ودفع الكتاب إلى رجل منهم، وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعليًا وسعدًا ومن كان من أصحاب محمد ﷺ، ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم، وأخبروهم بقصة الغلام وأقرؤوهم الكتاب، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان.. ثم بعث عليٌّ إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة كلهم بدري، ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير، فقال له علي: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم. قال: والبعير بعيرك؟ قال: نعم. قال: فأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا. وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب، ولا أمرت به، ولا علم لي به. قال له علي: فالخاتم خاتمك؟ قال: نعم. قال: فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك لا تعلم به؟ فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط. وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان، وشكوا في أمر عثمان، وسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى. وكان مروان عنده في الدار فخرج أصحاب محمد ﷺ من عنده غضابًا، وعلموا أن عثمان لا يحلف بباطل إلا أن قومًا قالوا: لن يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان، حتى نبحثه ونعرف حال الكتاب، وكيف يأمر بقتل رجل من أصحاب محمد ﷺ بغير حق؟

●وحصل بعد ذلك لغط شديد، وفي هذا قتل عثمان رضي الله عنه، ودخل الصحابة على عثمان فوجدوه مقتولًا، فاسترجعوا، وقال علي لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين، وشتم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وخرج -وهو غضبان- حتى أتى منزله. وأخرج ابن عساكر عن كنانة مولى صفية وغيره قالوا: قتل عثمان رجل من أهل مصر أزرق أشقر يقال له: حمار.

●كان قتل عثمان في أوسط أيام التشريق من سنة خمس وثلاثين، وقيل: قتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء، في حش كوكب بالبقيع، وهو أول من دفن به. وقيل: غير هذا. وكان له يوم قتل اثنتان وثمانون سنة وقيل: غير ذلك. قال قتادة: صلى عليه الزبير ودفنه، وكان أوصى بذلك إليه.

●أخرج الحاكم وصححه عن قيس بن عباد قال: سمعت عليًّا يوم الجمل، يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة، فقلت: والله إني لا أبايع قومًا قتلوا عثمان، وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان لم يدفن بعد فانصرفوا، فلما رجع الناس فسألوني البيعة. قلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه ثم جاءت عزيمة فبايعت، فقالوا: يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى. وأخرج ابن عساكر عن أبي خلدة الحنفي قال: سمعت عليًّا يقول: إن بني أمية يزعمون أني قتلت عثمان، ولا والله الذي لا إله إلا هو ما قتلت، ولا مالأت، ولقد نهيت فعصوني. وأخرج عن سمرة قال: إن الإسلام كان في حصن حصين وإنهم ثلموا في الإسلام ثلمة بقتلهم عثمان، لا تسد إلى يوم القيامة، وإن أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعد فيهم.

الفوائد:

....

....

الوحدة الرابعة

سيرة علي بن أبي طالب ﷺ:

الدرس الخامس عشر

أولًا -نسبه وكناه وبعض صفاته:

●علي بن أبي طالب ﷺ، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، واسمه شيبة بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف، واسمه المغيرة بن قصي، واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة.

وهو: أبو الحسن وأبو تراب، كناه بها النبي ﷺ، وأمه فاطمة بنت أسد ابن هشام، وهي أول هاشمية ولدت هاشميا قد أسلمت وهاجرت.

●علي ﷺ أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة، وصهره على فاطمة، سيدة نساء العالمين رضي الله عنها، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العلماء الربانيين، والشجعان المشهورين، والزهاد المذكورين والخطباء المعروفين، وأحد من جمع القرآن، وعرضه على رسول الله ﷺ، وعرض عليه أبو الأسود الدؤلي وأبو عبد الرحمن السلمي وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وهو أول

خليفة من بني هاشم وأبو السبطين. أسلم قديمًا، بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة: إنه أول من أسلم، ونقل بعضهم الإجماع عليه.

●أخرج أبو يعلى عن علي ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ يوم الاثنين، وأسلمت يوم الثلاثاء. وكان عمره حين أسلم عشر سنين، وقيل: تسع وقيل: ثمان وقيل: دون ذلك. قال الحسن بن زيد بن الحسن:" ولم يعبد الأوثان قط لصغره" أخرجه ابن سعد. ولما هاجر ﷺ إلى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة أيامًا حتى يؤدي عنه أمانة الودائع والوصايا التي كانت عند النبي ﷺ، ثم يلحقه بأهله ففعل ذلك، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد، إلا تبوك، فإن النبي ﷺ استخلفه على المدينة وله في جميع المشاهد آثار مشهورة، وأعطاه النبي ﷺ اللواء في مواطن كثيرة، وقال سعيد بن المسيب:" أصابت عليا يوم أحد ست عشرة ضربة وثبت في الصحيحين أنه ﷺ أعطاه الراية في يوم خيبر وأخبر أن الفتح يكون على يديه". وكان علي شيخًا سمينًا أصلع كثير الشعر ربعة إلى القصر، عظيم البطن، عظيم الحية جدًّا، قد ملأت ما بين منكبيه، بيضاء كأنها قطن آدم شديد الأدمة.

●قال جابر بن عبد الله:" حمل علي الباب على ظهره يوم خيبر، حتى صعد المسلمون عليه، ففتحوها وإنهم جروه بعد ذلك، فلم يحمله إلا أربعون رجلا" أخرجه ابن عساكر. وروى البخاري في الأدب:" عن سهل بن سعد قال: إن كان أحب أسماء علي ﷺ إليه [أبا تراب]، وإن كان ليفرح أن يدعى به، وما سماه أبا تراب إلا النبي ﷺ، وذلك أنه غاضب يوما فاطمة، فخرج فاضطجع إلى الجدار في المسجد، فجاءه النبي ﷺ، و قد امتلأ ظهره ترابًا، فجعل النبي ﷺ يمسح التراب عن ظهره، و يقول: اجلس أبا تراب".

●روي له عن رسول الله ﷺ خمسمائة وستة وثمانون حديثًا. روى عنه بنوه الثلاثة: الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو موسى وأبو سعيد وزيد بن أرقم وجابر بن عبد الله وأبو أمامة وأبو هريرة وخلائق من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

ثانيًا -الأحاديث الواردة في فضله:

●قال الإمام أحمد بن حنبل:" ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما ورد لعلي ﷺ" أخرجه الحاكم.

●أخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص:" أن رسول الله ﷺ خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي". وأخرجا عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر:" لأعطين الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فبات الناس يدوكون

ليلتهم أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يُعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرئ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية". يدوكون: أي يخوضون ويتحدثون.

●أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال:" لما نزلت هذه الآية:(ندع أبناءنا وأبناءكم) دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي". وأخرج مسلم عن علي قال:" والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إليَّ أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق".

ثالثًا -مبايعته بالخلافة:

●قال ابن سعد: بويع عليٌّ بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة، فبايعه جميع من كان بها من الصحابة ﷺ. ويقال: إن طلحة والزبير بايعا كارهين غير طائعين، ثم خرجا إلى مكة وعائشة رضي الله عنها بها، فأخذاها وخرجا بها إلى البصرة يطلبون بدم عثمان، وبلغ ذلك عليًّا، فخرج إلى العراق فلقي بالبصرة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم، وهي وقعة الجمل، وكانت في جمادى الآخر سنة ست وثلاثين وقتل بها طلحة والزبير وغيرهما.

●وأقام علي بالبصرة خمس عشرة ليلة، ثم انصرف إلى الكوفة، ثم خرج عليه معاوية بن أبي سفيان، ومن معه بالشام. فبلغ عليا فسار إليه، فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين، ودام القتال بها أيامًا، فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها، مكيدةً من عمرو بن العاص، فكره الناس الحرب، وتداعوا إلى الصلح وحكَّموا الحكمين، فحكَّم عليٌّ أبا موسى الأشعري، وحكَّم معاوية عمرو بن العاص، وكتبوا بينهم كتابًا على أن يوافوا رأس الحول، بأذرح فينظروا في أمر الأمة، فافترق الناس، ورجع معاوية إلى الشام وعليٌّ إلى الكوفة.

●فخرجت على عليٍّ ﷺ الخوارج من أصحابه، ومن كان معه، وقالوا: لا حكم إلا لله، وعسكروا بحروراء، فبعث إليهم ابن عباس فخاصمهم وحجهم، فرجع منهم قوم كثير، وثبت قوم وساروا إلى النهروان، فعرضوا للسبيل، فسار إليهم عليٌّ فقتلهم بالنهروان، وقتل منهم ذا الثدية، وذلك سنة ثمان وثلاثين.

●واجتمع الناس بأذرح في شعبان من هذه السنة، وحضرها سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة، فقدم عمرو أبا موسى الأشعري مكيدة منه، فتكلم فخلع عليا، وتكلم عمرو بن العاص فأقر معاوية، وبايع له. فتفرق الناس على هذا، وصار علي في خلاف من أصحابه.

●انتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادي، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكير التميمي، فاجتمعوا بمكة، وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة: علي بن أبي طالب

ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، ويريحوا العباد منهم. فقدم ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه من الخوارج، فكاتمهم ما يريدون إلى ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين، ودخل ابن الذباح المؤذن على عليٍّ فقال: الصلاة، فخرج علي من الباب، ينادي: أيها الناس الصلاة الصلاة، فاعترضه ابن ملجم فضربه بالسيف، فأصاب جبهته إلى قرنه، ووصل إلى دماغه، فشد عليه الناس من كل جانب، فأمسك وأوثق وأقام علي الجمعة والسبت، وتوفي ليلة الأحد. وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلا. ثم قطعت أطراف ابن ملجم، وجعل في قوصرة وأحرقوه بالنار، هذا كله كلام ابن سعد.

●وكان لعلي حين قتل ثلاث وستون ستة. وقيل: أربع وستون. وقيل: خمس وستون. وقيل: سبع وخمسون. وقيل: ثمان وخمسون. وكان له تسع عشرة سرية.

الفوائد:

....

....

الدرس السادس عشر

أولًا -نبذ من أخباره وقضاياه:

●أخرج ابن عساكر عن الحسن قال:" لما قدم عليٌّ البصرة، قام إليه ابن الكواء وقيس بن عبادة، فقالا له: ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه تتولى على الأمة تضرب بعضهم ببعض؟ أعهد من رسول الله ﷺ عهده إليك؟ فحدثنا فأنت الموثوق المأمون على ما سمعت. فقال: أما أن يكون عندي عهد من النبي ﷺ في ذلك فلا والله، لئن كنت أول من صدق به، فلا أكون أول من كذب عليه، ولو كان عندي من النبي ﷺ عهد في ذلك ما تركت أخا بني بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره، ولقاتلتهما بيدي، ولو لم أجد إلا بردي هذا. ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلا، ولم يمت فجأة، مكث في مرضه أياما وليالي، يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس، وهو يرى مكاني. ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب، وقال أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر يصلي بالناس، فلما قبض الله نبيه ﷺ، نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله ﷺ لديننا، فبايعنا أبا بكر وكان لذلك أهلا لم يختلف عليه منا اثنان، فأديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده، فلما قبض تولاها عمر، فأخذها بسنة صاحبه، فبايعنا عمر ولم يختلف عليه منا اثنان، فأديت إلى عمر حقه وعرفت له طاعته.. فلما قبض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وسالفتي وفضلي، وأنا أظن أن لا يعدل بي، ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده ذنبا إلا لحقه في قبره، فأخرج منها نفسه وولده، ولو كانت محاباة منه لآثر بها ولده، فبرئ منها إلى رهط من قريش ستة، أنا أحدهم فلما اجتمع الرهط ظننت أن لا يعدلوا بي، فأخذ عبد

الرحمن بن عوف مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا، ثم أخذ بيد عثمان بن عفان وضرب بيده على يده، فبايعنا عثمان فأديت له حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه .. فلما أصيب بايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين فوثب فيها من ليس مثلي، ولا قرابته كقرابتي، ولا علمه كعلمي، ولا سابقته كسابقتي، وكنت أحق بها منه".

●في الطيوريات أنه قال رجل لعلي بن أبي طالب:" نسمعك تقول في الخطبة: اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم؟ فاغرورقت عيناه، فقال: هم حبيباي أبو بكر وعمر، إماما الهدى وشيخا الإسلام، ورجلا قريش، والمقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ، من اقتدى بهما عصم ومن اتبع آثارهما هدي الصراط المستقيم، ومن تمسك بهما فهو من حزب الله".

●أخرج ابن أبي شيبة عن عطاء قال:" أُتي علي برجل، وشهد عليه رجلان أنه سرق، فأخذ في شيء من أمور الناس، وتهدد شهود الزور. وقال: لا أوتى بشاهد زور إلا فعلت به كذا وكذا، ثم طلب الشاهدين، فلم يجدهما فخلى سبيله". وقال عبد الرزاق في المنصف: عن رجل عن علي أنه أتى برجل فقيل له: زعم هذا أنه احتلم بأمي فقال: اذهب فأقمه بالشمس فاضرب ظله.

●أخرج ابن سعد وغيره عن أبي الطفيل قال:" قال علي: سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار وفي سهل أم في جبل".

ثانيًا -نبذ من كلماته الوجيزة:

●قال علي رضي الله عنه:" الحزم سوء الظن. وقال: القريب من قربته المودة وإن بعد نسبه، والبعيد من باعدته العدواة وإن قرب نسبه، ولا شيء أقرب من يد إلى جسد، وإن اليد فسدت قطعت وإذا قطعت حسمت".

●وقال:" خمس خذوهن عني: لا يخافن أحد منكم إلا ذنبه، ولا يرجو إلا ربه، ولا يستحيي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحيي من لا يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم. وإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد: إذا ذهب الصبر الإيمان وإذا ذهبت الرأس ذهب الجسد" أخرجه سعيد بن منصور في سننه.

●وقال:" الفقيه كل فقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره؛ لأنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا فهم معه ولا قراءة لا تدبر فيها".

ثالثًا -ذكر من مات في عهده من الأعلام:

مات في أيام علي من الأعلام موتا وقتلا: حذيفة بن اليمان والزبير بن العوام وطلحة وزيد بن صوحان وسلمان الفارسي وهند بن أبي هالة وأويس القرني وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وسهل بن حنيف وصهيب الرومي ومحمد بن أبي بكر الصديق وتميم الداري وخوات بن جبير وشرحبيل بن

السمط وأبو مسيرة البدري وصفوان بن عسال وعمرو بن عنبسة وهشام بن حكيم وأبو رافع مولى النبي ﷺ وآخرون.

الفوائد:

....

....

الوحدة الخامسة

سيرة الحسن بن علي رضي الله عنه: ٤٠هـ - ٤١ هـ

الدرس السابع عشر

أولًا -نسبه وفضله وحب الرسول ﷺ إياه:

●الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أبو محمد سبط رسول الله ﷺ وريحانته وآخر الخلفاء بنصه.

أخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان قال:" الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة، ما سمت العرب بهما في الجاهلية". ولد الحسن رضي الله عنه في نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة.

●روي له عن النبي ﷺ عدة أحاديث، روت عنه عائشة رضي الله عنها وخلائق من التابعين، منهم: ابنه الحسن، وأبو الحوراء ربيعة بن سنان، والشعبي، وابن سيرين.

● كان شبيها للنبي ﷺ سماه النبي ﷺ الحسن، وعق عنه يوم سابعه، وحلق شعره وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة، وهو خامس أهل الكساء. أخرج البخاري عن أنس قال:" لم يكن أحد أشبه النبي ﷺ من الحسن بن علي.

●أخرج الشيخان عن البراء قال:" رأيت رسول الله ﷺ والحسن على عاتقه، وهو ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة، يقول:" إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين".

●أخرج البخاري " عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: هما ريحانتاي من الدنيا" يعني الحسن والحسين.

●أخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: " الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة".

ثانيًا -خلافته وتنازله عنها:

●ولي الحسن رضي الله عنه الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعته أهل الكوفة، فأقام فيها ستة أشهر وأيامًا، ثم سار إليه معاوية، فأرسل إليه الحسن يبذل له تسليم الأمر إليه على أن تكون له الخلافة من بعده، وعلى أن لا يطالب أحدًا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه، فأجابه معاوية إلى ما طلب فاصطلحا على ذلك، فظهرت المعجزة النبوية في قوله ﷺ:" يصلح الله به بين فئتين من المسلمين". ونزل له عن الخلافة.

●كان نزوله عن الخلافة في سنة إحدى وأربعين في شهر ربيع الأول، وقيل: الآخر وقيل: في جمادى الأولى، فكان أصحابه يقولون له: يا عار المؤمنين! فيقول: العار خير من النار. ثم ارتحل الحسن عن الكوفة إلى المدينة فأقام بها.

●توفي الحسن رضي الله عنه بالمدينة سنة تسع وأربعين، وقيل: في خامس ربيع الأول سنة خمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين، وقيل مات مسمومًا.

الفوائد:

....

....

مقرر مادة القواعد الفقهية

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وبعد:

فإن علم القواعد الفقهية من أعظم علوم الشريعة وأهمها، ولها مكانة كبيرة لا تقل عن مكانة أي علم من علوم الشريعة، وتظهر هذه المكانة فيما تحققه القواعد الفقهية من الفوائد والمنافع لطلاب العلم ولأهل الفتوى والقضاء والحاكم، وبه تتدرب مدارك طلاب العلم، ويفتح لهم بها آفاق المسائل وتشعبات الفروع، وهو الأرض الصلبة التي ينطلقون منها للاستنباط والنظر والاستدلال، مع توقدٍ في ملكة الفهم والاستيعاب لإدراك معاني النصوص وفقهها.

وبين أيديكم مقرر(القواعد الفقهية) للمستوى الثاني – الفصل الثاني، لطلاب منسوبي أكاديمية التأصيل العلمي وطالباته، في شرح سهل، وبيان موجز غير مخل؛ ليكون مفتاحًا للتوسع في دراسة هذا العلم، وطريقًا إلى الكتب المؤلفة في هذا الفن، وقد تم جمع هذه المادة من عدة مراجع أهمها:

- الأشباه والنظائر، للإمام السيوطي.
- الأشباه والنظائر، للشيخ ابن نجيم.
- القواعد الفقهية، للشيخ أحمد الزرقا.
- القواعد الفقهية وتطبيقاتها، للزحيلي.
- المنهاج في علم القواعد الفقهية، للخليفي.
- قاعدة:" الأصل في العبادات المنع"، للجيزاني.
- مجموعة الفوائد البهية – محمد الأسمري
- شرح منظومة القواعد الفقهية للسعدي – حمد الحمد

ونسأل الله تعالى أن يفقهنا في دينه، وأن يرزقنا الإخلاص والعمل.

أهمية القواعد الفقهية

-إن من أهم ما يكون لطالب العلم أن يعرف القواعد و الأصول؛ لأنها هي التي تجمع له العلم، ويحصل على خير كثير، ولهذا يُقال: "من حُرِمَ الأصول حُرِمَ الوصول"، فهي تنمِّي مواهب طلاب العلم و تجمع لهم شوارد العلم.

-معرفة القواعد والأصول والضوابط الكليّة الجامعة يُعدُّ من أعظم العلوم وأجلِّها نفعاً وأكثرها فائدةً، لأن الأصول والقواعد للعلوم بمنزلة الأساس للبنيان والأصول للأشجار لا ثبات لها إلاّ بها،

والأصول تبنى عليها الفروع، والفروع تثبت وتتقوّى بالأصول، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى وينمي نماءً مطّرداً.

-ويعد من محاسن الشريعة وكمالها وجمالها وجلالها: أنَّ أحكامَها الأصوليَّة والفرعية والعبادات والمعاملات وأمورها كلّها لها أصولٌ وقواعدُ تَضبِطُ أحكامَها وتَجمعُ مُتفرِّقَها وتَنشر فروعَها وتَردُّها إلى أصولها.

-القواعد بمثابة وضع النقاط على الحروف، وفيها تجليةٌ للأُمور، إذا ضُبطت القاعدةُ وفُهم الأصلُ أمكن الإلمام بكثيرٍ من المسائل التي هي بمثابة الفرع لهذه القاعدة، وأُمن الخلطُ بين المسائل التي قد تشتبه، وكان فيها تسهيلٌ لفهم العلم وحفظه وضبطه، وبها يكون الكلام مبنياً على علمٍ متينٍ وعدلٍ وإنصافٍ.

-لا تكاد تجد فناً من الفنون إلاّ وله قواعدُ كثيرةٌ وضوابطُ عديدةٌ تَجمع مُتَفرِّقَه، وتُزيل مشتَبهَه، وتُنير معالمَه، وتُيسِّر فهمَه وحِفظَه وضبطَه ويحصل بها من النفع والفائدة على اختصارها ما لا يحصل في الكلام الطويل، ومنها القواعد الفقهية التي تضبط الفقه.

مدخل

●تعريفات:

القواعد لغة: جمع قاعدة، و هي الأساس الذي يبنى عليه الشيء، فقاعدة البيت أي: أساسه من إسمنت وحديد يوضع في جوف الأرض، قال تعالى:{ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا} [البقرة: ١٢٧].

والقواعد الفقهية في الاصطلاح: هي حكم شرعي كلي تندرج تحته مسائل كثيرة في أبواب متفرقة، كقولهم: الأمور بمقاصدها أو الأعمال بالنيات، فتجد مسألة في الطهارة تندرج في هذه القاعدة، فيشترط للوضوء النية، وتجد مسألة كذلك في الزكاة، وتجد مسألة في الصلاة.

●الفرق بين القواعد الأصولية والقواعد الفقهية:

-القواعد الأصولية شاملة وعامة لجميع أحكام الشريعة، أما القواعد الفقهية فهي خاصة بالفقه فقط.

-القواعد الأصولية عامة كلية تشمل جميع ما يدخل تحتها من فروع، بينما القواعد الفقهية تتناول أغلب الفروع الداخلة تحتها.

●الفرق بين القاعدة الفقهية والضابط الفقهي: فالقاعدة الفقهية لها صور في أغلب أبواب الفقه، كقولك:" لا عمل إلا بنية" فهي تأتي في الطهارة والنكاح والجنايات والحدود والقصاص ونحو

ذلك. أما الضابط الفقهي فإنه يتعلق في باب واحد من أبواب الفقه، كالضابط في قولهم:" ما صح في الفريضة صح في النافلة" هذه في الصلاة فقط.

●**فوائد القواعد الفقهية:**

- تغني طالب العلم عن الكثير من التتبع، قال القرافي:" من ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات لاندراجها في الكليات".

-تربي في طالب العلم ملكة الفهم والاستنباط والنظر والاجتهاد في الفروع الفقهية، وذلك بضم المسألة إلى مثيلاتها ونظيراتها وما يشابهها.

- دراسة القواعد الفقهية تعين القضاة والمفتين والحكام عند البحث عن حلول للمسائل المعروضة والنوازل الطارئة بأيسر سبيل وأقرب طريق.

●**مصادر القواعد الفقهية:**

أ -قد تؤخذ القاعدة من النص ك (قاعدة الأمور بمقاصدها) فإنها تؤخذ من قول النبي عليه الصلاة والسلام: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى) متفق عليه. وكقاعدة (لا ضرر ولا ضرار) مأخوذة من قوله عليه الصلاة والسلام:" لا ضرر ولا ضرار" رواه أحمد وابن ماجه.

ب -و قد تؤخذ القاعدة من الإجماع كقاعدة: لا اجتهاد مع النص.

ت - وقد تؤخذ القاعدة بالاستنباط، كقاعدة "الأصل في الأشياء الإباحة" فهذه القاعدة لم يرد فيها نص صراحة ولا دل عليها بالمعنى ولكنها مأخوذة بطريقة الاستنباط. من قوله تعالى:{ قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً} [الأنعام: ١٤٥].

●**هل القاعدة الفقهية دليل يستنبط منها حكم شرعي؟**

الجواب: لا يسوغ اعتبار القواعد الفقهية أدلة شرعية لاستنباط الأحكام؛ لسببين:

-أن هذه القواعد ثمرة للفروع المختلفة وجامع ورابط لها وليس من المعقول أن يُجعل ما هو ثمرة وجامع دليلاً لاستنباط أحكام الفروع.

-أن معظم هذه القواعد لا تخلو من المستثنيات، فقد تكون المسألة المبحوث عن حكمها من المسائل والفروع المستثناة.

ولكنها تعتبر شواهد مصاحبة للأدلة يُستأنس بها في تخريج الأحكام للوقائع الجديدة قياسًا على المسائل الفقهية المدونة.

- **القواعد الفقهية الكلية**

هناك خمس قواعد كلية تندرج تحتها مسائل كثيرة جداً، تسمى بالقواعد الكلية الكبرى، وإننا في هذا المقرر نركز على هذه "القواعد الخمس" التي يدور عليها معظم أحكام الفقه، وقد نظمها بعض فقهاء الشافعية، فقال:

خمس مقررةٌ، قواعدُ مذهبٍ للشافعيِّ، فكنْ بهنَّ خبيرا
ضررٌ يُزالُ، وعادة قد حكِّمت وكذا المشقةُ تجلبُ التيسيرا
والشكُّ لا ترفعْ به متيقَّنًا والنيةُ أخلصْ، إن أردتَ أجورا

القاعدة الأولى: قاعدة الأمور بمقاصدها، أو: الأعمال بالنيات.

القاعدة الثانية: اليقين لا يزول بالشك.

القاعدة الثالثة: لا ضرر ولا ضرار.

القاعدة الرابعة: المشقة تجلب التيسير.

القاعدة الخامسة: العادة محكمة.

هذه تسمى بالقواعد الكلية الكبرى، وتندرج فيها مسائل كثيرة ، وقواعد فرعية سوف نذكر بعضها، كما سيأتي بيانه في هذا المقرر.

القاعدة الأولى: الأمور بمقاصدها (إنما الأعمال بالنيات)

- **تعريف القاعدة:**

المقاصد: جمع مقصد، ومعناه الإرادة والنية.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

١ -المراد بـ(قاعدة الأمور بمقاصدها) ويطلق عليها أيضا قاعدة:(إنما الأعمال بالنيات)، أي أن النية شرط لصحة سائر الأعمال، فصلاح العمل وفساده مبني على النية، فإن كانت النية صالحة صلح العمل وإن كانت فاسدة فسد العمل، فالعبرة بالقصد والنية عند القيام بأي عمل يُراد منه الأجر من الله تعالى، بدليل قوله عليه الصلاة والسلام:" إنما الأعمال بالنيات" متفق عليه.

- **أمثلة تطبيقية للقاعدة:**

- أخذُ اللقطة – وهي" إذا وجد الفرد في الطريق أو في ملكه، دراهم أو متاع آخر سقط من بعض الزوار أو من بعض الناس في الطريق فهذا يعتبر لقطة) فإن أخذها بقصد حفظها وردها إلى أصحابها جائز، وأما إذا أخذها بقصد الاستيلاء عليها وتملكها وعدم ردها فلا يجوز، بل يكون الآخذ غاصباً آثمًا.

- أيضا من الأمثلة: من أمسك عن المفطرات ولم يتناول شيئاً سواء من المأكولات أو المشروبات أو غيرهما من المفطرات الأخرى طوال اليوم لمجرد العادة أو انشغل عنها ولم ينو القربة والتعبد لله تعالى؛ لم يكن صائمًا؛ لعدم وجود القصد والنية.

-أيضا من الأمثلة: لو أن شخصاً دار حول الكعبة يبحث ويلتمس شيئًا سقط منه، فلا يكون هذا طوافاً ينال منه الأجر؛ لعدم وجود النية ولم يكن يقصد بهذا الدوران حول الكعبة الطواف والتعبد لله تعالى.

الفوائد:

....

....

....

....

....

القواعد المتفرعة عن هذه القاعدة:

أ-قاعدة:" العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني لا بمجرد الألفاظ والمباني".

- **تعريف القاعدة:**

-العبرة: تعني الأصل، أو الصلاح أو الصحة، أو البطلان، أو الفساد.

-المقاصد: جمع مقصد، ومعناه الإرادة والنية

-الألفاظ : جمع لفظ، وهو كل ما نطق به اللسان.

-المباني: جمع بناء، وهو كلمة إلى كلمة حتى تكون جملة، مفيدة، يستفاد منها حكم معين.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

أي أن عند حصول العقد بين المتعاقدين لا ينظر للألفاظ التي يستعملها العاقدان، وإنما ينظر إلى مقاصدهم الحقيقية من الكلام الذي يلفظ به حين العقد، لأن المقصود الحقيقي هو المعنى ، وليس اللفظ ولا الصيغة المستعملة ، لأن الألفاظ ما هي إلا قوالب للمعاني ، فإذا أبرَم امرؤ عقداً مع آخر فصحته أو آثاره الشرعية المترتبة على العقد تكون بالمقصود وبما يريده العاقد وبالبواطن لا بالظواهر .

- **أمثلة تطبيقية على هذه القاعدة:**

-لو قال شخص لآخر: وهبتك هذه هذا الجوال أو هذا الكمبيوتر بمائة ريال، فيكون هذا العقد بيعاً لا هبةً على الرغم من استعمال كلمة الهبة، لأن الهبة بدون مقابل، وهنا يوجد مقابل لهذه الأجهزة وهي(مائة ريال).

-ولو قال شخص لآخر: قد أعرتك هذا السيارة لتركبها إلى المكان الفلاني بعشرة ريال، فالعقد يكون إيجاراً لا إعارة على الرغم من استعمال كلمة الإعارة في العقد؛ لأن الإعارة هي تمليك منفعة بلا مقابل وهنا يوجد مقابل وهو (عشرة ريال).

-لو اشترى شخص كتبًا، وقال للبائع: خذ هذه الساعة أمانة عندك حتى أحضر لك الثمن؛ فالساعة لا تكون أمانة، بل هي رهن، وله أن يبقيها حتى يستوفي ثمنها؛ لأنه لا عبرة في العقود للألفاظ، بل للمعاني المقصودة بها.

والمقصود بيانه هنا: هو أن اللفظ عندما غاير المقصود قلنا: إن العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني، وليست بالألفاظ والمباني.

ب-قاعدة:" النية تخصص العام، وتعمم الخاص ."

- **تعريف القاعدة:**

-العام: كل لفظ ينتظم تحته جمعٌ من الأفراد، وليس لشيء معلوم ومحدد.

-الخاص: لفظ وضع لمعنًى معلوم على الانفراد أو لشيء معين ومحدد.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

أي أن النية تخصص اللفظ العام، فإذا أطلق إنسان لفظاً عاماً وقال: قصدت فرداً معيناً انصرف إليه، وتجعل النيةُ اللفظَ الخاصَ عاماً؛ فإذا تلفظ شخص بلفظ خاص ونوى به العام أو إطلاقه عاماً انصرف اللفظ إليه، كمن تكلم بطلاق أو يمين بلفظ عام، ويقصد بقلبه البعض وليس الكل، كأن يقول: نسائي طوالق، وينوي استثناء واحدة منهن. أو يقول لزوجته: أنت طالق، وهو ينوي أنها طالق إن خرجت من داره. وهذا مقبول ديانة بينه وبين الله تعالى، ولكن من جهة القضاء والحكم غير مقبول عند أكثر الفقهاء.

- **أمثلة تطبيقية على هذه القاعدة:**

- مثال الأول(النية تخصص العام): أن يقول شخص: والله لا أكلم أحداً، وينوي ويقصد بهذا الكلام (أحمد) وليس غيره فلا يحنث ولا يعد مخالفاً لليمين.

-مثال الثاني (وتعمم الخاص): أن يمر عليه رجل بماء شرب منه؛ فيقول: والله لا أشرب منه ماء من عطش ، فإن اليمين تنعقد على الماء من عطش خاصة، ولا يحنث ولا يعد مخالفاً لليمين إذا أخذ منه الطعام والثياب.

ت-قاعدة:" الأيمان مبنية على الأغراض لا على الألفاظ."

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

العبرة بالحلف واليمين بنية الحالف ومقصده سواء وافق ظاهر اللفظ أم لا ، وليس بظاهر اللفظ.

- **أمثلة تطبيقية على هذه القاعدة:**

-لو اغتاظ من إنسان فحلف أن لا يشتري له شيئًا بريال، فاشترى له بعشرة، لم يحنث ولا يعد مخالفاً لليمين.

- لو حلف أن لا يبيعه بعشرة، فباعه بأحد عشر أو بتسعة، لم يحنث؛ لأن بناء اليمين على اللفظ لا على الغرض إن أمكن استعمال اللفظ، وإلا فتعتبر النية.

ث- قاعدة: "لا ثواب ولا عقاب إلا بنية".

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

جميع العبادات والأعمال التي يراد فيها الثواب فلابد فيها من نية، فمن أراد حصول الأجر له فلابد له من نية، وكذلك جزاء المرء في الآخرة ثوابًا أو عقابًا مترتب على نيته؛ لحديث:(إنما الأعمال بالنيات). وقول الله تعالى في المؤمنين المخلصين:(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [النحل: ٣٢]، وقال جل جلاله في الكفرة:(وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا) [الفرقان: ٢٣]، وإن عمل في دنياه عمل صالحاً أثابه الله على ذلك قال تعالى:(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [النحل: ٩٧]، وإن عمل ما يستحق عليه العقاب جوزي بما يستحق من حد أو تعزيز أو ضمان.

- **أمثلة تطبيقية على هذه القاعدة:**

- فالأعمال التي يثاب فاعلها بالنية: هي جميع العبادات والقربات مثل الصلاة والصيام والذكر والصدقة وغيرها... وكذلك الشيء المباح إذا فعله الشخص وقصد به الأجر فإنه يؤجر كمن يعمل ويتكسب ليعف نفسه عن أكل الحرام أو يطعم أهله وأولاده.

- الأعمال التي لا يستحق صاحبها العقاب إلا بالنية مثل:

لو أن شخصاً رمى ما يظنه صيداً أو رمي هدفاً؛ فأصاب آدمياً معصوماً ولم يقصده بالقتل فقتله، فنقول هنا ليس عليه قصاص، لأنه لا يقصد ولا ينوي قتل المعصوم.

ومثاله أيضاً: لو أن شخصاً صدم إنساناً بسيارته وكان مسرعاً فمات ، فليس عليه قصاص لأنه لم يتعمد صدام ذلك الشخص.

الفوائد:

....

....

....

....

....

ج- قاعدة: "الوسائل تُعطى أحكام المقاصد".

- **تعريف القاعدة:**

-المراد بالوسيلة: هي الطريقة التي تتوصل بها إلى الشيء المراد.

-والمقاصد: هي منْزِلة المكان الذي تصل إليه.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

أي أن الوسيلة إلى الشيء والطريقة إليه تأخذ حكم المقصد، فهي بمنْزِلة وسيلة النقل لها نفس الحكم، لأن الوسائل لها أحكام المقاصد، فإذا كان المقصد سيئاً فإن الوسيلة تكون ممنوعة، وإذا كان المقصد حسناً فلا يجوز أن يتوصل إليه إلا بوسائل مباحة؛ فالذي يوصل إلى الحرام يكون حراماً.

- **أمثلة تطبيقية على هذه القاعدة:**

- الخروج إلى صلاة الجماعة، فصلاة الجماعة واجبة على الرجال القادرين، ولما كان هذا الواجب لا يتحقق إلا بالسعي إليه، فإن سعيه يأخذ حكم المقصد، وهي الصلاة جماعة، وعلى هذا سعيه إلى المسجد يكون واجبًا، وهو من جهة أخرى مأجور عليه؛ لأنه وسيلة إلى تحصيل مقصود شرعي، وهذا هو معنى قولهم:" ما لا يتم الواجب به فهو واجب" مع أن المشي في الأصل مباح.

-بيع العنب مباح في الأصل لكن عندما يعلم أن المشتري إنما يريده ليعصره خمراً فإن بيعه له يحرم.

- بيع السلاح فإنه مباح في الأصل، ولكن لا يجوز أن يباع لمن يستخدمه في قطع الطريق وقتل الأبرياء وهكذا....قال الله تعالى: و(َتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) [سورة المائدة: ٢].

الفوائد:

....

....

....

....

....

د. قاعدة "من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه"

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

من يتوصل بالوسائل غير المشروعة ليحصل على مراده؛ فإن الشرع عامله بضد ونقيض مقصوده؛ فأوجب حرمانه جزاء فعله واستعجاله .

- **أمثلة تطبيقية على هذه القاعدة:**

-قال عليه الصلاة والسلام: (من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة)، كما جاء هذا في الصحيح.

-وقال عليه الصلاة والسلام في سنن الترمذي: (لا يرث القاتل شيئاً)، فالقاتل لا يرث من المقتول؛ لأنه تعجل في الحصول على الإرث بالقتل فعوقب بحرمانه، سواء كان القاتل متعمداً أو مخطئاً سداً للذريعة .

-ولو طلق الرجل امرأته طلاقاً بائناً لا رجعة فيه في مرض موته، فإنها ترث لأنه أراد بهذا الطلاق حرمانها من الإرث.

هـ قاعدة"من أدى عن غيره واجباً له الرجوع عليه"

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

من أدى عن أخيه واجباً من الواجبات مما تصح فيه النيابة كالديون والنفقات؛ فله الرجوع ومطالبة أخيه الذي دفع عنه؛ إن نوى عند الأداء والدفع أن يرجع ويطالب أخاه، وإن نوى التبرع والصدقة فليس له حق المطالبة وأجره على الله تعالى.

- **أمثلة تطبيقية على هذه القاعدة:**

– إذا غاب جارك أو غاب صاحبك فأنفقت على أهله بنية المطالبة منه إذا رجع، ولم تنوِ التبرع، فلك المطالبة لأنك محسن، والله جل وعلا يقول: {مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة:٩١].

– وإذا قضيت ديناً عن أحد، كما لو حل أجل الدين وأتى الدائن يسأل عن أخيك فقضيته حقه وأنت تنوي أن ترجع على أخيك بحقك؛ فلك أن ترجع لأنك محسن، وما على المحسنين من سبيل.

-وأما إذا نويت التبرع فليس لك الرجوع، مثل بعض الناس؛ حيث ينفق على أهل قريبه أو صديقه، يريد أن يتبرع بذلك تقرباً إلى الله جل وعلا أو صدقة أو هدية، ثم إنه يحصل بينه وبين هذا الرجل في المستقبل اختلاف فيطالبه بما أنفق! نقول: ليس لك الرجوع لأنك نويت التبرع.

إذاً: من أدى عن غيره واجباً فله حق الرجوع والمطالبة إن نوى الرجوع عند الأداء، وإن لم ينوِ الرجوع فلا رجوع له وليس له حق المطالبة.

الفوائد:

....

....

....

....

....

القاعدة الثانية: لا ضرر ولا ضرار

- **تعريف القاعدة:**

– الضر: ضد النفع؛ أي: لا يضر الرجل أخاه فينقصه شيئًا من حقه.

-الضرار: فعال من الضر؛ أي: لا يجازيه على إضراره بإدخال الضرر عليه.

وبعضهم قال إن: الضرر: الذي لك فيه منفعة، وعلى جارك فيه مضرة، والضرار: ما ليس لك فيه منفعة، وعلى جارك فيه مضرَّة.

وفي قول آخر:

أن الضرر يحصل بلا قصد، والضرار يحصل بقصد.

وجميع هذه التعريفات تصب في نفس المعنى والمقصد من عدم إلحاق الضرر بالنفس وبالآخرين.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

الشريعة الإسلامية حرمت الضرر والإفساد بالنفس أو بالغير، ومنعت من إيجاد الضرر وأمرت برفعه إن وجد وإزالته، فليس مطلوباً أن يضر الإنسان بنفسه ، ولا يجوز له ولا يُسمح له أن يضرّ غيره، فالضر منهي شرعًا، فلا يحل لمسلم أن يضر أخاه المسلم بقول أو فعل أو سبب بغير حق، وسواء أكان له في ذلك نوع منفعة أم لا، وهذا عام في كل حال على كل أحد، وخصوصًا من له حق متأكد، فليس له أن يضر بجاره، ولا أن يحدث بملكه ما يضره، وكذلك لا يحل أن يجعل في طرق المسلمين وأسواقهم ما يضر بهم من أخشاب وأحجار أو حفر أو نحو ذلك، إلا ما كان فيه نفعٌ ومصلحة لهم، ودليل ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:" لا ضرر ولا ضرار" رواه أحمد وابن ماجه في سننه. وهذا دليل عام يشمل جميع أنواع الضرر.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

- إنسان عنده شجرة في بيته يسقيها فانتشرت الرطوبة إلى بيت جاره بدون قصد، هذا نقول فيه: ضرر، وإنسان آخر غرس شجرة وصار يسقيها من أجل أن ينتشر الماء والرطوبة إلى بيت جاره فيتأذى به، هذا ضرار، وكلاهما منهي شرعاً، فالضرر يزال وإن لم يقصد، والمضارة تزال وعليه إثم القصد.

-ومن الأمثلة: رجل طلق امرأته ولها أولاد منه، فحضانتهم للأم إلا إذا تزوجت، والمرأة تريد أن تتزوج ولكن تخشى إذا تزوجت أن يأخذ أولاده، فتجده يهددها ويقول: إن تزوجتي أخذت منك الأولاد، وهو ليس له رغبة في الأولاد ولا يريدهم، ولو أخذهم لأضاعهم لكن قصده المضارة بالمرأة بأن لا تتزوج، فهذا لا شك أنه حرام وعدوان عليها.

- وكذلك : منعُ الشخص من إحداث شيء في طريق الناس يضر بهم، مثل حفر حفرة في الشارع، أو وضع حديد أو تراب في طريق الناس.

القواعد التي تتفرع عن هذه القاعدة:

أ-قاعدة:" درء المفاسد مقدم على جلب المصالح".

- **تعريف القاعدة:**

-المصلحة : هي المنفعة، وتعني المحافظة على مقصود الشرع من العباد بحفظ دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، وما يكون في فعله منفعة لهم.

-والمفسدة : هي مقابل المصلحة، وتعني الفعل الذي يحصل به الفساد والضرر، وتُذهبُ عن العباد دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، وما ليس في تركه منفعة.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

تدل القاعدة على أن المفاسد متى ما كانت أكبر من المصالح فإن الواجب دفعها قدر الإمكان، ولا ينظر في تحقيق المصلحة لكونها مغمورة في المفسدة، أما إذا كانت المصلحة أعظم من المفسدة فالقول الراجح هو الإتيان بتلك المصلحة لكون المفسدة مغمورة في تلك المصلحة، وبهذا، فالمعنى أن كل ما يحقق للفرد والجماعة مقاصد لا غنى لهما عنها وتحفظ لهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، وتبعد عنهم مفاسد ومضار تفوّت عليهم هذه الأصول الخمسة، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول فهو مصلحة، وكل ما يفوّت ويضر هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة، لأن الشريعة الإسلامية مبنية على جلب المصالح، وعلى درء المفاسد، فهي تجلب المصالح وتكثرها، وتدرأ المفاسد أو تقللها، ومن الأدلة التي يستدل بها على القاعدة قول الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ }[البقرة:٢١٩]، ووجه الدلالة من الآية: أن الخمر حرمت في الشريعة وإن كان فيها بعض المنافع؛ لكون مضارها أعظم من المصالح الموجودة فيها.

ومن أدلتها أيضاً: قوله تعالى (ولا تَسُبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ من دوُنِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدَواً بِغَيْرِ عِلْمٍ). سورة الأنعام، آية (١٠٨). ووجه الدلالة من الآية: أن في سب آلهة الكفار مصلحة وهي تحقير دينهم وإهانتهم لشركهم بالله سبحانه، ولكن لما تضمن ذلك مفسدة وهي مقابلتهم السب بسب الله عز وجل نهى الله سبحانه وتعالى عن سبهم درءاً لهذه المفسدة.

- **والمصالح على ثلاثة أنواع:**

النوع الأول من المصالح: حفظ الضرورات الخمس وهي:

الأولى: مصلحة حفظ الدين.

والثانية: مصلحة حفظ النفس.

والثالثة: مصلحة حفظ العقل.

والرابعة: مصلحة حفظ المال.

والخامسة: مصلحة حفظ العرض والنسل.

-فأولى هذه الضرورات ضرورة حفظ الدين: وقد شرع الله الشرائع، وبين للخلق العقائد، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ لحفظ الدين، وشرع الله جل وعلا الجهاد وكذلك قتل الزنديق، وتعزير الداعية إلى البدعة بالقتل أو ما هو دونه؛ كل ذلك من أجل حفظ ضرورة الدين.

-الثانية: ضرورة حفظ النفس: فشرع الله القصاص لحفظ النفوس من أن يُعتدى عليها، وكذلك فيما يتعلق بالقصاص في الأطراف وفي الجراح، فهذا كله لأجل ضرورة حفظ النفس.

-والثالثة: ضرورة حفظ المال: وقد شرع الله جل وعلا حد السرقة، وحرم الاعتداء على الأموال، وجعل أموال المسلمين حراماً، فلا يحل لمسلم أن يأخذ مال أخيه بغير حق، هذا من أجل هذه الضرورة، وهي ضرورة حفظ المال.

-وأما الضرورة الرابعة: فهي ضرورة حفظ العرض والنسل: فحرم الله الزنا، وشرع حده من رجم أو جلد، وكذلك حرم القذف، وحرم الاعتداء على الأعراض بكل شكل؛ هذا كله من أجل حفظ ضرورة العرض والنسل.

-وأما الضرورة الخامسة: فهي ضرورة حفظ العقل: فحرم الله شرب الخمر، وشرع حده من أجل حفظ هذه الضرورة.

إذاً هذه هي الضرورات الخمس التي إذا لم تراعَ ترتب على ذلك فساد وخلل في أمر الدين والدنيا، وهذه هي أعلى المصالح.

- **النوع الثاني من المصالح: حفظ الحاجيات:**

والحاجيات: هي التي إذا لم تُراع لَحِقِ بالناس حرجٌ من عدم مراعاتها، كالإجارة والمساقاة والمزارعة والهبات ونحو ذلك؛ فهذه يحتاج إليها الناس، فلو أن الشارع حرم الإجارة والهبات مثلاً لترتب على ذلك حرج.

- **النوع الثالث من المصالح: الأخذ بمحاسن العادات وتمسى(التحسينات).**

والتحسينات: يعني: الأخذ بمحاسن العادات والأخلاق، فمنها ما يكون واجباً ومنها ما يكون مستحباً، وشرع الله جل وعلا شرائع لهذه المصالح.

و من هذه المصالح: أنه يقبح أن تتولى المرأة نكاح نفسها، فلما كان الأمر كذلك شرع الله أن يكون لها ولي.

-وايضاً شرع النظر للمرأة المخطوبة، ويُختار لها الكفء المناسب.

-ومن ذلك أيضاً: أمور الفطرة كإعفاء اللحية وقص الشارب.

وكذلك أيضاً من التحسينات الأمر بإزالة النجاسة من الثوب والبقعة، هذه من التحسينات وهي شرط في الصلاة لا تصح الصلاة إلا بثوب طاهر وبقعة طاهرة وبدن طاهر.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-قوله تعالى: { وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} فحرم الله تعالى سب آلهة المشركين المجرد مع كون السب لها غيظًا وحمية لله تعالى وإهانة لآلهتهم فيه مصلحة، لكن سد هذا الباب؛ إذا كان يفضي إلى مفسدة أعظم، وهي سب الله تعالى، فسدَّ جل وعلا هذا الباب درءًا لمفسدةٍ أعظم من المصلحة المترتبة على فتحه.

-ومن الأمثلة: إذا كان اجتماع فلان من الناس بزيد أو بعمرو يترتب عليه شر فيترك هذا الاجتماع الذي يُخشى منه شرٌ، وإن كان يرجوا فيه مصلحة بأن يعطيه فلوساً أو يدعوا له أو ما أشبه ذلك؛ ولكن يترتب عليه سوء ظن، وأن هذا الرجل الذي يود أن يجتمع به مشهور بالشر أو بشرب المسكر أو بتعاطي ما حرم الله فيبتعد عما يظن به السوء من أجله.

-ومن الأمثلة: إذا كان ذهاب فلان من الناس إلى حارة من الحارات يجر شراً فيبتعد، ولو كان فيها مصلحة أنه يزور مريضاً أو يتصدق على أحد ما دام دخول هذه الحارة ظاهرها يتهم بالشر والفساد، فدرء المفسدة هنا مقدمة على المصلحة، وهكذا ما أشبه ذلك..

الفوائد:

....

....

....

....

....

ب-قاعدة:" إذا تزاحمت المصالح قدمت الأعلى".

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

إذا تزاحمت عندنا المصالح فإنا نقدم الأعلى منها، عندنا مصلحة ومصلحة وتعارضتا عند هذا المكلف، فإما أن يفعل هذه المصلحة وإما أن يفعل المصلحة الأخرى، فيقدم الأعلى منهما.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-إذا أتيت إلى المسجد وقد أقيمت صلاة الصبح فهل تشرع بنافلة الصبح القبلية أو تصلي الصبح؟ نقول: تصلي الفريضة مع الإمام؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال كما في صحيح مسلم: (إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة) إذاً:فنقدم الفريضة على النافلة.

- ومن الأمثلة : إذا كانت العبادة ذات نفع متعد ويستفيد منها الآخرون كالعلم، وعارضتها عبادة ذات نفع لازم وقاصر على الفرد نفسه كصيام التطوع؛ فإنا نقدم العبادة ذات النفع المتعدي للغير والأكثر فائدة وهي العلم على الصيام، إذا كان صيام العبد يصعب معه نشر العلم وتعليم الناس؛ إذاً: نقدم الأعلى من المصالح.

ت- قاعدة "إذا تزاحمت المفاسد ارتكبت الأدنى".

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

إذا دار الأمرُ بين ضررين أحدهما أشد من الآخر فيتحمل الأخف ولا يرتكب الأشد، فإذا اجتمع محرمان ولا يمكن ترك أعظمهما إلا بفعل أدناهما، لم يكن فعل الأدنى في هذه الحال محرماً في الحقيقة، فهنا تعارضت المفاسد وتزاحمت فإنا نرتكب الأدنى والأصغر منها لتجنب الأعلى والأكثر فساداً.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

- جواز شق بطن الأم الميتة لإخراج الجنين الذي تُرجى حياته، فترتكب مفسدة شق بطن الميت، لدفع مفسدة أكبر وهي موت الجنين.

-وكذا جواز دفع المال للعدو المحارب لاستنقاذ أسرى المسلمين؛ إذا كان لا يمكن استنقاذهم إلا بذلك، فاحتملت مفسدة دفع المال للمحارب، دفعًا لمفسدة أكبر منها وهي بقاء المسلمين أسارى في يده.

- حديث بول الأعرابي كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال:" بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه مه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزرموه ، دعوه . فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له : إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن . فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه ". في هذ الحديث نهى النبي عليه الصلاة والسلام الصحابة عن زجر الأعرابي؛ وذلك لتعارض مفسدتين، الأولى: البول في المسجد فينجس، والمفسدة الثانية: أن يحبس بوله فيتضرر، يعني: يلحق بدنه الضرر، وكذلك أيضاً قد ينتشر هذا في المسجد لأنه يقوم وتنتقل النجاسة إلى مواضع أخرى من المسجد.

فنهاهم النبي عليه الصلاة والسلام من باب الوقوع في المفسدة الصغرى، فإذا تعارضت عندنا مفسدتان قدمنا المفسدة الصغرى في الوقوع، فنقع في المفسدة الصغرى ونجتنب المفسدة الكبرى.

-ومن ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها: (لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم)، متفق عليه.

فهنا عندنا مفسدة، وهي بقاء الكعبة فيها نقص من الجهة التي فيها حجر إسماعيل، فإن قريشاً قصرت بهم النفقة فقصروا البناء من جهة حجر إسماعيل، فالنبي عليه الصلاة والسلام أراد أن يهدم الكعبة ويبنيها على قواعد إبراهيم كاملة؛ لكنه خشي مفسدة أعظم، وهي أن يرتد الناس عن الإسلام لأنهم كانوا حديثي عهد بكفر.

-ومن الصور : القول بالتحالف مع بعض أصحاب البدع أو المناهج الدعوية التي تحمل بعض المخالفات في سبيل مواجهة العدو الجاثم في البلاد أو المهاجم لها، مع استمرار النصح والتعليم، شريطة أن لا يصل أمر هؤلاء -أعني الذين نحالفهم - إلى الكفر كالإسماعيلية ومن كان على شاكلتهم من الروافض والعلمانيين.

ث-قاعدة:" الضرر لا يزال بمثله أو أعلى منه".

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

الضرر مهما كان واجب الإزالة فلا يجوز إزالته بإحداث ضرر مثله، ولا بضرر أكثر منه، لأن هذا ليس إزالة؛ فالشرط أن يزال الضرر بلا إضرار بالغير، فإن أمكن وإلا فبأخف منه.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

- لو أن إنساناً محتاج إلى دفع الهلاك عن نفسه من الجوع فلا يجوز أخذ طعام أو مال إنسان محتاج مثله.

- وأيضا: لا يجوز لمن أُكره على القتل أن يقتل آخر إذا كان المراد قتله مسلماً بغير وجه حق.

- لو أن شخصًا فتح دكاناً في سوق، وجلب أكثر المشترين إلى جانبه بصورة أوجبت الكساد والركود على باقي التجار، فلا يحق للتجار أن يطالبوا بمنع ذلك التاجر عن المتاجرة؛ لأنه يضرهم؛ فإن هذا المنع يضر صاحب الدكان أيضاً؛ فلا يُزال الضرر بالضرر.

ج-قاعدة:" الضرر يُدفع قدر الإمكان".

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

الضرر يدفع شرعاً، فإن أمكن دفعه بدون ضرر أصلاً وإلا فيتوسل لدفعه بالقدر الممكن، فيتم دفع الضرر قبل وقوعه بكل الوسائل والإمكانيات المتاحة، من باب الوقاية خير من العلاج .

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

- دفع انتشار الأمراض بقدر الاستطاعة، وذلك بتعميم الإجراءات الوقائية لدفع الإصابة بالأمراض المختلفة ، وبالحجر الصحي على المرضى والحاملين للمرض، وإذا وقع الضرر فإنه يدفع ما أمكن، وذلك بقدر الاستطاعة؛ لأن اللهَ لم يكلِّف نفسًا إلا بما في وسعها.

- أمر الشرع بوجوب ستر جميع العورة؛ وإذا لم يُمكن ذلك فيتم ستر العورة المغلظة، دفعًا للمفسدة قدر الإمكان.

- ومن الأمثلة أن الله تعالى شرع الجهاد لدفع شر الأعداء وحماية بيضة المسلمين.

- وكذلك لو دخل سارق فإن يتم دفعه بقدر الإمكان، فإن كان ممَّن يُدفَعُ بالعصا فلا يدفع بالسلاح والقتل .

د-قاعدة:" عدم الضمان في دفع الصائل " ".

- **تعريف القاعدة:**

-الضمان : هو التزام المكلف بأداء ودفع ما وجب على غيره من الحقوق المالية.

-الصائل: هو المعتدي على نفس الغير أو عرضه أو ماله، مثل قطاع الطريق، واللصوص الذين يتربصون بالناس لأخذ أموالهم أو إلحاق الضرر بهم وغيرهم...

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

يجوز للمعتدى عليه أو المصول عليه ضرورةً رد هذا الاعتداء؛ حتى ولو أدى ذلك إلى قتل الصائل والمعتدي، وليس عليه تحمل تبعات ذلك القتل ولا ضمان؛ لأن هذا واجب الإنسان في حماية نفسه أو نفس غيره ، وحقه في حماية ماله أو مال غيره من كل اعتداء، لقول الله تعالى:: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) [البقرة : ١٩] .

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

- إذا صال عليك جمل فقتلته فلا ضمان عليك، لأن هذا من باب دفع الصائل الذي يصول على النفوس والأموال.

-ومن الأمثلة: ما جاء في صحيح مسلم أن رجلاً قال للنبي عليه الصلاة والسلام: (يا رسول الله! أرأيت إن جاء رجل يريد أن يأخذ مالي؟ قال: فلا تعطه، قال: فإن قاتلني؟ قال: فقاتله، قال: فإن قتلته؟ قال: فهو في النار، قال: فإن قتلني؟ قال: فأنت في الجنة).

- وأيضا لو أنك كنت في سفينة وكان هناك متاع فوق فوقع عليك فدفعته بيدك فوقع في البحر فلا تضمن؛ لأنه قد صال عليك.

الفوائد:

....

....

القاعدة الثالثة: المشقة تجلب التيسير

- **تعريف القاعدة:**

-المشقة معناها لغة: الصعوبة والعناء والتعب.

-التيسير معناه في اللغة: الليونة والسهولة.

ومعنى: المشقة تجلب التيسير أي: كلما جاءت المشقة وضيقت على المرء جاء التسهيل والليونة والتيسير له.

المعنى الإجمالي للقاعدة.

أي أن الصعوبة والعناء التي يجدها المكلف والمشقة في نفسه، أو ماله في تنفيذ الحكم الشرعي تصير سبباً شرعياً صحيحاً للتسهيل والتخفيف عنه في تلك الأحكام والتكاليف، والدليل في ذلك قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. و قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٨]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال صلى الله عليه وسلم: (إنما بُعثتم ميسِّرين، ولم تبعثوا معسِّرين).

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

– جواز التيمم للمريض بدلًا من الوضوء؛ إذا كان الوضوء يزيد في مرضه، أو يؤخر شفاءه.

– جواز الجمع بين الصلاتين أو استحبابه في بعض الأحوال؛ كالسفر، أو المرض، أو المطر الذي يبل الثياب، وتحصل معه مشقة من فعل كل صلاة في وقتها.

القواعد التي تتفرع عن هذه القاعدة:

أ-قاعدة: "إذا ضاق الأمر اتسع، وإذا اتسع ضاق".

- **تعريف القاعدة:**

-"إذا ضاق الأمر اتسع" أي إذا وقع شخص في ضيق يجوز له اختيار الأيسر من الفعل.

-"وإذا اتسع ضاق" أي إذا زالت تلك الصعوبة والمشقة يرجع الأمر إلى الضيق وهو ما قبل الترخص و القيام بالأمر كما أوجب الله سبحانه وتعالى.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

إذا وقع شخص في ضيق وتعب ومشقة في فعل أو أمر فإنه يختار الأيسر والأسهل وفي حدود استطاعته حسب ما ورد عن الشارع في ذلك، فإذا زالت الصعوبة يرجع الأمر إلى الضيق وعلى ما كان عليه قبل، وهو القيام بالأمر كما أوجب الله سبحانه وتعالى.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-جواز الصلاة قاعداً، وذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً)، أي: إذا ضاقت عليك الصلاة قائماً فصل قاعداً، وإذا ضاقت عليك الصلاة قاعداً فصل على جنب.

-ومن الأمثلة: إذا ضاق الأمر اتسع: الرجل الذي يريد أن يجامع امرأته ولكنها حائض، قال الله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ [البقرة:٢٢٢]، فضاق عليه الأمر فلا يستطيع أبداً أن يجامع امرأته في فرجها، فرخص له الشرع بأن الحائض تستتر بالإزار ويباشرها، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال: (اصنعوا كل شيء إلا الجماع).

-ومن الأمثلة: فإن المرأة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها لا يجوز لها الخروج من بيتها أثناء العدة، ولكنها إذا اضطرت للاكتساب أو قضاء حوائجها فإنه يجوز لها ذلك، لما ورد عن جابر رضي الله عنه قال:" طُلِقَت خالتي فأرادت أن تجد نخلها فزجرها رجل أن تخرج فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : بلى فجدي نخلك فإنك عسى أن تصدقي أو تفعلي معروفا) رواه مسلم. فهذا الحديث فيه دليل لخروج المعتدة البائن للحاجة.

الفوائد:

....

....

....

....

....

ب-قاعدة:"الضرورات تبيح المحظورات".

- **تعريف القاعدة:**

-الضرورة: ما لا بد للإنسان من بقائه، واستدعت الحاجة الشديدة له.

-المحظورات: الحرام المنهي عن فعله.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

أي أن الشيء الممنوع شرعاً يجوز عند الحاجة و العذر الشرعي وتمسى(الضرورة) ودليل ذلك قوله تعالى: (إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ) [الأنعام:١١٩]. و قوله تعالى: (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) [البقرة: ١٧٣].

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

- يجوز للمريض شرب الدم والبول، إذا أخبره طبيب مسلم أن شفاءه فيه، ولم يجد من المباح ما يقوم مقامه.

- يجوز للمرآة أن تكشف عورتها للطبيب عند الحاجة، ويباح للرجل يكشف عورته عند الحاجة للطبيب.

الفوائد:

....

....

....

....

....

ت- قاعدة: "الميسور لا يسقط بالمعسور".

- **تعريف القاعدة:**

-الميسور: ضد المعسور؛ مأخوذ من اليسر وهو ضدُّ العسر، وهو السهولة واللِّين.

-يسقط (الساقط): وهو الإلغاء وعدم الاعتبار للشيء.

-المعسور: ضد الميسور، وضد اليسر؛ وهو الضيق والشدة والصعوبة؛ قال الله تعالى: (سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) [الطلاق: ٧].

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

أي أن المأمور به إذا لم يتيسَّر فعله على الوجه الأكمل الذي أمر به الشارع؛ لعدم القدرة عليه، وإنما يمكن فعل بعضه مما يمكن تجزُّؤه، فيجب فعل القدر الذي يقدر عليه، ولا يترك الكلَّ بسبب ترك الذي يشقُّ فعله.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-إنكار المنكر واجبٌ على المسلم باللسان واليد والقلب فإذا عجز عن الإنكار باليد، أو اللسان، لم يسقط عنه ما يقدر عليه من إنكار المنكر بالقلب، فالاستطاعة بالقلب وهي النفرة عن المنكر والتنكرُّ له بإظهار الأمارات الدالة على ذلك، في مقدور كل شخصٍ، وهي لا تسقط عن المسلم بحال من الأحوال، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: (مَن رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).

- الفاتحة ركن من أركان الصلاة ، ويجوز لمن لا يحفظها أن يقرأ ما تيسر من القرآن في الصلاة، لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه في تعليم النبي صلَّى الله عليْه وسلَّم للرجل الذي أساء في صلاته حيث قال له: (إذا قمت إلى الصلاة فكبِّر، ثم اقرأ ما تيسَّر معك من القرآن...).

الفوائد:

....

....

ث-قاعدة "لا واجب مع العجز ولا محرم مع الضرورة"

- **تعريف القاعدة:**

معنى "لا واجب مع العجز" أي من كان لا يقدر على الصلاة قائماً فإنه يصلي قاعداً، قال عليه الصلاة والسلام: (صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب)، رواه البخاري.

ومعنى"لا محرم مع الضرورة" أي أن الضرورات تبيح المحرمات، فإذا اضطر المكلف لفعل المحرم بحيث إن ضرورته لا تندفع إلا به، فلا حرج عليه أن يأتيه، كأن يأكل الميتة في مفازة من الأرض ليس فيها طعام يأكله، ويخشى أن تتلف نفسه وليس عنده ما يغنيه عن الحرام.

ج-قاعدة: "الضرورات تقدر بقدرها".

إذا لم تجد المرأة المريضة إلا طبيبًا يعالجها، واحتاج العلاج إلى مسها، أو كشف شيء من عورتها، فلا يجوز مسُّ ما زاد عن مقدار الحاجة ولا كشفه. وكذلك من احتاج إلى وضع جبيرة على مواضع الطهارة، فإنه لا يزيد فيها عن مقدار الحاجة؛ إلا ما لا بد منه لاستمساكها.

الفوائد:

....

....

....

....

....

ح-قاعدة:"الاضطرار لا يبطل حق الغير".

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

إذا أخذ شخص من مال الغير في حالته الاضطرارية، فإن ذلك جائز له، ولكن ليس معناه أنه لا يجب عليه الضمان وليس لصحاب المال المطالبة بماله وحقه، بل عليه أن يدفع ما أخذه من المال لصاحبه، فالإثم مرفوع في هذا الحال ولكن يجب رد المال لمالكه.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-إذا استأجر شخص سيارة ليوم كامل، وبعد أن وصل إلى نصف الطريق انتهت الإجارة، فمقتضى الإجارة أنه يجب على الراكب أن يفارق السيارة في الحال، إلا إذا رضي المؤجر الإجارة مرة أخرى، ولكن جوزت لِما فيها من اضطرار؛ فصاحب السيارة مجبر على أن يبقي المستأجر في السيارة حتى يكمل به طريقه، ولكن ليس معنى الاضطرار أن صاحب السيارة ليس له الحق في طلب الأجرة.

د. قاعدة "العفو عن الخطأ والجهل والإكراه والنسيان "

- **تعريف القاعدة:**

الخطأ هو: إتيان الشيء ومقارفته من غير قصد، ويطلق ويقصد به الجهل.

والإكراه هو: سلب الإرادة من المكلف من غير رغبة ولا اختيار ولا تشهٍّ.

والنسيان هو: ذهاب المعلوم من الذهن.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

أي أن ارتكاب المحظور الصادر عن الجهل والخطأ والإكراه والنسيان مغتفر ومعفو عنه، قال الله تعالى: (رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا). البقرة: ٢٨٦، قال الله: (قد فعلت)، ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم: (رفع لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)، حديث حسن.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-قاعدة العفو عن الخطأ والجهل: كأن يصلي شخص إلى غير القبلة لعدم معرفته بها ومع عدم وجود علامات تدل عليها أو عدم وجود شخص يسأله عنها فلا يأثم.

-قاعدة العفو عن الإكراه:

الإكراه على نوعين: النوع الأول: إكراه ملجئ لا يمكن النجاة منه: بحيث يكون المكره كالآلة.

مثاله: فلو أن رجلين رفعا رجلاً قهراً ورمياه على نائم فقتله، فهو هنا كالآلة، أي: كأنه حجر، فنقول: هذا كالآلة فلا إثم عليه ولا ضمان، وهذا هو الإكراه الملجئ.

النوع الثاني: الإكراه غير الملجئ: وهو أن يكره على فعل أو قول بالتهديد له أو لولده أو لوالده أو لصاحبه، ويغلب على ظنه أن هذا المهدد ينفذ ما هدده به.

كأن يقول له: إما أن تفعل كذا أو أقتلك، أو أقطع طرفك، فيهدده بشيء يغلب على ظنه أنه يقدر على التنفيذ، فهذا هو الإكراه غير الملجئ.

وهذا النوع يختلف حكمه باختلاف المسائل وباختلاف نوع ما أكره به: فإذا أكره رجل على أن يسب الله وقيل له: إما أن تسب الله وإما أن نقتلك، وهو يخشى أن ينفذوا ذلك، فله أن يسب وقلبه مطمئن بالإيمان، لكن لو قيل له: إما أن تسب الله والرسول وإلا جلدناك عشرة أسواط، فهذا لا يعد إكراهاً.

-ولو أن رجلاً قال لامرأته: إما أن تكتبي هذا البيت باسمي أو أطلقك، فهذا يعد إكراهاً؛ لأن الطلاق أشد من ضرب السياط على ظهرها، فلها أن تطالب بحقها في هذا البيت لأنها مكرهة.

-لو أن رجلاً شريفاً ذا مكانة في الناس قيل له: إما أن تهب لنا كذا وكذا وإلا نشهر بك في الجريدة، فهذا يعد إكراهاً بالنسبة له.

-قاعدة العفو عن النسيان

من فعل محذوراً كأن أكل أو شرب ناسياً في رمضان، أو تطيب ناسياً في الحج، أو صلى بثوب نجس ناسياً، فلا شيء عليه، فمن تطيب ناسياً فلا شيء عليه، ومن أكل أو شرب ناسياً فلا إثم عليه، وقد أطعمه الله وسقاه.

إذاً: من ترك مأموراً ناسياً فعليه أن يأتي به أو بما يجبره، ومن نسي ففعل محذوراً فلا شيء عليه.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

القاعدة الرابعة: الشك لا يزيل اليقين

- **تعريف القاعدة:**

-اليقين : وهو طمأنينة القلب، واستقرار العلم فيه، مع عدم وجود التردد.

-والشك: هو التردد بين وقوع الشيء وعدمه ولا يمكن الترجيح بينهما.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

أي أن الشيء المتيقن فيه والشيء الذي يغلب على الظن وجوده لا يزول بالشك، ولا يُلتفت إلى الشك، بل يرجع في الحكم إلى اليقين السابق عليه أو غلبة الظن.

ويدل على ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد: (أن النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن الرجل يجد الشيء في الصلاة، فقال: لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً). ومعنى الحديث أن المصلي شعر أنه خرج ريح منه أثناء صلاته، فأمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج من صلاته حتى يتيقن أنه أحدث.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-إذا كنت لا تدري في صلاتك هل صليت ثلاثاً أم أربعاً، فالمتيقن هو الأقل، فتصلي رابعة وتسجد للسهو قبل السلام.

-وإذا كنت في الطواف فحصل عندك شك هل طفت ستاً أم سبعاً، فنقول: الأقل هو المتيقن، فأنت في حكم من طاف ستة أشواط وعليك أن تطوف الشوط السابع.

-كذلك إذا شك هل طلق امرأته أم لا؟ فنقول: الأصل بقاء النكاح لأنه المتيقن.

القواعد التي تتفرع عن هذه القاعدة:

أ-قاعدة:" الأصل إضافة الحادث إلى أقرب أوقاته".

- **تعريف القاعدة:**

-الحادث: هو الشيء الذي كان غير موجود ثم وجد.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

إذا وقع اختلاف في زمن حدوث أمر وسببه ولا بينة واضحة تدل على حدوثه، ينسب هذا الأمر إلى أقرب الأوقات، إلا إذا ثبت نسبته إلى زمن أبعد؛ لأن الوقوع في القريب متيقن، والبعيد مشكوك، واليقين لا يزول بالشك.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

- لو ادعت الزوجة أن زوجها طلقها أثناء مرض الموت، فقال الورثة: إنه طلقها في الصحة قبل مرض الموت، فالقول المعتبر هو قول الزوجة؛ لأن الأصل إضافة الحادث وهو (الطلاق) إلى أقرب أوقاته وهو زمن مرض الموت.

— ومن الأمثلة: لو وقع الخلاف في عيب موجود في السلعة المباعة، فقال المشتري: كان العيب قديمًا، وقال البائع: العيب حادث وجديد بعد البيع، فالقول للبائع؛ لأن الأصل إضافة الحادث إلى أقرب أوقاته، وإذا أثبت المشتري بالبينة أن العيب قديم فيُصدق ويُقبل قوله.

- ولو رأى شخصٌ في ثوبه مَنِيًّا، ولم يذكر احتلاماً؛ لزمه الغسل، ويعيد الصلاة من آخر نومه نامها؛ لأن الأصل إضافة الحادث إلى أقرب أوقاته.

ب-قاعدة:" الأصل في الأشياء الإباحة".

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

إن الله تعالى خلق ما في هذا العالم والكون وحله للإنسان، فلا يكون شيء منه حرامًا إلا ما حرمه تبارك وتعالى، ودلت عليه النصوص من الكتاب أو السنة كالأطعمة والأشربة والحيوانات الحية والملابس وغيرها، قال سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩]،. وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله عافيته؛ فإن الله لم يكن نسيًّا)، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]. فمن حرم شيئاً طولب بالدليل؛ لأن الأصل في الأشياء الإباحة.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

- أكل كثير من الأطعمة والأشربة والنباتات والفواكه والحبوب والحيوانات الحية التي لم يثبت ضررها ، وكذلك استخدام أنواع الفرش، والأثاث، والآلات المستحدثة، وكذلك بعض أنواع العقود المستحدثة، مثل بعض الأنظمة التجارية، وكذلك بعض المعاملات الجديدة في البنوك وغيرها، إذا خلت من الربا؛ فإن أحكامها لم تبيَّن في الكتاب والسنة، فتكون مباحة بناءً على هذه القاعدة، وكذلك يعمل على هذه القاعدة في المسكوت عنه من الشارع.

- نهر جارٍ لم يُعرف هو ملك لفرد أو لدولة، تجوز الاستفادة منه، بناءً على أن الأصل في الأشياء الإباحة.

ج-قاعدة "الأصل في العادات الإباحة"

- **تعريف القاعدة:**

-العادات: هي ما اعتاده الناس من التصرفات والأقوال والأفعال.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

الأصل في التصرفات والأقوال والأفعال الصادرة من الناس الحل والجواز، فلا يُمنع المكلف منها إلا بدليل شرعي يُحرم ذلك؛ كون هذه الأمور من العادات والتي الأصل فيها الإباحة.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

- مثل: جلوس الناس على الطعام على الأرض أو على الكراسي، هذا من العادات، فالأصل فيها الإباحة.

- ومن الأمثلة: الأكل باليد أو الملعقة، فالأصل في ذلك الإباحة، وطريقة اللبس، هذا يلبس ثوباً بطريقة معينة، وهذا يلبسه بطريقة أخرى، الأصل في هذا الإباحة.

- وكذلك: المصافحة باليد أو المعانقة، أو وضع الأنف على الأنف أو الخد على الخد؛ فهذه عادات الأصل فيها الإباحة، إلا أن يأتي دليل يدل على التحريم، فإذا كانت هذه العادة فيها تشبه بالنساء، قلنا: إنها لا تحل للرجل؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال.

الفوائد:

....
....
....
....
....

ت-قاعدة:" الأصل في الأبضاع والأنفس والأموال والذبائح واللحوم التحريم".

-الأصل في الأبضاع التحريم:

الأبضاع: جمع بضع، وهو الفرج، فليس لك أن تطأ فرجاً حتى تعلم السبب المبيح له، لأن الله جل وعلا قال: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المؤمنون:٥ - ٦]. فليس لك أن تطأ فرجاً إلا أن يكون مباحاً لك بملك يمين أو عقد نكاح، لأن الأصل في الفروج هو التحريم.

-الأصل في اللحوم والذبائح التحريم

يرى جمهور الفقهاء من المذاهب الأربعة أن الأصل في لحوم وذبائح الحيوان مأكول اللحم التحريم، (وليس منها الحيوانات الحية): فإذا أتيت بلحم أو ذبيحة فليس لك أن تأكل منها حتى تعلم السبب المبيح له، إما أن يكون قد ذكي وإما أن يكون قد صيد، فلابد أن تعلم السبب المبيح لأكله من ذكاة أو صيد، قال جل وعلا: {وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [الأنعام:١٢١].

وليس المراد أنك إذا دعيت عند مسلم فأتى بلحم أنك لا تأكل حتى تسأله، لأن الأصل في اللحوم التي تقدم من المسلمين أنها مذكاة، لكن لو أنك أتيت إلى بلد فيه المسلم وفيه الكافر وفيه الكتابي، فوجدت لحماً لا تدري هل ذكي أم لا؟ وهل ذكر اسم الله عليه أم لا؟ فليس لك أن تأكل منه شيئاً؛ لأن الأصل في اللحوم التحريم.

قال النووي رحمه الله: "فيه بيان قاعدة مهمة وهي أنه إذا حصل الشك في الذكاة المبيحة للحيوان: لم يحل؛ لأن الأصل تحريمه، وهذا لا خلاف فيه" انتهى من شرح صحيح مسلم (١٣/١١٦).

-الأصل في النفوس والأموال التحريم

فلا يجوز أن تقتل النفس المعصومة، ولا أن يُقطع طرفها، ولا أن تجرح إلا بسبب مبيح، وفي الحديث: أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا).

كذلك في الأموال: لا يحل لك أن تأخذ من مال أخيك إلا بحق، أي: إلا بسبب مبيح، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: (لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه).

ث-قاعدة:" الأصل في الأشياء الطهارة".

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

أي أن المياه والثياب والأرض والحجارة الأصل فيها الطهارة وعدم النجاسة، لأن هذا هو المتيقن، وعدم طهارة في هذه الأشياء شكٌّ يحتاج إلى دليل، فلا يُصار إليه حتى يأتي دليل يدل على نجاساتها.

ففقه هذا الضابط يسد باب الوسوسة الذي ابتلي به كثير من الناس، فالأصل في الماء والأرض والثياب والحجارة الطهارة.

-الأصل في المياه الطهارة، لحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (إن الماء طهور لا ينجسه شيء). فالأصل الطهارة في مياه البحار والأنهار والعيون وغيرها، فإذا أصابك ماء من ميزاب لا تدري هل هذا الماء طاهر أم نجس، فنقول لك: إن الأصل في المياه الطهارة وعلى ذلك فلا تغسل ثوبك منه؛ لأن الأصل في المياه الطهارة، فلا يلزمك أن تغسل ثوبك منه.

-الأصل في الأرض الطهارة: لحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام : (الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام)، رواه الإمام أحمد والترمذي. وقال: (وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)، متفق عليه. فلك أن تصلي في أي بقعة من الأرض لم تعلم نجاستها.

-الأصل في الثياب الطهارة: فإذا وجدت ثوباً لا تعلم نجاسته فلك أن تلبسه وتصلي فيه وإن كان من كافر؛ لأن الأصل في الثياب الطهارة، وثياب الكفار وإن كانت مستعملة فلنا أن نصلي فيها ما لم نعلم نجاستها؛ لكن الأفضل أن تغسل، ومثل ذلك الأواني.

الفوائد:

....

....

....

....

....

ج-قاعدة:"الأصل براءة الذمة".

- **تعريف القاعدة:**

(الأصل) قد مضى شرحه (براءة الذمم) أي السلامة من المطالبة (و الذمم) جمع ذمة، وهي وصف يصير به الإنسان أهلاً لِما له وما عليه.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

إن الله جل وعلا لما خلق الذمم خلقها بريئة من المطالبة بأي حق سواءً من حقه الذي هو العبادة أو من حقوق الآدميين التي تجري بينهم ، فذممهم سليمة من كل مطالبة، فلا يثبت واجبٌ شرعي إلا إذا قام الدّليل على ذلك؛ ولهذا كانت العبادات توقيفيّة، وكذلك حقوق الآدميين التي بينهم الأصل أن ذممهم بريئة منها فلا أحد من المخلوقين يطالبها بشيء إلا بما ثبتت به البينة، لحديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لو يعطى الناس بدعواهم، لادعى رجالٌ أموال قومٍ ودماءهم، لكن البينة على المدَّعِي، واليمين على من أنكر) حديث حسنٌ.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-من ادّعى على أحدٍ دعوى في مال أو غيره فهو مُطالَبٌ بإثبات دعواه؛ لأن الأصلَ براءةُ ذِمّة المُدّعى عليه حتى يثبت شغلها بحقِّ أحدٍ من النّاس، فإن عجز عن إثبات دعواه فلا شيء له.

- والأصل في المتهم البراءة، فلا يثبت عليه حقٌّ ولا تُهَمة إلا بعد إقامة الدّليل على ذلك.

د-قاعدة:" لا عبرة بالظن البين خطؤه".

- **تعريف القاعدة:**

-الظن: هو التردد بين أمرين أحدهما راجح والآخر مرجوح.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

إذا وقع فعل أو حكم بناءً على ظن، ثم تبين أنه مخالف للحكم الشرعي فلا عبرة لهذا الفعل والحكم المظنون البين خطؤه، ويجب إعادة الفعل وإرجاع الحق إلى أصحابه، لأن الأحكام والحقوق والقضاء لا تبنى بالتوهم أو الظنون الخاطئة ولكن تبنى باليقين.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

- شخص لديه مزرعة وقد بنى ضمنها بيتاً، وله جار أراد بناء بيت مثله فاشتكى الجار الأول على الثاني، ولما جيء ليسأل عن سبب ممانعته؟! قال: أخاف أن يصير لديه أولاد شباب فيخرجوا على السطح لينظروا إلى غرف بيتي! حُكْمُ هذا الشخص مبني على وهم، والشريعة تقول: لا عبرة للتوهم ولا عبرة للظن البين خطؤه.

- رجل دخل إلى بيته في وقت المغرب وهو صائم فلما سمع الأذان شرب ثم أخبر أن هذا الأذان ليس أذان التوقيت المحلي، فلا عبرة للظن البين خطؤه والحكم الشرعي فيه أن صومه لم يكن صحيحاً وعليه أن يمسك بما بقي له من وقت وعليه إعادة صيام اليوم، ولا إثم عليه.

- لو حكم القاضي بشيء، وظن أن حُكمَه موافق للشرع، ثم تبين أن ذلك خطأ، يجب الرجوع إلى الحكم الموافق للشرع.

هـ-قاعدة:" الأصل في الأمور العارضة العدم".

- **تعريف القاعدة:**

العارضة: هي التي توجد مع الموصوف ولم تُوصَفْ بها ذاته ابتداءً.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

أي أن الأصل في الصفات العارضة والطارئة للشيء الموضوف هو عدم وجود تلك الصفة فيه، كونها لم توجد من قبل.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-رجل اشترى سيارةً، ثم بعد ذلك وجد في هذه السيارة عيباً، واختلف البائع والمشتري هل العيب كان موجوداً قبل عقد شراء السيارة أو وجد بعد عقد شراء السيارة؟ وهو يمكن أن يوجد قبل العقد ويمكن أن يوجد أيضاً بعد العقد. فنقول: الأصل في هذه الصفات العارضة أنها لم تكن موجودةً وقت العقد، فيكون القول قول البائع مع اليمين؛ لأن الأصل عدم العيب، وهو السلامة، والعيب صفة عارضة. لأن الأصل في هذه الصفات العارضة العدم.

الفوائد:

....

....

....

....

و-قاعدة: "الأصل بقاء ما كان على ما كان".

- **تعريف القاعدة:**

قوله (الأصل) أي الشيء الثابت المتقرر عند الشرع هو (بقاء) أي استمراره واستصحابه، قوله : (ما كان) أي في الزمان الحاضر الآن ، قوله : (على ما كان) ما ثبت في الماضي.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

النظر إلى حال الشيء في الماضي، فيثبت الحال نفسه في الحاضر، ولا يتغير إلا بدليل، سواء كان هذا الحال في الماضي مثبت أو منفي، فإن كان الحال في الماضي مثبت فهو الآن مثبت وإن كان منفي فهو الآن منفي.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

- من تيقن الطهارة، وشك في الحدث فهو طاهر لأن الأصل الطهارة، ومن تيقن الحدث وشك في الطهارة هل هو طاهر أو محدث؛ فالأصل أنه محدث.

-من أكل شاكًا في طلوع الفجر فصار طالعًا فصومه صحيح؛ لأن الأصل بقاء الليل والفجر مشكوك فيه، والأصل بقاء ما كان على ما كان فالليل ثابت في الماضي فهو ثابت الآن، والأفضل ألا يأكل مع الشك.

-من أفطر شاكًا في غروب الشمس فصومه باطل ؛ لأن الأصل بقاء النهار والغروب مشكوك فيه، والأصل بقاء ما كان على ما كان فالنهار ثابت في الماضي فهو ثابت الآن.

-من شك في الطلاق فهو باقٍ على نكاحه ؛ لأن النكاح قد كان في الحالة الماضية والطلاق مشكوك فيه، والأصل بقاء ما كان على ما كان فالنكاح ثابت في الماضي فهو ثابت الآن.

القاعدة الخامسة: العادة محكمة (قاعدة العرف)

- **تعريف القاعدة:**

-العادة لغة: مأخوذة من العود والمعاودة، وهو التكرار.

-ومعنى محكمة: مأخوذة من الحكم، وهو: الفصل والقضاء بين الناس.

-والعُرفُ لغة: التتابع والظهور والاطمئنان، يُقال: تعارف الناس على كذا، بمعنى: تتابعوا عليه.

-والعادة في اصطلاح الفقهاء هي: الأمر المتكرر عند أغلب الناس، أو عند بعضهم، حتى يكون متقبلاً غير مستنكر ولا مستغرب(أي: صار عرفاً عندهم).

-والعُرف اصطلاحاً: ما اعتاده أغلب الناس، أو طائفة منهم، من قول أو فعل أو ترك من غير نكير.

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

أي أن ما اعتاده الناس أو اعتادته طائفة منهم من العادة أو العُرف يكون مرجعاً وحكماً بين الناس في بعض الحالات والصور، فإذا لم يوجد دليل من الشريعة على حكم وقضية معنية يتم إلى الرجوع فيها إلى العرف والحكم به، قال الله جل وعلا: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة:٢٢٨].

وحديث عائشة رضي الله عنها أن هند بنت عتبة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: "خُذي ما يكفيك وولدك بالمعروف". متفق عليه.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

- للمرأة من النفقة والسكنى ما يحكم فيه العرف، وهذا يختلف باختلاف حال الزوج غنى أو فقراً أو توسطاً، وعلى ذلك فنقول: إنا نرجع في النفقة إلى العرف، فما حكم به العرف في نفقة المرأة رجعنا إليه، لأن الشارع أرجعنا هنا إلى العرف.

-إذا أتينا مثلاً إلى سائقي الأجرة فهؤلاء طائفة من الناس، فإذا كان عرفهم أن من ركب من المطار إلى أي موضع في البلد يدفع مثلاً مائة ريال فركبت ولم تذكر أجرة، فإنا نرجع عند الاختلاف إلى العرف، فنقول: ما هو العرف عندكم؟ فإذا قالوا: إن العرف عندنا أن يدفع مائة ريال، فنقول لهذا المستأجر: ادفع هذه الأجرة، لأن هذا هو العرف.

-إذا عمل أجير أو عامل عند شخص لمدة شهر فإن العرف أن الجمعة لا تدخل في العمل، هذا في بعض الأعمال؛ لكن الأعمال المنزلية قد يكون العرف بخلاف ذلك وأنها تدخل، وكذلك رعي الماشية تدخل فيه الجمعة، لكن هناك أعمال لا تدخل فيها الجمعة، فلو أراد أن يخصم من أجره أيام الجمع لأنه لم يحضر فيها نقول له: نرجع إلى العرف، فإن كان العرف يقضي أنه لا يحضر يوم

الجمعة حكمنا بذلك، وإن كان العرف يقضي بحضوره يوم الجمعة فإن لك أن تخصم منه هذا اليوم.

- **ويعمل بالعرف بأربعة شروط:**

الأول: أن يكون العُرف غير مخالف للشريعة.

والثاني: أن يكون العرف غالبًا عند أهله، كتعامل الناس بعملة واحدة في البلد. والثالث: أن يكون العُرف سابقًا غير لاحق للمسألة.

والرابع: ألا يوجد تصريحٌ يخالف العُرف، فإذا وجد تصريح يخالف العُرف فالعبرة بالتصريح لا بالعُرف، كما لو تبايع شخصان في بلد ونصا في العقد على أن الثمن بالدولار، فلا اعتبار هنا بالعملة المحلية.

القواعد التي تتفرع عن هذه القاعدة:

أ-قاعدة: "المعروف عرفًا كالمشروط شرطًا".

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

أي أن ما تعارَف عليه الناس في معاملاتهم وتجارتهم فهو يقوم مقام الشرط في الالتزام والتقيد، وإن لم يكن هذا الشرط مذكور صراحة؛ لأن المعروف عرفًا كالمشروط شرطًاً.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-من استعار من صديقه سيارة فليس له أن يُسافر بها خارج البلد، لأن هذا هو المتعارف عليه فهو كالشرط، ما لم يأذن له صحاب السيارة بذلك صراحة.

-من وكل شخصًا في شراء سيارة أو أثاث ونحوه، فلا يجوز له أن يشتري له شيئًا معيبًا، لأن نفي العيب كالمشروط عليه، وهو مُقتضى التوكيل.

ب-قاعدة: "المعروف عند التجار كالمشروط بينهم".

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

هذه القاعدة في معنى القاعدة السابقة "المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً" ولا تفترق عنها إلا أن تلك القاعدة في مطلق العرف، وهذه خاصة في عرف التجار.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-لو تبايع تاجران شيئاً، ولم يصرحا في صلب عقد البيع أن الثمن نقد أو دين، فلو تعارفوا تأدية الثمن بعد أسبوع، أو غيره، لا يلزم المشتري أداء الثمن حالاً في نفس الوقت، وينصرف إلى عرفهم وعادتهم.

- لو اشترى رجل بضاعة مثلاً من بلد أجنبي على أن تشحن له إلى ميناء معين، ولم يوضح في العقد على من تكون أجرة الشحن، فيُتَبَع العرف المشهور بين التجار، ويُحكّم كأنه شرط متفق عليه سلفاً.

ت-قاعدة:" التعيين بالعُرف كالتعيين بالنص".

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

هذه القاعدة في معنى القاعدتين السابقتين "المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً" و:" المعروف عند التجار كالمشروط بينهم".

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-من استأجر بيتًا في حي سكني فتتعين منفعته بالسكنى المعتادة لمثله، فلا يصح استعماله مستودعًا للبضائع، أو تحويله إلى محل تجاري بغير إذن من صاحب البيت.

-ومن استأجر سيارة للركوب المعتاد فليس له أن يحمل عليها ما لا يحمل على مثلها، كأن يحمل فيها الدواب أو القاذورات.

-لو استأجر دكاناً في سوق البزازين مثلاً، فليس له أن يتخذه للحدادة أو الطبخ أو نحو ذلك مما يؤذي جيرانه.

الفوائد:

....
....
....
....
....

القاعدة السادسة: الأصل في العبادات التوقيف

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

أي أنه لا يجوز للمسلم أن يُقدِم على عبادة من العبادات حتى يعلم أن الله قد أذن فيها وشرعها؛ لأن الله تعالى لا يُعبد إلا بما أراد وشرع، كما جاء في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد. وفي رواية: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" فلا يجوز للإنسان أن يخترع عبادة من قبل نفسه؛ لأن من شأن هذا أن تتضخم العبادات حتى تملأ حياة الناس، بينما الشارع أراد أن تكون هذه العبادات محصورة.

قال ابن حجر:" الأصل في العبادة التوقف". وقال في موضع آخر:" التقرير في العبادة إنما يكون عن توقيف".

-وقال ابن دقيق العيد:" الغالب على العبادات التعبد ومأخذها التوقيف".

-وقال السَّرخسي:" ولا مدخل للرأي في معرفة ما هو طاعة الله، ولهذا لا يجوز إثبات أصل العبادة بالرأي".

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-ليس لنا إحياء الليلة بمناسبة الإسراء والمعراج، لعدم ورود دليل على تخصيص هذه الليلة بعبادة من صلاة وغيرها، ولأن الأصل في العبادة التوقف، فلا نعبد الله تعالى إلا بما شرع ونص عليه الدليل من القرآن أو السنة.

-وليس لنا إيجاد عبادة من صلاة أو صيام أو نحوهما بمناسبة الهجرة، أو بمناسبة بدر، أو ما أشبه ذلك؛ لأن الأصل في العبادة التوقف، فلا نعبد الله تعالى إلا بما شرع ونص عليه الدليل من القرآن أو السنة.

القواعد التي تتفرع عن هذه القاعدة:

أ-قاعدة:" الأصل في العبادات المقيدة: الإتيان بها مقيَّدة".

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

إذا خصَّص الشارع عبادة من العبادات بوقت معين أو مكان معين، أو عدد معين، أو كيفية وصفة معينة، فلابد من التقيد والالتزام بها ولا يجوز مخالفتها؛ لأن هذا يُفهم منه التخصيص، وذلك لما رأى النبي عليه الصلاة والسلام رجلاً قائمًا في الشمس فسأل عنه فقيل: إنه نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل وأن يصوم، فأمره النبي عليه الصلاة والسلام أن يقعد ويستظل وأن يتم صومه"، فلم يجعل قيامه ووقوفه في الشمس قربة يوفى بنذرهما .

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

- ومثال العبادة التي خصصها الله تعالى في الزمان؛ الأضحية، فوقتها بعد صلاة عيد الأضحى إلى آخر أيام التشريق، فلا تجزئ الأضحية في أول أيام ذي الحجة أو بعد أيام التشريق.

- ومثال العبادة المخصصة في المكان: تخصيص الاعتكاف في المساجد فلا يصح الاعتكاف في غير المساجد.

- كذلك شرع الله تعالى بعض العبادات بقدر وعدد محدد لا تجوز الزيادة فيه؛ مثل الصلوات الخمس فلا تجوز زيادة صلاة سادسة.

- وشرع الله تعالى بعض العبادات في كيفية وترتيب معين لا يصح مخالفتها؛ مثل كيفية الوضوء، فلا يصح بدء الوضوء بغسل الرجلين ثم غسل اليدين ثم مسح الرأس ثم غسل الوجه.

الفوائد:

....
....
....
....
....

ب-قاعدة:"الأصل في العبادات المطلقة: التوسعة".

- **المعنى الإجمالي للقاعدة.**

إذا وردت العبادة في نص الشارع مطلقة عامة وغير محددة بوقت أو صفة معينة، فعلى المكلف الإتيان بها على وجه التوسعة؛ بحيث لا يتقيد الإتيان بهذه العبادة بزمان معين أو مكان معين أو حال معينة، أو مقدار معين.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

شرع الله تعالى الذكر من التكبير والتحميد والتسبيح والاستغفار والدعاء وتلاوة القرآن الكريم، ومجالس العلم. وصيام النافلة، وصلاة التطوع وقيام الليل، ووسع فيها على العباد ولم يقيدهم، فلا يجوز تقييدها وحصرها.

قواعد كلية أخرى

أ.قاعدة "المشغول لا يشغل"

- **المعنى لإجمالي للقاعدة:**

أي أن المشغول بشيء لا يشغل بشيء آخر.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-رجل اقترض دراهم ورهن بيته، فبيته رهن على هذه الدراهم التي اقترضها، فهل له أن يرهنه بدين آخر أو أن يوقفه؟ نقول: لا، لأن المشغول لا يشغل، فهذا البيت قد شغل بحفظ حق المرتهن، فليس لك أن تشغله بشيء آخر.

-كذلك المسبل -يعني الوقف - فالوقف لا يباع ولا يوهب ولا يورث؛ لأنه مشغول بالوقفية فلا يشغل ببيع ولا إرث ولا هبة، لأن المشغول لا يشغل.

ب.قاعدة "العمل بالقرعة عند تزاحم الحقوق وعند الإبهام"

- **المعنى لإجمالي للقاعدة:**

من كان له حق فإنه يستحقه، فيعطى حقه؛ لكن إذا تزاحمت الحقوق فلا مزية لأحد على الآخر، كما لو تزاحم فلان وفلان على الأذان أو الإمامة، أو على موضع كل منهما قد وضع يده عليه ولم يكن لأحد منهما سبق فلا مزية فنلجأ إلى القرعة، حتى يتبين من القرعة المستحق، فيدفع الخلاف حيث لا مرجح ولا مزية لأحدهما على الآخر بالقرعة، فمن خرجت القرعة له حكم بالحق له، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين: (إذا أراد سفراً يقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها سافر بها عليه الصلاة والسلام).

ت.قاعدة "الوازع الطبعي كالوازع الشرعي"

- **المعنى لإجمالي للقاعدة:**

الوازع الشرعي، وهو: أن يكون هناك رادع من الشرع يمنع من المعصية، فحد الزنا وازع شرعي يمنع من المعصية، لكن هناك معاص تنفر منها الطباع، فالنفوس الطيبة أو النفوس في العادة تنفر من هذا الفعل، كأكل النجاسة مثلاً، فهذا النفور وازع طبعي، وحينئذ لا يحتاج إلى وازع شرعي يحرم أكل النجاسات.

فالشرع إنما وضع الحدود فيما يحتاج إلى حد يمنع الناس من فعله، وأما ما كانت الطباع تنفر منه فإن العادة أنه لا حد فيه؛ لأن نفور الناس يكفي في المنع منه، لكن إن فعل شخص هذا الأمر الذي تنفر منه الطباع فإن فيه التعزير؛ لأن المعصية التي لا حد فيها يكون فيها تعزير.

ث.قاعدة "لا يتم الحكم حتى تتوفر الشروط وتنتفي الموانع"

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

أي أن الحكم لا يتم حتى تتوفر شروطه وتنتفي موانعه.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-الصلاة لها شروط ولها موانع، فالحيض مانع منها، واستقبال القبلة شرط لها، فإذا صلت المرأة مستقبلة القبلة لكنها حائض لم تصح صلاتها، وذلك لأن وجود المانع يمنع من أن يتم العمل، فلا يصح العمل مع وجود المانع.

-الزكاة كذلك لها شروط ولها موانع، فالدين من موانع وجوب الزكاة، إذاً العمل لا يتم إلا بعد توفر شروطه وانتفاء موانعه.

-كذلك التكفير لا يتم التكفير إلا إذا توفرت شروطه وانتفت موانعه، ومن موانعه: الإكراه والجهل في المسائل التي يجهل مثلها، والتأويل نوع من الجهل، فلابد في التفكير من أن تتم الشروط وتنتفي الموانع.

م.قاعدة "يثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً"

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

هناك أشياء لا تحل إذا استقلت، لكن إذا كانت تبعاً فهي حلال، كبيع الحمل في البطن.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

- لو قال: أبيعك ما في بطن هذه الناقة فإنه لا يجوز، لكن إن باع الناقة وما في بطنها فإنه يجوز، لأن الذي في البطن هنا تبع.

- بيع الثمر قبل بدو صلاحه ونضجه لا يجوز، فإن باع النخلة أو الزيتون أو البرتقال وعليها ثمر لم يبد صلاحه فلا بأس؛ لأنه يثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً.

م.قاعدة "التداخل في الأعمال إذا اتحد المقصود" أو "إن تساوى العملان اجتمعا".

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

أي: إن تساوى الفعلان فإنهما يجتمعان، ويجزئ كل واحد منهما عن الآخر، ما دام أن المقصود من الفعلين يحصل بفعل واحد منهما.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

- إذا اغتسلت المرأة عن الجنابة والحيض، كما لو طهرت من الحيض وكانت قبل الحيض جنباً، فاغتسلت غسلاً واحداً؛ فهذا الغسل يحصل به المقصود من غسل الجنابة والمقصود من غسل الحيض.

-لكن إذا كان لكل منهما مقصود يختص به، فلا يحصل مقصود أحدهما بفعل الآخر، فنقول: لابد من الفعلين جميعاً: مثال ذلك: رجل عليه نذر فوفى بنذره يوم عيد الأضحى، ونوى أن يكون المذبوح أضحية وأن يكون نذراً، فنقول: لا يجزئ؛ لأن هذا له مقصوده وهذا له مقصوده.

-لكن لو أن رجلاً دخل إلى المسجد فصلى الفريضة أو سنة الفجر، نقول: تجزئ عن تحية المسجد؛ لأن المقصود من تحية المسجد أن يصلي ركعتين قبل جلوسه في المسجد، فإذا اشتغل بفرض أو نفل آخر أجزأ ذلك عن تحية المسجد.

خ.قاعدة "من أتى بما عليه من العمل استحق أجره"

- **المعنى الإجمالي للقاعدة:**

أي: من أتى بما عليه من عمل استحق الأجرة المتفق عليها.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

-مثاله :رجل اتفق مع أجير على أن يبني له جداراً وأن له كذا وكذا أجرة، فإذا قام بهذا العمل استحق أجرته.

-كذلك أيضاً في العبادات: إذا قام المسلم بالعبادة مخلصاً لله متبعاً لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإنه يجزئ عمله ويثاب عليه.

الفوائد:

....

....

....

....

....

د.قاعدة "يتحمل الضرر الخاص لأجل دفع الضرر العام"

المعنى الإجمالي للقاعدة:

يتحمل الضرر الخاص لأجل رفع الضرر العام؛ لأن الضرر الخاص لا يكون مثل الضرر العام، بل دونه، فيدفع الضرر العام به.

- **أمثلة تطبيقية على القاعدة:**

١ - يمنع الطبيب الجاهل؛ لأن ضرره عام.

٢ - المفتي الماجن يمنع؛ لأن ضرره عام.

٣ - جواز هدم البيت الذي يكون أمام الحريق؛ منعًا لسراية النار.

٤ - تحديد أسعار المأكولات من الدولة؛ رفعًا للضرر العام.

٥ - يمنع فتح الورشة في سوق القماش؛ دفعًا للضرر العام.

٦ - يجوز شق بطن الميتة لإخراج الولد إذا كانت ترجى حياته.

٧ - يجوز السكوت على المنكر إذا كان يترتب على إنكاره ضررٌ أعظم.

مادة النَّحو(٢)

مقدمة

لا يستقيم اللسان العربي إلا بمعرفة قواعد اللغة العربية، ولا بد لطالب العلم من إلمام بجانب اللغة العربية ومفرداتها وقواعدها، وبين يديكم مقرر النحور (٢) للمستوى الثاني – الفصل الثاني، حرصنا فيه على اختيار شرح واضح العبارة، يحتوي على أسئلة وتمرينات تساعد الطالب على فهم واستيعاب المفردات المقررة.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم إلى طاعته .

المبتدأ والخبر

●قال: المبتدأ: هو الاسم المرفوع العاري عن العوامل اللفظية، والخبر: هو الاسم المرفوع المسند إليه، نحو قولك "زيد قائم"، "الزيدان قائمان"، "الزيدون قائمون".

●وأقول:

-المبتدأ عبارة عما اجتمع فيه ثلاثة أمور، الأول: أن يكون اسمًا، فخرج عن ذلك الفعل والحرف، والثاني: أن يكون مرفوعًا، فخرج بذلك المنصوب والمجرور بحرف جر أصلي، والثالث: أن يكون عاريًا عن العوامل اللفظية، ومعنى هذا أن يكون خاليًا من العوامل اللفظية مثل الفعل ومثل "كان" وأخواتها، فإن الاسم الواقع بعد "كان" أو إحدى أخواتها يسمى "اسم كان" ولا يسمى مبتدأ. ومثال المستوفي هذه الشروط الثلاثة "محمد" من قولك:" محمد حاضر" فإنه اسم مرفوع لم يتقدمه عامل لفظي.

-والخبر: هو الاسم المرفوع الذي يسند إلى المبتدأ ويحمل عليه، فيتم به معه الكلام، ومثاله "حاضر" من قولك:" محمد حاضر".

-وحكم كل من المبتدأ والخبر الرفع كما رأيت، وهذا الرفع إما أن يكون بضمة ظاهرة، نحو "الله ربنا"، "محمد نبينا" وإما أن يكون مرفوعًا بضمة مقدرة للتعذر نحو "موسى مصطفى من الله" ونحو "ليلى فضلى البنات"، وإما أن يكون بضمة مقدرة منع من ظهورها الثقل نحو "القاضي هو الآتي" وإما أن يكون مرفوعًا بحرف من الحروف التي تنوب عن الضمة، نحو "المجتهدان فائزان".

-ولابد من المبتدأ والخبر أن يتطابقا في الإفراد، نحو "محمد قائم" والتثنية نحو "المحمدان قائمان" والجمع نحو "المحمدون قائمون"، وفي التذكير كهذه الأمثلة، وفي التأنيث نحو "هند قائمة"، "الهندان قائمتان"، "الهندات قائمات".

الفوائد:

....

....

....

المبـتـدأ قسمان ظاهر ومضمر:

●قال: والمبتدأ قسمان: ظاهر ومضمر، فالظاهر ما تقدم ذكره، والمضمر اثنا عشر، وهي: أنا، نحن، أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتن، هو، هي، هما، هم، هن، نحو قولك:" أنا قائم"، "نحن قائمون" وما أشبه ذلك.

●وأقول:

-ينقسم المبتدأ إلى قسمين: الأول الظاهر، والثاني: المضمر، وقد سبق في باب الفاعل تعريف كل من الظاهر والمضمر. فمثال المبتدأ الظاهر "محمد رسول الله"، "عائشة أم المؤمنين".

-والمبتدأ المضمر اثنا عشر لفظًا: الأول:" أنا" للمتكلم الواحد، نحو "أنا عبد الله". الثاني:" نحن" للمتكلم المتعدد أو الواحد المعظم نفسه، نحو "نحن قائمون". الثالث:" أنتَ" للمخاطب المفرد المذكر، نحو "أنت فاهم". الرابع:" أنتِ" للمخاطبة المفردة المؤنثة، نحو "أنت مطيعة". الخامس:" أنتما" للمخاطبين مذكرين كانا أو مؤنثين، نحو "أنتما قائمان"، أنتما قائمتان". السادس:" أنتم" لجمع الذكور المخاطبين، نحو "أنتم قائمون". السابع:" أنتن" لجمع الإناث المخاطبات، نحو "أنتن قائمات". الثامن:" هو" للمفرد الغائب المذكر، نحو "هو قائم بواجبه". التاسع:" هي" للمفردة المؤنثة الغائبة، نحو "هي مسافرة". العاشر:" هما" للمثنى الغائب مطلقًا، مذكرًا كان أو مؤنثًا نحو "هما قائمان"، "هما قائمتان". الحادي عشر:" هم" لجمع الذكور الغائبين، نحو "هم قائمون". الثاني عشر:" هن" لجمع الإناث الغائبات، نحو "هن قائمات". وإذا كان المبتدأ ضميرًا فإنه لا يكون إلا بارزًا منفصلًا، كما رأيت.

أقسام الخبـر:

●قال: والخبر قسمان: مفرد وغير مفرد فالمفرد نحو "زيد قائم" وغير المفرد أربعة أشياء: الجار والمجرور، والظرف، والفعل مع فاعله، والمبتدأ مع خبره، نحو قولك:" زيد في الدار، وزيد عندك، وزيد قائم أبوه، وزيد جاريته ذاهبة".

●وأقول:

-ينقسم الخبر إلى قسمين: الأول خبر مفرد، والثاني خبر غير مفرد. والمراد بالمفرد هنا: ما ليس جملة ولا شبيهًا بالجملة، نحو "قائم" من قولك "محمد قائم". وغير المفرد نوعان: جملة وشبه جملة، والجملة نوعان:" جملة اسمية، وجملة فعلية".

-فالجملة الاسمية: ما تألف من مبتدأ وخبر نحو "أبوه كريم" من قولك "محمد أبوه كريم". والجملة الفعلية: ما تألفت من فعل وفاعل أو نائبه، نحو "سافر أبوه" من قولك "محمد سافر أبوه" ونحو "يضرب غلامه" من قولك "خالد يضرب غلامه".

-فإن كان الخبر جملة فلا بد له من رابط يربطه بالمبتدأ إما ضمير يعود إلى المبتدأ كما سمعت في الأمثلة وإما اسم إشارة نحو "محمد هذا رجل كريم".

-وشبه الجملة نوعان أيضًا، الأول: الجار والمجرور، نحو "في المسجد" من قولك "علي في المسجد". والثاني: الظرف، نحو "فوق الغصن" من قولك "الطائر فوق الغصن".

-ومن ذلك تعلم أن الخبر على التفصيل خمسة أنواع: مفرد، وجملة فعلية، وجملة اسمية، وجار ومجرور، وظرف.

الفوائد:

....

....

....

تدريب على الإعراب:

●أعرب الجمل الآتية:" محمد قائم، محمد حضر أبوه، محمد أبوه مسافر، محمد في الدار، محمد عندك".

●الجواب:

١ـمحمد قائم: محمد: مبتدأ مرفوع بالابتداء، وعلامة رفعه ضمة في آخره، قائم: خبر لمبتدأ مرفوع بالمبتدأ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره.

٢ـمحمد حضر أبوه: محمد: مبتدأ، حضر: فعل ماض مبني على الفتح لا محل له من الإعراب. أبو: فاعل حضر مرفوع بالواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الخمسة، وأبو مضاف، والهاء مضاف إليه، مبني على الضم في محل خفض، والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر المبتدأ، والرابط بين المبتدأ والخبر هو الضمير الواقع مضافًا إليه في قولك "أبوه".

٣ـمحمد أبوه مسافر: محمد: مبتدأ أول مرفوع بالضمة الظاهرة، وأبو: مبتدأ ثان مرفوع بالواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الخمسة، وأبو مضاف، والهاء مضاف إليه. مسافر: خبر المبتدأ الثاني وجملة المبتدأ الثاني وخبره في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والرابط بين هذه الجملة والمبتدأ الأول الضمير الذي في قولك أبوه.

٤ـمحمد في الدار: محمد: مبتدأ، في الدار: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ.

٥ـمحمد عندك: محمد: مبتدأ، عند: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، وعند: مضاف، والكاف ضمير مخاطب مضاف إليه مبني على الفتح في محل خفض.

تمرينات:

١. بين المبتدأ والخبر، ونوع كل واحد منهما، من بين الكلمات الواقعات في الجمل الآتية، وإذا كان الخبر جملة فبين الرابط بينها وبين مبتدئها:

(المجتهد يفوز بغايته، السائقان يشتدان في السير، النخلة تؤتي أكلها كل عام مرة، المؤمنات يُسبحن الله، كتابك نظيف، هذا القلم من خشب، الصوف يؤخذ من الغنم، والوبر من الجمال، والأحذية تصنع من جلد الماعز وغيره، القدر على النار، النيل يسفي أرض مصر، أنت أعرف بمن ينفعك، أبوك الذي ينفق عليك، أمك أحق الناس ببرك، العصفور يغرد فوق الشجرة، البرق يعقب المطر، المسكين من حرم نفسه وهو واجد، صديقي أبوه عنده، والدي عنده حصان، أخي له سيارة).

٢استعمل كل اسم من الأسماء الآتية مبتدأ في جملتين مفيدتين، بحيث يكون خبره في واحدة منهما مفردًا وفي الثانية جملة: التلميذان، محمد، الثمرة، البطيخ، القلم، الكتاب، المعهد، النيل، عائشة، الفتيات.

٣أخبر عن كل اسم من السماء الآتية بشبه جملة: العصفور، الجوخ، الإسكندرية، القاهرة، الكتاب، الكرسي، نهر النيل.

٤ضع لكل جار ومجرور مما يأتي مبتدأ مناسبًا يتم به معه الكلام: في القفص، عند جبل المقطم، من الخشب، على شاطئ البحر، من الصوف في القِمَطر، في الجهة الغربية من القاهرة.

٥كون ثلاث جمل في وصف الجَمَل تشتمل كل واحدة منها على مبتدأ وخبر.

أسئلة:

ما هو المبتدأ؟ ما هو الخبر؟ إلى كم قسم ينقسم المبتدأ؟ مثل للمبتدأ الظاهر، مثل للمبتدأ المضمر، إلى كم قسم ينقسم المضمر الذي يقع مبتدأ؟ غلى كم قسم ينقسم الخبر الجملة، غلى كم قسم ينقسم الخبر شبه الجملة، ما الذي يربط الخبر الجملة بالمبتدأ؟ في أي شيء تجب مطابقة الخبر للمبتدأ، مثل لكل نوع من أنواع الخبر بمثالين.

الفوائد:

....

....

....

نواسخ المبتدأ والخبر

●قال:" باب العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر" وهي ثلاثة أشياء: كان وأخواتها، وإن وأخواتها، وظننت وأخواتها.

●وأقول:

-قد عرفت أن المبتدأ والخبر مرفوعان، واعلم أنه قد يدخل عليهما أحد العوامل اللفظية فيغير إعرابهما، وهذه العوامل التي تدخل عليهما فتغير إعرابهما -بعد تتبع كلام العرب الموثوق به - على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يرفع المبتدأ وينصب الخبر، وذلك "كان" وأخواتها، وهذا القسم كله أفعال، نحو "كان الجو صافياً".

القسم الثاني: ينصب المبتدأ ويرفع الخبر، عكس الأول، وذلك "إن" وأخواتها وهذا القسم كله أحرف، نحو "إِنّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".

القسم الثالث: ينصب المبتدأ والخبر جميعًا، وذلك "ظننت" وأخواتها، وهذا القسم كله أفعال، نحو "ظننت الصديق أخًا".

-وتسمى هذه العوامل "النواسخ" لأنها نسخت حكم المبتدأ والخبر، أي: غيرته وجددت لهما حكماً آخر غير حكمهما الأول.

كان وأخواتها

●قال: فأما "كان" وأخواتها، فإنها ترفع الاسم، وتنصب الخبر، وهي: كان، وأمسى، وأصبح، وأضحى، وظل، وبات، وصار، وليس، وما زال، وما انفك، وما فتئ، وما برح، وما دام، وما تصرف منها نحو: كان، ويكون، وكن، وأصبح، ويصبح، وأصبح، تقول:" كان زيد قائمًا، وليس عمر شاخصًا" وما أشبه ذلك.

●وأقول:

١ -القسم الأول من نواسخ المبتدأ والخبر "كان" وأخواتها، أي نظائرها في العمل. وهذا القسم يدخل على المبتدأ فيزيل رفعه الأول ويحدث له رفعًا جديدًا، ويسمى المبتدأ اسمه، ويدخل على الخبر فينصبه، ويسمى خبره.

٢ -وهذا القسم ثلاثة عشر فعلًا:

-الأول:"كان" وهو يفيد اتصاف الاسم بالخبر في الماضي، إما مع الانقطاع، نحو "كان محمد مجتهداً " وإما مع الاستمرار، نحو "وكان ربك قديرًا".

-الثاني:" أمسى" وهو يفيد اتصاف الاسم بالخبر في المساء، نحو "أمسى الجو باردًا".

-الثالث:" أصبح" وهو يفيد اتصاف الاسم بالخبر في الصباح، نحو "أصبح الجو مكفهِرًا".

-الرابع:" أضحى" وهو يفيد اتصاف الاسم بالخبر في الضحى، نحو "أضحى الطالب نشيطًا".

-الخامس:" ظل" وهو يفيد اتصاف الاسم بالخبر في جميع النهار، نحو "ظل وجهه مسودًا".

-السادس:" بات" وهو يفيد اتصاف الاسم بالخبر في البيات، نحو "بات محمد مسرورًا".

-السابع:" صار" وهو يفيد تحول الاسم من حالته إلى الحالة التي هو عليها الخبر، نحو "صار الطين إبريقًا".

-الثامن:" ليس" وهو يفيد نفي الخبر عن الاسم في وقت الحال، نحو "ليس محمد فاهماً".

-التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر:" ما زال"، "ما انفك"، "ما فتئ"، "ما برح"، وهذه الأربعة تدل على ملازمة الخبر للاسم حسبما يقتضيه الحال، نحو "ما زال إبراهيم منكرًا"، "ما برح عليٌّ صديقًا مخلصًا".

-والثالث عشر:" ما دام" وهو يفيد ملازمة الخبر للاسم أيضًا نحو "لا أعذل خالدًا ما دمت حيًا".

٣ -وتنقسم هذه الأفعال -من جهة العمل - إلى ثلاثة أقسام:

-القسم الأول: ما يعمل هذا العمل -وهو رفع الاسم ونصب الخبر - بشرط تقدم "ما" المصدرية الظرفية عليه وهو فعل واحد وهو "دام".

-القسم الثاني: ما يعمل هذا العمل بشرط أن يتقدم عليه نفي، أو استفهام، أو نهي، وهو أربعة أفعال، وهي:" زال"، "انفك"، "فتئ"، "برح".

-القسم الثالث: ما يعمل هذا العمل بغير شرط، وهو ثمانية أفعال، وهي الباقي.

٤ -وتنقسم هذه الأفعال من جهة التصرف إلى ثلاثة أقسام:

-القسم الأول: ما يتصرف في الفعلية تصرفًا كاملًا، بمعنى أنه يأتي منه الماضي والمضارع والأمر، وهو سبعة أفعال، وهي:" كان، أمسى، أصبح، أضحى، ظل، بات، صار.

-القسم الثاني: ما يتصرف في الفعلية تصرفًا ناقصًا، بمعنى أنه يأتي منه الماضي والمضارع ليس غير، وهو أربعة أفعال، وهي: فتئ، انفك، برح، زال.

-القسم الثالث: ما لا يتصرف أصلاً، وهو فعلان: أحدهما "ليس" اتفاقًا والثاني "دام" على الأصح.

-وغير الماضي من هذه الأفعال يعمل عمل الماضي، نحو قوله تعالى:(لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ)، (تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ).

الفوائد:

....

....

....

إن وأخواتها

●قال: وأما "إن وأخواتها" فغنها تنصب الاسم وترفع الخبر، وهي:" إن، أن، لكن، كأن، ليت، لعل، تقول: غن زيدًا قائمٌ، وليت عمرًا شاخصٌ، وما أشبه ذلك، ومعنى "إن، أن" التوكيد، "ولكن" للاستدراك، "وكأن" للتشبيه، "وليت" للتمني، "ولعل" للترجي والتوقع.

●وأقول:

١ -القسم الثاني من نواسخ المبتدأ والخبر "إن" وأخواتها، أي: نظائرها في العمل، وهي تدخل على المبتدأ والخبر، فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها، وترفع الخبر بمعنى أنها تجدد له رفعًا غير الذي كان له قبل دخولها، ويسمى خبرها.

٢ -وهذه الأدوات كلها حروف، وهي ستة:

-الأول:" إن" بكسر الهمزة. الثاني:" أن" بفتح الهمزة. وهما يدلان على التوكيد، ومعناه تقوية نسبة الخبر للمبتدأ، نحو "إن أباك حاضر"، "علمت أن أباك مسافر".

-الثالث:" لكن" ومعناه الاستدراك، وهو تعقيب الكلام بنفي ما يتوهم ثبوته أو إثبات ما يتوهم نفيه، نحو "محمد شجاع لكن صديقه جبان".

-الرابع:" كأن" وهو يدل على تشبيه المبتدأ بالخبر، نحو:" كأن الجارية بدر".

-الخامس:" ليت" ومعناه التمني، وهو: طلب المستحيل أو ما فيه عسر، "ليت الشبابَ عائدُ". و"ليت البليدَ ينجحُ".

-السادس:" لعل" وهو يدل على الترجي أو التوقع، ومعنى الترجي: طلب الأمر المحبوب، ولا يكون إلا في الممكن نحو:" لعل اللهَ يرحمُني"، ومعنى التوقع: انتظار وقوع الأمر المكروه في ذاته، نحو "لعل العدوَ قريبٌ منا".

الفوائد:

....

....

....

ظن وأخواتها

●قال: وأما ظننت وأخواتها فإنها تنصب المبتدأ والخبر على أنهما مفعولان لها، وهي: ظننت، حسبت، وخِلتُ، وزعمتُ، ورأيتُ، وعلمتُ، ووجدتُ، واتخذتُ، وجعلتُ، وسمعتُ، تقولُ: ظننتُ زيدًا قائمًا، رأيتُ عمرًا شاخصًا، وما أشبه ذلك.

● **وأقول:**

١ -القسم الثالث من نواسخ المبتدأ والخبر، "ظننت" وأخواتها أي نظائرها في العمل، وهي تدخل على المبتدأ والخبر فتنصبهما جميعاً، ويقال للمبتدأ مفعول أول وللخبر مفعول ثان.

٢ -وهذا القسم عشرة أفعال: الأول:" ظننت" نحو "ظننت محمدًا صديقًا". الثاني:" حسبت" نحو "حسبتُ المال نافعًا". الثالث:" خِلت" نحو "خلت الحديقة مثمرة". الرابع:" زعمت" نحو "زعمت بكرًا جريئًا". الخامس:" رأيت" نحو "رأيت إبراهيم مفلحًا". السادس:" علمت" نحو "علمت الصدق منجيًا". السابع:" وجدت" نحو "وجدت الصلاح باب الخير". الثامن:" اتخذت" نحو "اتخذت محمدًا صديقًا". التاسع:" جعلت" نحو "جعلت الذهب خاتمًا". العاشر:" سمعت" نحو "سمعت خليلًا يقرأ".

٣ -هذه الأفعال العشرة تنقسم إلى أربعة أقسام:

-القسم الأول: يفيد ترجيح وقوع الخبر، وهو أربعة أفعال:" ظننت، حسبت، خلت، زعمت".

-القسم الثاني: يفيد اليقين وتحقيق وقوع الخبر، وهو ثلاثة أفعال، وهي: رأيت، وعلمت، ووجدت.

-القسم الثالث: يفيد التصيير والانتقال، وهو فعلان، اتخذت، جعلت.

-القسم الرابع: يفيد النسبة في السمع، وهو فعل واحد، وهو سمعت.

تمرينات:

١ -أدخل كان أو إحدى أخواتها على كل جملة من الجمل الآتية ثم اضبط آخر كل كلمة بالشكل: الجو صحو، الحارس مستيقظ، الهواء طلق، الحديقة مثمرة، البستاني منتبه، القراءة مفيدة، الصدق نافع، الزكاة واجبة، الشمس حارة.

٢ -أدخل "إن" أو إحدى أخواتها على كل جملة من الجمل الآتية، ثم اضبط بالشكل آخر كل كلمة: أبي حاضر، كتابك جديد، مِحبَرتُكَ قذرة، قلمُكَ مكسور، يدك نظيفة، الكتاب خير رفيق، الأدب حميد، البطيخ يظهر في الصيف، البرتقال من فواكه الشتاء، القطن سبب ثروة مصر، النيل عذب الماء، مصر تُربَتُها صالحة للزراعة.

٣ -أدخل "ظن" أو إحدى أخواتها على كل جملة من الجمل الآتية ثم اضبط بالشكل آخر كل كلمة: محمد صديقك، أبوك أحب الناس إليك، أمك أرأف الناس بك، الحقل ناضر، البستان مثمر، الصيف قائظ، الأصدقاء أعوانك عند الشدة، الصمت زين، الثياب البيضاء لُبوس الصيف، عثرة اللسان أشد من عثرة الرجل.

٤ -ضع في المكان الخالي من كل مثال من الأمثلة الآتية كلمة مناسبة، واضبطها بالشكل: -إن الحارس .... -كأن الحقل .... -صارت الزكاة....... -رأيتُ عمك..........

-أضحتِ الشمس......... -أعتقد أن القطن .... -رأيت الأصدقاء....... -أمسى الهواء

.... -إن عثرة اللسان.......... -سمعت أخاك.......... -علمت أن الكتاب ...... -ما فتئ إبراهيم .... -محمد صديقك لكن أخاه .... -لأصحبُك ما دمت........... -حسبت أباك............ -ظل الجو.......... -حسن المنطق من دلائل النجاح لكن الصمت.............

٥. ضع أداة من الأدوات الناسخة تناسب المقام في كل مكان خال من الأمثلة الآتية: أ -.......... الكتابَ خير سمير ز -......... المعلمُ مرشدًا. ب -........ الجو ملبدًا بالغيوم ح -...... الجنةَ تحت أقدام أمكَ. ج -....... الصدق منجيًا ط -....... البنتَ مدرسة. د -........ أخاك صديقًا لي ي - ...... الكتابَ سميري. هـ -....... أخوك زميلي في المدرسة. ك -....... الأصدقاء عونك في الشدة. و -......... الحارس مستيقظًا.

٦. ضع في المكان الخالي من كل مثال من الأمثلة الآتية اسمًا واضبطه بالشكل الكامل: أ. كان ...... جبارًا. ز. أمسى ...... فرحًا. ب -يبيت .... كئيبًا. ح -إن ...... ناضرة. ج -رأيت ...... مكفهرًا. ط - ليت .... طالع. د -علمت أن العدل .... ي -كأن .... معلم. ه -صار ... خبزًا ...... ك -ما زال .... صديقي. و -ليس .... عارًا. ل -إن .... واجبة.

٧. كون ثلاث جمل في وصف الكتاب، كل واحدة مشتملة على مبتدأ وخبر، ثم أدخل على كل جملة منها "كان" واضبط كلماتها بالشكل.

٨. كون ثلاث جمل في وصف المطر، كل واحدة تشتمل على المبتدأ والخبر، ثم أدخل على كل جملة منها "إن" واضبط كلماتها بالشكل.

٩. كون ثلاث جمل في وصف النهر، كل واحدة تشتمل على المبتدأ والخبر، ثم أدخل على كل جملة منها "رأيت" واضبط كلماتها بالشكل.

تدريب على الإعراب:

●أعرب الجمل الآتية: إن إبراهيم كان أمة، كأن القمر مصباح، حسبت المال نافعًا، ما زال الكتاب رفيقي.

●**الجواب:**

١. إن: حرف توكيد ونصب ينصب الاسم ويرفع الخبر، إبراهيم: اسم "إن" منصوب به، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، كان: فعل ماض ناقص، يرفع الاسم وينصب الخبر، واسمه ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره هو يعود على إبراهيم، أمة: خبر كان منصوب به، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، والجملة من كان واسمه وخبره في محل رفع خبر "إن".

٢. كأن: حرف تشبيه ونصب، ينصب الاسم ويرفع الخبر، والقمر: اسم كان منصوب به وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، ومصباح: خبر كأن مرفوع به، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

٣. "حسب": فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض لدفع كراهة توالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة، والتاء ضمير المتكلم فاعل حسب، مبني على الضم في محل رفع. "المال": مفعول أول لحسب منصوب به، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، و"نافعًا": مفعول ثان لحسب منصوب به، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

٤. ما: حرف نفي مبني على السكون، لا محل له من الإعراب، زال: فعل ماض ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر، الكتاب: اسم زال مرفوع به، وعلامة رفعه ضمة ظاهرة في آخره، رفيق: خبر زال منصوب به، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة لياء المتكلم، ورفيق مضاف وياء المتكلم مضاف إليه مبني على السكون في محل خفض.

الفوائد:

....

....

....

أسئلة على أقسام النواسخ:

-إلى كم قسم تنقسم النواسخ؟ ما الذي تعمله كان وأخواتها؟ إلى كم قسم تنقسم أخوات "كان" من جهة العمل؟ وإلى كم قسم تنقسم من جهة التصرف؟ ما الذي تعمله "إن" وأخواتها؟ ما الذي تدل عليه "كأن"، "وليت"؟ ما نعنى الاستدراك؟ ما معنى الترجي؟ ما معنى التوقع؟ ما الذي تعمله "ظننت" وأخواتها؟ إلى كم قسم تنقسم أخوات ظننت؟ هات ثلاث جمل مكونة من مبتدأ وخبر بحيث تكون الأولى من مبتدأ ظاهر، وخبر جملة فعلية، والثانية من مبتدأ ضمير لجماعة الذكور وخبر مفرد، والثالثة من مبتدأ ظاهر وجملة اسمية، ثم أدخل على كل واحدة من هذه الجمل "كان" و"لعل" و"زعمت".

-أعرب الأمثلة الآتية:(وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)، (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا)، (لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ).

الفوائد:

....

....

....

النعت

●قال:" باب النعت" النعت: تابع للمنعوت في رفعه ونصبه وخفضه، وتعريفه وتنكيره؛ قام زيدٌ العاقلُ، ورأيتُ زيداً العاقل، ومررت بزيد العاقل.

●وأقول:

١ -**النعت** في اللغة هو الوصف، وفي اصطلاح النحويين هو: التابع المشتق أو المؤوَّلُ بالمشتق، الموضِّح لمتبوعه في المعارف، المخصِّصُ له في النكرات.

٢ -**والنعتُ ينقسمُ إلى قسمين:** النعت الحقيقي، والنعت السببي:

-أما النعتُ الحقيقي فهو: ما رفع ضميرًا مستترًا يعود إلى المنعوت، نحو "جاء محمدٌ العاقلُ" فالعاقل: نعتٌ لمحمد، وهو رافع لضمير مستتر تقديره هو يعود إلى محمد.

-وأما النعت السببي فهو: ما رفع اسمًا ظاهرًا متصلًا بضمير يعود إلى المنعوت نحو "جاء محمدٌ الفاضلُ أبوه" فالفاضلُ: نعت لمحمد، وأبوه: فاعل للفاضل، مرفوع بالواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الخمسة، وهو مضاف إلى الهاء التي هي ضمير عائد إلى محمد.

٣ -**وحكم النعت:**

-أنه يتبع منعوته في إعرابه، وفي تعريفه أو تنكيره، سواءٌ أكان حقيقياً أم سببياً. ومعنى هذا أنه إن كان المنعوت مرفوعًا كان النعت مرفوعًا، نحو:" حضر محمدٌ العاقلُ" أو "حضر محمدٌ الفاضلُ أبوه"، وإن كان المنعوت منصوبًا كان النعت منصوبًا نحو:" رأيتُ محمدًا الفاضل" أو "رأيت محمدًا الفاضلُ أبوه"، وإن كان المنعوت مخفوضًا كان النعت مخفوضًا نحو:" نظرتُ إلى محمدٍ الفاضل" أو "نظرتُ إلى محمدٍ الفاضلِ أبوه"، وإن كان المنعوت معرفة كان النعت معرفة، كما في جميع الأمثلة السابقة، وإن كان المنعوت نكرة كان النعتُ نكرة، "رأيتُ رجلًا عاقلاً" أو "رأيت رجلًا عاقلًا أبوهُ".

-ثم إن كان النعت حقيقياً زاد على ذلك أنه يتبع منعوته في تذكيره أو تأنيثه، وفي إفراده أو تثنيته أو جمعه.

ومعنى ذلك أنه إن كان المنعوت مذكرًا كان النعتُ مذكرًا، نحو:" رأيتُ محمدًا العاقلُ" وإن كان المنعوتُ مؤنثًا كان النعتُ مؤنثًا نحو:" رأيتُ فاطمةَ المهذبةَ" وإن كان المنعوت مفردًا كان النعتُ مفردًا كما رأيت في هذين المثالين، وإن كان المنعوت مثنى كان النعت مثنى، نحو:" رأيت المحمدين العاقلين" وإن كان المنعوت جمعًا كان النعتُ جمعًا نحو:" رأيتُ الرجال العقلاءَ".

-أما النعتُ السببي فإنه يكون مفردًا دائمًا ولو كان منعوته مثنى أو مجموعًا تقول:" رأيتُ الوَلدينِ العاقلِ أبوهما" وتقول:" رأيتُ الأولاد العاقل أبوهم" ويتبع النعت السببي ما بعده في التذكير أو التأنيث، تقول:" رأيتُ البنات العاقل أبوهنَّ"، وتقول:" رأيتُ الأولاد العاقلة أُمُّهُم".

فتلخص من هذا الإيضاح أن النعت الحقيقي يتبع منعوته في أربعة من عشرة. واحد من الإفراد والتثنية والجمع، وواحد من الرفع والنصب والخفض، وواحد من التذكير والتأنيث، وواحد من التعريف والتنكير.

والنعت السببي يتبع منعوته في اثنين من خمسة: واحد من الرفع والنصب والخفض، وواحد من التعريف والتنكير، ويتبع مرفوعه الذي بعده في واحد من اثنين وهما التذكير والتأنيث، ولا يتبع شيئًا في الإفراد والتثنية والجمع، بل يكون مفردًا دائمًا وأبدًا، والله أعلم.

الفوائد:

....

....

....

المعرفة وأقسامها

●قال: والمعرفة خمسة أشياء: الاسم المضمر نحو: أنا وأنت، والاسم العلم نحو: زيدٌ ومكةُ، والاسم المبهمُ نحو: هذا وهذه وهؤلاء والاسم الذي فيه الألف واللام نحو: الرجلُ والغلامُ، وما أضيف إلى واحدٍ من هذه الأربعة.

●وأقولُ:

١ -اعلم أن الاسم ينقسم إلى قسمين الأول: النكرة. ستأتي. والثاني: المعرفة وهي: اللفظ الذي يدل على معَيَّنٍ.

٢ -**وأقسامها خمسة:**

١ -القسم الأول: المضمر أو الضمير، وهو ما دل على متكلم، نحو: أنا، أو مخاطب نحو: أنت، أو غائب نحو: هو، ومن هنا تعلم أن الضمير ثلاثة أنواع:

-النوع الأول: ما وضع للدلالة على المتكلم وهو كلمتان، وهما:" أنا" للمتكلم وحده، و "نحن" للمتكلم المعظِّم نَفسَهُ أو معه غيره.

-والنوع الثاني: ما وضع للدلالة على المخاطب وهو خمسة ألفاظ، وهي:" أنتَ" بفتح التاء للمخاطب المذكر المفرد، و"أنتِ" بكسر التاء للمخاطبة المؤنثة المفردة و"أنتما" للمخاطب المثنى مذكراً كان أو مؤنثاً و"أنتُم" لجمع الذكور المخاطبين، و"أنتُنَّ" لجمع الإناث المخاطبات.

-والنوع الثالث: ما وضع للدلالة على الغائب، وهو خمسة ألفاظ أيضًا، وهي:" هو" للغائب المذكر المفرد. و "هي" للغائبة المؤنثة المفردة، و "هُمَا" للمثنى الغائبُ مطلقاً، مذكراً كان أو مؤنثًا، و "هُم" لجمع الذكور الغائبين، و "هُنَّ" لجمع الإناث الغائبات. وتقدم هذا في بحث الفاعل وفي بحث المبتدأ والخبر.

٢ -القسم الثاني من المعرفة: العلمُ، وهو ما يدل على معين بدون احتياج إلى قرينة تكلم أو خطاب أو غيرهما، وهو نوعان: مذكر نحو "محمد" و"إبراهيم" و"جبل" ومؤنث نحو "فاطمة" و"زينب" و"مكة".

٣ -القسم الثالث: الاسم المبهم، وهو نوعان: اسمُ الإشارة، والاسمُ الموصول.

-أما اسم الإشارة: فهو: ما وضع ليدل على معين بواسطة إشارة حسية أو معنوية وله ألفاظ معينة، وهي:" هذا" للمذكر المفرد، "وهاتَانِ" أو "هاتينِ" للمثنى المؤنث، و"هؤلاء" للجمع مطلقًا.

-وأما الاسم الموصول فهو: ما يدل على معين بواسطة جملة أو شبهها. تذكر بعده ألبته وتسمى صِلة، وتكون مشتملة على ضمير يطابق الموصول ويسمى عائدًا، وله ألفاظ معينة أيضًا، وهي:" الذي" للمفرد المذكر، "التي" للمفردة المؤنثة، و "اللذان" أو "اللذين" للمثنى المذكر، و"اللتان" أو "اللتَينِ" للمثنى المؤنث، "الَّذين" لجمع الذكور، و"اللَّائي" لجمع الإناث.

٤ -القسم الرابع: المحلى بالألف واللام، وهو: كل اسم اقترنت به "أل" فأفادته التعريف من المضاف إليه، نحو "غُلامُكَ" و "غلامُ محمدٍ" و "غلامُ هذا الرجُلِ" و "غلامُ الذي زارنا أمسِ" و "غُلامُ الأستاذِ".

وأعرف هذه المعارف بعد لفظ الجلالة: الضميرُ، ثم العلمُ، ثم اسم الإشارة، ثم الاسمُ الموصول، ثم المحلى بأل، ثم المضاف إليها. والمضاف في رتبة المضاف إليه، إلا المضاف إلى الضمير فإنه في رتبة العلم، والله أعلم.

الفوائد:

....

....

....

النكرةُ

قال: والنكرةُ: كلُ اسم شائعٍ في جنسه لا يختصُّ به واحدٌ دون آخر، وتقريبُهُ: كل ما صَلَحَ دخولُ الألِفِ واللامِ عليه، نحوُ ارجُلِ والفَرَسِ.

●وأقول:

- كل اسم وضع لا ليخصَّ واحدًا بعينه من بين أفراد جنسه، بل ليصلح إطلاقُهُ على كل واحدٍ على سبيل البدل، نحو "رجل" و "امرأة"؛ فإن الأولى يصح إطلاقه على ذكر بالغ من بني آدم، والثاني يصح إطلاقه على كل أنثى بالغة من بني آدم.

-وعلامة النكرة أن تصلح لأن تدخُلَ عليها "أل" وتؤثر فيها التعريف نحو "رجل" فإنه يصح دخول "أل" عليه، وتؤثر فيه التعريف؛ فتقول:" الرجل" وكذلك "غلام، جارية، وصبي، ومعلم" فإنك تقول:" الغلام، والجارية، والصبي، والفتاة، والمعلم".

تمرينات

١. ضع كل اسم من السماء الآتية في ثلاث جمل مفيدة، بحيث يكون مرفوعاً في واحدة، ومنصوباً في الثانية، ومخفوضاً في الثالثة، وانعت ذلك الاسم في كل جملة بعت حقيقي مناسب: الرجلان ...... محمد .... العصفور .... الأستاذ .... فتاة .... زهرة .... المسلمون .... أبوك.

٢. ضع نعتًا مناسبًا في كل مكان من الأمكنة الخالية في الأمثلة الآتية، واضبطه بالشكل:

أ) الطالب.... يُحِبُّهُ أُستاذه   ح) لقيت رجلاً.... فتصدقت عليه

ب) الفتاة.... تُرضي والديها   ط) سكنت في بيت....

ج) النيل.... يخصب الأرض   ي) ما أحسَنَ الغرَف....

د) أنا أحب الكتب....   ك) عند أخي عصاً....

ه) وطني مصرُ....   ل) أهديتُ إلى أخي كتاباً....

و) الطلاب.... يخدمون بلادهم   م) الثيابَ.... لَبُوس الصيف

ز) الحدائق.... للتنزه

٣. ضع منعوتًا مناسبًا في كل مكان من الأماكن الآتية، واضبطه بالشكل:

أ) .... المجتهد يحبه أستاذه   ح) رأيت .... بائسة فتصدقت عليها

ب) ...... العالمون يخدمون أمتهم. ط) .... القارس لا يحتمله الجسم

ج) أنا أحب .... النافعة   ي) .... المجتهدون يخدمون الشريعة.

د) .... الأمين ينجح نجاحاً باهراً   ك) أفدت من آثار...... المتقدمين

ه) ... الشديدة تقتلع الأشجار   ل) ... العزيزة وطني.

و) قطفت ... ناضرة

٤أوجِد منعوتًا مناسبًا لكل من النعوت الآتية، ثم استعمل النعت والمنعوت جميعًا في جملة مفيدة، واضبط آخرهما بالشكل: الضخم، المؤدبات، الشاهقة، العذبة، الناضرة، العقلاء، البعيدة، الكريم، الأمين، العاقلات، المهذبين، شاسع، واسعة.

الفوائد:

....

....

....

تدريب على الإعراب:

● إعراب الجمل الاتية: "الكتاب جليس ممتع"، "الطالب المجتهد يحبه أستاذه"، "الفتيات المهذبات يخدمن بلادهنِّ"، "شربت من الماء العذب".

الجواب:

١ـالكتاب: مبتدأ مرفوع بالابتداء، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره. -جليس: خبر المبتدأ، مرفوع بالمبتدأ وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره. -ممتع: نعت لجليس، ونعت المرفوع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره

٢ـالطالب: مبتدأ مرفوع بالابتداء، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره. المجتهد: نعت للطالب، ونعت المرفوع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره. يحب: فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره، والهاء: ضمير الغائب مفعول به، مبني على الضم في محل نصب. أستاذ: فاعل يحب مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره، وأستاذ مضاف والهاء ضمير الغائب مضاف إليه، مبني على الضم في محل خفض، والجملة من الفعل وفاعله في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو الطالب، والرابط بين المبتدأ وجملة الخبر هو الضمير المنصوب في "يحبه".

٣. الفتيات: مبتدأ مرفوع بالابتداء، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. المهذبات: نعت للفتيات، ونعت المرفوع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. يخدم: فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، ونون النسوة فاعل، مبني على الفتح في محل رفع. بلاد: مفعول به ليخدم منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وبلاد مضاف وهن ضمير جماعة الإناث الغائبات مضاف إليه، مبني على الفتح في محل خفض، والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو الفتيات، والرابط بين المبتدأ وجملة الخبر هو: نون النسوة في " يخدمن".

٤. شرب: فعل ماض والهاء ضمير المتكلم فاعل، مبني على الضم في محل رفع. من: حرف جر، مبني على السكون لا محل له من الإعراب. الماء: مجرور بمن، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلق بشرب. العذب: نعت للماء، ونعت المجرور مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة في آخره.

أسئلة على ما تقدم:

ما هو النعت؟ إلى كم قسم ينقسم النعت؟ ما هو النعت الحقيقي؟ ما هو النعت السببي؟ ما هي الأشياء التي يتبع فيها النعت الحقيقي منعوته؟ ما الذي يتبعه النعت السببي في التذكير والتأنيث؟ ما هي المعرفة؟ ما هو الضمير؟ ما هو العلم؟ ما هو اسم الإشارة؟ ما هو الاسم الموصول؟ مثل لكل من الضمير، العلم، اسم الإشارة، والاسم الموصول بثلاثة أمثلة في جملة مفيدة.

حروف العطف

●قال:" باب العطف"، وحروف العطف عشرة، وهي: الواو، والفاء، وثمَّ، وأو، وأم، وإمَّا، وبل، ولا، ولكن، وحتى في بعض المواضع.

وأقول:

١ -للعطف معنيان: أحدهما لغوي والآخر اصطلاحي. أما معناه لغة فهو: الميل، تقول: عطف فلان على فلان يعطف عطفاً، تريد أنه مال إليه وأشفق عليه. وأما العطف في الاصطلاح فهو قسمان: الأول: عطف البيان، والثاني: عطف النسق.

أ -فأما عطف البيان فهو:" التابع الجامد الموضَّح لمتبوعه في العارف المخصص له في النكرات" فمثال عطف البيان في المعارف "جاءني محمد أبوك" فأبوك: عطف بيان على محمد، وكلاهما معرفة، والثاني في المثال موضِّح للأول، ومثاله في النكرات قوله تعالى:(مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) فصديد عطف بيان على الماء، وكلاهما نكرة، والثاني في المثال مخصِّص للأول.

ب -وأما عطف النسق فهو:" التابع الذي يتوسط بينه وبين متبوعه أحدُ الحروف العشرة، وهذه الحروف هي:

-الواو، وهي لمطلق الجمع؛ فيُعطف بها المتقارنان، نحو:" جاء محمدٌ وعليٌّ" إذا كان مجيئها معًا، ويعطف بها المتأخر على السابق، نحو:" جاء علي ومحمود" إذا كان مجيءِ محمودٍ سابقًا على مجيءِ عليٍّ، ويعطف بها المتأخر على السابق، نحو:" جاء علي ومحمد" إذا كان مجيءُ محمد متأخرًا عن مجيءِ عليٍّ.

-الفاءُ، وهي للترتيب والتعقيب، ومعنى الترتيب: أن الثاني بعد الأول، ومعنى التعقيب: أنه عقيبهُ بلا مُهلة، نحو:" قدِمَ الفرسان فالمشاةُ" إذا كان مجيء الفرسان ولم يكن بين قدوم الفريقين مهلة.

-ثمَّ، وهي للترتيب مع التراخي، ومعنى الترتيب قد سبق، ومعنى التراخي: أن بين الأول والثاني مُهلة، نحو:" أرسل الله موسى ثمَّ عيسى ثمَّ محمدًا عليهم الصلاة والسلام".

-أوْ، وهو للتأخير أو الإباحة، والفرق بينهما أن التخيير لا يجوز معه الجمع. والإباحة يجوز معها الجمع؛ فمثال التخيير "تزوَّج هندًا أو أختها"، ومثال الإباحة "أدرس الفقه أو النحو" فإن لديك من الشرع دليلًا على أنه لا يجوز الجمع بين هند وأختها بالزواج، ولا تشكُّ في أنه يجوز الجمع بين الفقه والنحو بالدراسة.

-أمْ، وهي لطلب التعيين بعد همزة الاستفهام نحو:" أدرست الفقه أمِ النحو؟".

-إمَّا، بشرط أن تسبق بمثلها، وهيْ مثل "أو" في المعنيين، نحو قوله تعالى:(فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) [محمد:٤]، ونحو:" تزوج إمَّا هندًا وإمَّا أُختها".

-بل، وهي للإضراب، ومعناهُ جعلُ ما قبلها في حكم المسكوت عنه، نحو:" ما جاء محمدٌ بل بَكرٌ" ويشترط للعطف بها شرطان؛ الأول: أن يكون المعطوف بها مفردًا لا جملة، والثاني: ألا يسبقها استفهام.

-لا، وهي تنفي عما بعدها نفسَ الحكم الذي ثبت لما قبلها نحو:" جاء بكرٌ لا خالدٌ".

-لكن، وهي تدلُ على تقرير حكم ما قبلها وإثبات ضده لما بعدها، نحو:" لا أحبُّ الكسالى لكنِ المجتهدين" ويشترط أن يسبقها نفي أو نهي، وأن يكون المعطوف بها مفردًا، وألا تسبقها الواو.

-حتَّى، وهي للتدريج والغاية، والتدريج: هو الدلالة على انقضاء الحكم شيئاً فشيئاً، نحو: " يَموتُ الناسُ حتَّى الأنبياءُ ". وتأتي "حتَّى" ابتدائية غير عاطفة، إذا كان ما بعدها جملة، نحو:" جاء أصحابُنا حتى خالد حاضر" وتأتي جارة نحو قوله تعالى:(حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) ولهذا قال المؤلف:" وحتَّى في بعض المواضع".

الفوائد:

....

....

....

حكم حروف العطف:

●**قال: فإن عطفت على مرفوع رفعت، أو على منصوب نُصبت، أو على مخفوض خفضت، أو على مجزوم جزمت، تقُولُ:" قام زيد وعمرٌو، ورأيتُ زيدًا وعمرًا، ومررتُ بزيدٍ وعمرٍو، وزيدٌ لم يقُم ولم يقعُدْ".**

●**وأقول:**

هذه الأحرف العشرة تجعل ما بعدها تابعًا لما قبلها في حكمه الإعرابي، فإن كان المتبوع مرفوعاً كان التابع مرفوعًا، نحو:" قابلني محمد وخالد" فخالد: معطوف على محمد، والمعطوف على المرفوع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وإن كان المتبوع منصوباً كان التابع منصوبًا، نحو:" قابلت محمداً وخالدًا" فخالدًا معطوف على محمد، والمعطوف على المنصوب منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وإن كان المتبوع مخفوضًا كان التابع مخفوضاً مثله، نحو:" مررت بمحمدٍ وخالد" فخال معطوف على محمد، والمعطوف على المخفوض مخفوض، وعلامة خفضه الكسرة الظاهرة، وإن كان المتبوع مجزومًا كان التابع مجزومًا أيضًا، نحو:" لمْ يَحْضُر خالد أو يُرسِل رسُولًا" فيرسل: معطوف على يحضر، والمعطوف على المجزوم مجزوم، وعلامة جزمه السكون. ومن هذه الأمثلة تعرف أن الاسم، وأن الفعل يُعْطفُ على الفعل.

تمرينات:

ضع معطوفًا مناسبًا بعد حروف العطف المذكورة في الأمثلة الآتية:

أ) ما اشتريت متابًا بل .... هـ) سافرت يوم الخميس و ....

ب) ما أكلت تفاحًا لكن .... و) خرج من بالمعهد حتى ....

ج) بنى أخي بيتًا و .... ز) صاحِبِ الأخيار لا ....

د) حضر الطلاب فـ .... ح) ما زرت أخي لكن ....

٢. ضع معطوفاً عليه مناسباً في الأماكن الخالية من المثلة الآتية:

أ) كل من الفاكهة .... لا الفجَّ هـ) نظم .... وأدواتِك.

ب) بقي عندك أبوك ..... أو بعض يوم. و) رحلتُ إلى .... فالإسكندرية.

ج) ما قرأت الكتاب .... بل بعضه. ز) يعجبني .... لا قولُه.

د) ما رأيت .... بل وكيله. ح) أيهما تفضل .... أم الشتاء.

٣اجعل كل كلمة من الكلمات الآتية في جملتين، بحيث تكون في إحداهما معطوفًا وفي الثانية معطوفًا عليه: العلماءُ، العِنبُ، القَصر، القاهرةُ، يسافر، يأكل، المجتهدون، الأتقياء، أحمد، عمر، أبو بكر، اقرأ، كتَبَ.

تدريب على الإعراب:

●أعرب الجمل الآتية: ما رأيت محمدًا لكن وكيله، زارنا أخوك وصديقه، أخي يأكل ويشرب كثيرًا.

●الجواب:

١. ما: حرف نفي، مبني على السكون لا محل له من الإعراب: رأى من رأيت: فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون. والتاءُ ضمير المتكلم فاعل، مبني على الضم في محل رفع. محمدًا: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. لكن: حرف عطف. وكيل: معطوف على محمد، والمعطوف على المنصوب منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، ووكيل مضاف والهاء ضمير الغائب مضاف إليه، مبني على الضم في محل جر.

٢. زار: فعل ماض مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، وأنا: مفعول به مبني على السكون في محل نصب. أخو: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الخمسة، وأخو مضاف والكاف ضمير المخاطب مضاف إليه مبني على الفتح في محل خفض، والواو حرف عطف، وصديق معطوف على أخو، والمعطوف على المرفوع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. وصديق: مضاف والهاءُ ضمير الغائب مضاف إليه، مبني على الضم في محل خفض.

٣.أخ من أخي: مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، وأخ مضاف وياءُ المتكلم مضاف إليه، مبني على السكون في محل خفض. يأكل: فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره هو يعود على أخي، والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر المبتدأ، والرابط بين جملة الخبر والمبتدأ هو الضمير المستتر في "يأكل" والواو حرف عطف. يشرب: فعل مضارع معطوف على يأكل، والمعطوف على المرفوع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. كثيرًا: مفعول به ليأكل، منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

أسئلة:

-ما هو العطف؟ إلى كم قسم ينقسم العطف؟ ما هو عطف البيان؟ مثّل لعطف البيان بمثالين. ما هو عطف النسق؟ ما معنى "الواو"؟ ما معنى "أم"؟ ما معنى "إمَّا"؟ ما الذي يشترط للعطف "ببل"؟ ما الذي يشترط للعطف "بلكن"؟ فيم يشترك المعطوف والمعطوف عليه؟

-أعرب الأمثلة الآتية، وبين المعطوف والمعطوف عليه، وأداة العطف (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ) [يونس:٩٠]، (فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) [الروم:٣٨]، (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الحاقة:١].

(وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ)، (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى) (وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى) (وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى) [الضحى] (ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ) (ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ).

التوكيد

● **قال:" باب التوكيد" التوكيد:" تابعٌ للمُؤكدِّ في رفعه ونصبه وخفضِه وتعريفه".**

● **أقول:**

١ -التأكيد -ويقال التوكيد - معناه في اللغة: التقوية، تقول:" أكَّدتُ الشيء" وتقول: "وكَّدتُه" أيضًا: إذا قويتُه. وهو في اصطلاح النحويين نوعان، الأول: التوكيد اللفظي، والثاني: التوكيد المعنوي.

٢ -أما التوكيد اللفظي: فيكون بتكرير اللفظ وإعادته بعينه أو بمرادفه، سواء كان اسمًا نحو:" جاء محمدٌ محمدٌ" أم كان فعلًا نحو "جاء جاء محمد" أم كان حرفا نحو "نَعَمْ نعَمْ جاء محمد" ونحو:" جاء حضر أبو بكر" و "نَعَمْ جَيْرَ جاء محمدٌ".

٣ -وأما التوكيد المعنوي فهو:" التابع الذي يرفع احتمال السهو أو التوسع في المتبوع"، وتوضيح هذا أنك لو قلت:" جاء الأميرُ" احتمل أنك سهوت أو توسعت في الكلام، وأن غرضك مَجِيءُ رسولِ

الأمير، فإذا قلت:" جاء الأميرُ نفسُهُ" أو قلت:" جاء الأميرُ عينُهُ" ارتفع الاحتمالُ وتقرر عند السامع أنك لم تُرِد إلا مجيءَ الأمير نفسه.

وحكمُ هذا التابع أنه يوافق متبوعه في إعرابه، على معنى أنه إن كان المتبوع مرفوعًا كان التابع مرفوعًا أيضًا، نحو:" حضر خالدٌ نفسُهُ" وإن كان المتبوع منصوبًا كان التابع منصوبًا مثله، نحو:" حفظتَ القرآنَ كُلَّهُ" وإن كان المتبوع مخفوضًا كان التابع مخفوضًا كذلك، نحو:" تدبرتُ في الكتاب كُلِّه" ويتبعه أيضًا في تعريفه، كما ترى في الأمثلة كلها.

الفوائد:

....

....

....

ألفاظ التوكيد المعنوي

●**قال: ويكون بألفاظ معلومة، وهي: النفسُ، والعين، وكلُّ، وأجمعُ، وتوابعُ أجمعُ، وهي: أكتعُ، وأبتعُ، وأبصعُ، تقولُ:" قام زيدٌ نفسهُ، ورأيتُ القومَ كُلَّهم، ومررت بالقوم أجمعينَ".**

●**وأقول:**

١ - للتوكيد المعنوي ألفاظ معينة عَرَفها النُحاةُ من تتبُّع كلام العرب ومن هذه الألفاظ: النفسُ والعينُ، ويجب أن يضاف كل واحدٍ من هذين إلى ضمير عائدٍ على المؤَكَدِ بفتح الكاف فإن كان المؤكد مفردًا كان الضمير مفردًا، ولفظ التوكيد مفردًا أيضًا، تقول:" جاء عليٌ نفسُهُ"، "حضر بكرٌ عينُهُ"، وإن كان المؤكد جمعًا كان الضمير هو الجمع ولفظُ التوكيد مجموعًا أيضًا، تقول:" جاء الرجالُ أنفسُهُم"، "وحضر الكتَّابُ أعينهم"، وإن كان المؤكد مثنى؛ فالأفصح أن يكون الضمير مثنى، ولفظ التوكيد مجموعًا، تقول: حضر الرجلان أنفسُهما" و "جاء الكاتبان أعينهما".

٢ -ومن ألفاظ التوكيد:" كلُّ"، ومثلُهُ "جميعٌ" ويشترط فيهما إضافة كل منهما إلى ضمير مطابق للمؤكد، نحو:" جاء الجيشُ كلهُ" و "حضر الرجالُ جميعُهُم". ومن الألفاظ "أجمعُ" ولا يؤكد بهذا اللفظ غالباً إلا بعد لفظ "كلٍّ" ومن الغالب قوله تعالى:(فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) ومن غير الغالب قول الراجز:" إذا ظَلِلْتُ الدَّهرَ أبكي أجمعَا" وربما احتيج إلى زيادة التقوية، فجيء بعد أجمع بألفاظ أخرى، وهي:" أكتَعُ" و "أبتعُ" و "أبصعُ" وهذه الألفاظ لا يؤكَّدُ بها استقلالًا، نحو:" جاء القومُ أجمعون، أكتعون، أبتغون، أبصعون" والله أعلم.

تدريب على الإعراب:

●أعرب الجمل الآتية: "قرأت الكتاب كلَّهُ"، "زارنا الوزيرُ نفسُهُ"، "سلمت على أخيك عينه"، "جاء رجال الجيش أجمعون".

١. قرأ: فعل ماض، مبني على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض لدفع كراهة توال أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة، والتاء ضمير المتكلم فاعل، مبني على الضم في محل رفع، والكتاب مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وكل: توكيد للكتاب، وتوكيد المنصوب منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وكل مضاف والهاء ضمير الغائب مضاف إليه، مبني على الضم في محل خفض.

٢. زار: فعل ماض مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، ونا مفعول به مبني على السكون في محل نصب، والوزير: فاعل زار مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره، ونفس: توكيد للوزير، وتوكيد المرفوع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، ونفس مضاف والهاء ضمير الغائب مضاف إليه، مبني على الضم في محل خفض.

٣ -سلمت: فعل وفاعل، على: حرف خفض مبني على السكون لا محل له من الإعراب، أخي: مخفوض بعلى، وعلامة خفضه الياء نيابة عن الكسرة لأنه من الأسماء الخمسة، وأخي مضاف والكاف ضمير المخاطب مضاف إليه، مبني على الفتح في محل خفض، عين: توكيد لأخي، وتوكيد المخفوض مخفوض، وعلامة خفضه الكسرة الظاهرة، وعين مضاف والهاء ضمير الغائب مضاف إليه، مبني على الكسر في محل خفض.

٤ -جاء: فعل ماض مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، رجال: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره، ورجال مضاف، والجيش: مضاف إليه مخفوض، وعلامة خفضه الكسرة الظاهرة، وكل: توكيد لرجال، وتوكيد المرفوع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وكل مضاف، وهم: ضمير جماعة الغائبين مضاف إليه، مبني على السكون في محل خفض، أجمعون: توكيد ثان مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه جمع مذكر سالم.

أسئلة:

-ما هو التوكيد؟ إلى كم قسم ينقسم التوكيد؟ مثل بثلاثة أمثلة مختلفة للتوكيد اللفظي، ما هي الألفاظ التي تستعمل في التوكيد المعنوي؟ ما الذي يشترط للتوكيد بالنفس والعين؟ ما الذي يشترط للتوكيد بكل، وجميع؟ هل يستعمل " أجمعون " في التوكيد غير مسبوق بكل؟

-أعرب الأمثلة الآتية: أيُّ إنسانٍ تُرضى سجاياهُ كُلّها؟ الطلاب جميعُهم فائزون، رأيتُ عليًّا نفسه، زرت الشيخين أنفُسَهُما.

الفوائد:

....

....

....

....

البدل وحكمه

●قال: إذا أُبدل اسمٌ من اسمٍ أو فعلٌ من فعلٍ تَبِعه في جميع إعرابِهِ.

●وأقول:

١ -البدل معناه في اللغة: العِوَضَ، تقول: استبدلتُ كذا بكذا، وأبدلتُ كذا من كذا؛ تريد أنك استعضتهُ منه. وهو في اصطلاح النحويين "التابع المقصود بالحكم بلا واسطة".

٢ -وحكمه أنه يتبع المبدل منه في إعرابه، على معنى أنه إن كان المبدل منه مرفوعًا كان البدلُ مرفوعًا، نحو:" حضر إبراهيمُ أبوكَ" وإن كان المبدل منه منصوبًا كان البدل منصوبًا، نحو:" قابلت إبراهيمَ أخاك" وإن كان المبدل منه مخفوضًا كان البدلُ مخفوضاً، نحو:" أعجبتني أخلاق محمدٍ خالِكَ" وإن كان المبدل منهى مجزوماً كان البدل مجزومًا، نحو:" من يشكر ربَّهُ يسجد له يَفُزْ".

أنواع البدل

●قال: وهو على أربعةِ أقسام: بدلُ الشيء من الشيء، وبدلُ البعضِ من الكل، وبدل الاشتمالِ، وبدل الغلطِ، نحو قولك:" قام زيدٌ أخوكَ"، "أكلتُ الرغيفَ ثُلُثَه"، "نفعني زيدٌ علمُهُ"، "ورأيتُ زيداً الفرسَ"، أردت أن تقول الفرَسَ فَغَلِطت فأبدلت زيدًا منه.

●وأقول: البدلُ على أربعة أنواع:

١ -النوع الأول: بدل الكل من الكل، ويسمى البدل المطابق، وضابطه: أن يكون البدل عينَ المبدل منه، نحو:" زارني محمدٌ عمُكَ".

٢ -النوع الثاني: بدل البعض من الكل، وضابطه: أن يكون البدل جزءًا من المبدل منه، سواءٌ أكان أقلَّ من الباقي أم مساويًا له أم أكثر منه، نحو:" حفظت القرآنَ ثُلُثَه" أو "نصفه" أو "ثلثَيهِ" ويجب في هذا النوع أن يضاف إلى ضمير عائدٍ إلى المبدل منه، كما رأيت.

٣ -النوع الثالث: بدلُ الاشتمال، وضابطه: أن يكون بين البدل والمبدل منه ارتباط بغير الكلية والجزئية، ويجب فيه إضافة البدل إلى ضمير عائد إلى المبدل منه أيضاً، نحو:" أعجبتني الجاريةُ حديثُهَا" و "نَفَعني الأستاذ حُسنُ أخلاقِهِ".

٤ -النوع الرابع: بدل الغلطِ، وهذا النوع على ثلاثة أضرب:

أ -بدل البَداءِ، وضابطه: أن تقصد شيئًا فتقوله، ثم يظهر لك أن غيره أفضلُ منه فتعدل إليه، وذلك كما لو قلت:" هذه الجارية بدرٌ" ثم قلت بعد ذلك:" شمسٌ".

ب -بدل النسيان، وضابطه: أن تبني كلامك في الأول على ظنٍّ، ثم تعلم خطأَهُ فتعدل عنه، كما لو رأيت شبحًا من بعيد فظننته إنساناً فقلت:" رأيتُ إنسانًا" ثم قرب منك فوجَدْتَه "فرسًا" فقلت:" فرسًا".

ت -بدل الغلط، وضابطه: أن تريد كلامًا فيسبق لسانُك إلى غيره وبعد النطق تعدل إلى ما أردتَ أوّلًا، نحو:" رأيت محمداً الفرسَ".

تمرينات:

١ -ميز أنواع البدل:" سرتني أخلاقُ محمدٍ جَارِنَا، رأيتُ السفينة شِراعَهَا، بَشَّرتني أختي فاطمة بمجيءِ أبي، أعجبتني الحديقة أزهارُها، هالني الأسدُ زَئِيرُهُ، شربت ماءً عسلًا، ذهبتُ إلى البيتِ المسجد، ركبت القطار الفرس".

٢. ضع في كل مكان من المكنة الخالية بدلًا مناسبًا، واضبطه بالشكل:

أ. أكرمتُ إخوَتَكَ .... وكبيرهم. جـ احترم جميع أهلك ...... ونساءهم.

بـ جاءَ الحُجَّاجُ .... ومُشاتُهم. د. اجتمعت كلمة الأمة.......... وشِيبُهَا.

٣. ضع في كل مكان من الأمكنة الخالية بدلاً مطابقاً مناسباً واضبطه بالشكل:

أ. كان أمير المؤمنين .... مثالاً للعدل. ج - يسر الحَاكِمُ .... أن ترقى أُمَّتُهُ.

ب -اشتهر خليفة النبي .... برقة القلب. د -سافر أخي .... إلى الإسكندرية.

٤ضع في كل مكان من الأمكنة الخالية بدل اشتمالٍ مناسبًا، واضبطه بالشكل: راقتني حديقة دارك .... فرحت بهذا الطالب .... أعجبني الأستاذ ..... أحببت محمدًا ..... وثِقتُ بصديقك ..... رضيت خالدًا .....

٥ -ضع في كل مكان من الأمكنة الخالية مبدلًا منه مناسبًا، واضبطه بالشكل، ثم بين نوع البدل: نفعني .... علمه. إن .... أباك تكرِمهُ تُفلِح. اشتريت .... نصفها. أحببت محمدًا .... زارني .... محمد. رحلت رحلة طويلة ركبت فيها .... سيارة.

أسئلة

-ما هو البدلُ؟ فيما يتبع البدل المبدل منه؟ إلى كم قسم ينقسم البدل؟ ما الذي يشترط في بدل البعض وبدل الاشتمال؟ ما هو بدل الغلط؟ وما أقسامه؟ وما ضابط كل قسم؟

-أعرب الأمثلة الآتية:" رسول الله محمد خاتم النبيين، عَجَزَ العربُ عن الإتيانِ بالقرآنِ عشرِ آياتٍ منه، أعجبتني السماء نُجُومُهَا".

عدد المنصوبات، وأمثلتها

●**قال:" منصوبات الأسماء" المنصوباتُ خمسة عشر، وهيَ: المفعولُ بِهِ، والمصدرُ، وظرفُ الزمانِ، وظرفُ المكانِ، والحال، والتمييزُ، والمُستثنى، واسم لا، والمُنادى، والمفعول من أجله، والمفعولُ معهُ، وخبرُ كان وأخواتِها، واسم إن واخواتها، والتابعُ للمنصوب، وهو أربعة أشياء: النَّعتُ، والعطفُ، والتوكيدُ، البدلُ.**

●**أقول:**

ينصبُ الاسمُ إذا وقع في موقع من خمسة عشر موقعًا. وسنتكلم عن كل واحد من هذه المواقع في باب يخصه، على النحو الذي سلكناه في أبواب المرفوعات، ونضرب لها ههنا الأمثلة بقصد البيان والإيضاح.

١أن يقع مفعولًا به، نحو "نوحًا" من قوله تعالى:(إنا أرسلنا نوحًا).

٢أن يقع مصدرًا، نحو "جذلاً" من قولك:" جَذِلَ محمدٌ جذلاً".

٣أن يكون ظرف مكان أو ظرف زمان؛ فالأول نحو "أمام الأستاذ" من قولك:" جلست أمام الأستاذ" والثاني نحو "يوم الخميس" من قولك:" حضر أبي يوم الخميس".

٤أن يقع حالاً، نحو (ضَاحِكًا) من قوله تعالى:(فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا).

٥ -أن يقع تميزًا، نحو "عَرَقًا" من قولك:" تصبب زيدٌ عرقًا".

٦ -أن يقع مستثنى، نحو "محمدًا" من قولك:" حضر القوم غلا محمداً".

٧ -أن يقع اسمًا لـ(لا) النافية، نحو "طالب علم" من قولك:" لا طالب علم مذموم".

٨ -أن يقع منادى، نحو، "رسول الله" من قولك:" يا رسول الله".

٩ -أن يقع مفعولًا لأجله، نحو "تأديبًا" من قولك:" عنَّف الأستاذ التلميذ تأديبًا".

١٠ -أن يكون مفعولًا معه، نحو "المصباح" من قولك:" ذاكرت والمصباح".

١١ -أن يقع خبرًا لكان أو إحدى أخواتها أو اسمًا لأن أو إحدى أخواتها؛ فالأول نحو "صديقًا" من قولك:" كلن إبراهيم صديقًا لعلي"، والثاني نحو "محمدًا" من قولك "ليت محمدًا يزورونا".

١٢ -أن يقع نعتاً لمنصوب، نحو "الفاضل" من قولك:" صاحبت محمداً الفاضل".

١٣ -أن يقع معطوفًا على منصوب، نحو "بكرًا" من قولك:" ضرب خالد عمرًا وبكرًا".

١٤ -أن يقع توكيدًا لمنصوب، نحو "كُلَّهُ" من قولك:" حفظت القرآن كله".

١٥ -أن يقع بدلًا من منصوب، نحو "نصفه" من قوله تعالى:(قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ❖ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا).

الفوائد:

....

....

....

المفعول بـه

●قال:" باب المفعول به" وهو: الاسم، المنصوب، الذي يقع عليه الفعل، نحو قولك:" ضربتُ زيدًا وركبت الفرسَ".

●وأقول:

المفعول به يطلق عند النحويين على ما استجمع ثلاثةَ أمور:

الأول: أن يكون اسمًا؛ فلا يكون المفعول به فعلًا أو حرفًا.

والثاني: أن يكون منصوبًا؛ فلا يكون المفعول به مرفوعًا ولا مجرورًا.

والثالث: أن يكون فعل الفاعل قد وقع عليه، والمراد بوقوعه عليه تَعَلُّقه به، سواء أكان ذلك من جهة الثبوت، نحو "فهمت الدرسَ" أم كان على جهة النفي، نحو "لم أفهم الدرس".

أنواع المفعول بـه

قال: وهو قسمان: ظاهر، ومضمر؛ فالظاهر ما تقدم ذكره، والمضمر قسمان: متصل، ومنفصل، فالمتصل اثنا عشر، وهي: ضَرَبَني، وضربنا، وضربكَ، وضربكِ، وضربكما، وضربكنَّ، وضربهُ، وضَرَبَها، وضربهما، وضربهم، وضربهنَّ. والمنفصل اثنا عشر، وهي: إيَّاي، وإيانا، وإياكَ، وإياكما، وإياكم، وإياكنَّ، وإياهُ، وإياها، وإياهما، وإياهم، وإياهن.

وأقول:

١ -ينقسم المفعول به إلى قسمين: الأول الظاهر، والثاني: المضمر. وقد عرفت أن الظاهر ما يدل على معناه بدون احتياج إلى قرينة تكلم أو خطاب أو غيبة، وأن المضمر ما لا يدل على معناه إلا بقرينة من هذه القرائن الثلاث؛ فمثال الظاهر "ضرب محمد بكرًا" و"يضرب خالد عمرًا" و"قطف إسماعيلُ زهرةً" و"يقطف إسماعيلُ زهرة".

٢ -وينقسم المضمر المنصوب إلى قسمين: الأول المتصل؛ والثاني المنفصل. أما المتصل فهو: ما لا يُبتدأُ به الكلام ولا يصح وقوعه بعد "إلا" في الاختيار، وأما المنفصل فهو: ما يُبتدأُ به الكلام ويصح وقوعه بعد "إلا" في الاختيار.

٣ -وللمتصل اثنا عشر لفظًا:

-الياءُ، وهي للمتكلم الواحد، ويجب أن يُفصلَ بينها وبين الفعل بنونٍ تسمى نون الوقاية، نحو "أطاعني محمدٌ"، و"يطيعني بكرٌ" و"أطِعني يا بكرُ".

-"نا" وهو للمتكلم المعظم نفسه أو معه غيره، نحو "أطاعنا أبناؤنا".

-الكاف المفتوحة وهي للمحاطب المفرد المذكر، نحو "أطاعكَ ابنُك".

-الكاف المكسورة وهي للمخاطبة المفردة المؤنثة، نحو "أطاعكِ ابنكِ".

-الكاف المتصل بها الميم والألف، وهي للمثنى المخاطب مطلقًا نحو "أطاعَكُما".

-الكاف المتصل بها الميم وحدها، وهي لجماعة الذكور المخاطبين، نحو" أطاعكم "

-الكاف المتصل بها النون المشددة، وهي لجماعة الإناث المخاطبات نحو" أطاعكنَّ".

-الهاء المضمومة، وهي للغائب المفرد المذكر، نحو "أطاعَهُ".

-الهاءُ المتصل بها الألف، وهي للغائبة المفردة المؤنثة نجو "أطاعها".

-الهاءُ المتصل بها الميم والألف، وهي للمثنى الغائب مطلقاً نحو "أطاعهما".

-الهاءُ المتصل بها الميم وحدها، وهي لجماعة الذكور الغائبين نحو"أطاعهم".

-الهاءُ المتصل بها النون المشددة، وهي لجماعة الإناث الغائبات، نحو "أطاعهن".

٤ -وللمنفصل: اثنا عشر لفظاً، وهي:" إيَّا" مُردَفَةً بالياء للمتكلم وحده، أو "نا" للمعظم نفسهُ، أو مع غيره، أو بالكاف مفتوحة للمخاطب المفرد المذكر، أو بالكاف مكسورة للمخاطبة المفردة المؤنثة، ولا يخفى عليك معرفة الباقي. والصحيح أن الضمير هو "إيَّا" وأن ما بعده لواحق تدلُ على التكلم أو الخطاب أو الغيبة، تقول:" إيَّايَ أطاعَ التلاميذ" و "ما أطاع التلاميذ إلا إيَّايَ" ومنه قوله تعالى:(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وقوله سبحانه:(أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ).

تمرينات:

١. ضع ضميرًا منفصلًا مناسبًا في كل مكان من الأمكنة الخالية ليكون مفعولًا به، ثم بين معناه بعد أن تضبطه بالشكل:

- أيها الطلبة .... ينتظر المستقبل. أيها المؤمنون .... يثيب الله.

-يا أَيَّتُهَا الفتيات.... ترتقب البلاد. إن محمداً قد تأخر.... انتظرت طويلاً.

-أيها المتقي .... يرجو المصلحون. هؤلاء الفتيات .... يرجو المصلحون.

-أيتها الفتاة .... ينتظر أبوك. يا محمد ما انتظرتُ إلا ....

٢ -ضع كل اسم من الأسماء الآتية في جملة مفيدة بحيث يكون مفعولًا به: الكتاب، الشجر، القلم، الجبل، الفرس، حذاء، النافذة، البيت.

٣ -حول الضمائر الآتية إلى ضمائر متصلة، ثم اجعل كل واحد منها مفعولًا به في جملة مفيدة: إياهما، إياكم، إياي، إياكنَّ، إياه، إياكما، إيانا.

٤ -هات لكل فعل من الأفعال الآتية فاعلًا ومفعولًا به مناسبين: قرأ، يرى، تسلَّق، ركب، اشترى، سكن، فتح، قتل، صعد.

٥ -كون ست جمل، واجعل في كل جملة اسمين من الأسماء الآتية بحيث يكون أحد الاسمين فاعلاً والآخر مفعولاً به: محمد، الكتاب، علي، الشجرة، إبراهيم، الحبل، خليل، الماء، أحمد، الرسالة، بكر، المسألة.

٦ -هات سبع جمل مفيدة بحيث تكون كل جملة مؤلفة من فعل وفاعل ومفعول به، ويكون المفعول به ضميرًا منفصلًا، بشرط ألا تذكر الضمير الواحد مرتين.

٧ -هات سبع جمل مفيدة بحيث تكون كل جملة مؤلفة من فعل وفاعل ومفعول به، ويكون المفعول به ضميرًا متصلًا، بشرط أن يكون الضمير في كل واحدة مخالفاً لإخوانه.

أسئلة:

-ما هو المفعول به؟ إلى كم قسم ينقسم المفعول به؟ ما هو الظاهر؟ مثل بثلاثة أمثلة للمفعول به الظاهر. ما هو المضمر؟ إلى كم قسم ينقسم المضمر؟ ما هو المضمر المتصل؟ كم لفظًا للمضمر المتصل الذي يقع مفعولًا به؟ ما الذي يجب أن يُفصَل به، بين الفعل وياء المتكلم؟ مثّل تمامًا بثلاثة أمثلة للمضمر المتصل الواقع مفعولا به، وبثلاثة أمثلة أخرى للمضمر المنفصل الواقع مفعولا به.

-أعرب الأمثلة الآتية: (فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ) [المائدة:٣] (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً) (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) [البقرة:٣]. يخزُونَ مِن ظُلمِ أهلِ الظُلمِ مغفِرَةً ومن إساءةِ أهلِ السوءِ إحسانًا.

الفوائد:

....

....

....

المصدر

●**قال:" باب المصدر" المصدر هو: الاسم، المنصوب، الذي يجيءُ ثالثًا في تصريف الفعل، نحو: ضرب يضرب ضربًا.**

●**أقول:**

١ -قد عرَّف المؤلف المصدر بأنه "الذي يجيءُ ثالثًا في تصريف الفعل" ومعنى ذلك أنه لو قال لك قائل: صرِّف "ضَرَبَ" مثلًا، فإنك تذكر الماضي أولًا، ثمَّ تجيء بالمضارع، ثم بالمصدر، فتقول:" ضرب يضرب ضربا". وليس الغرض ههنا معرفة المصدر لذاته، وإنما الغرض معرفة المفعول المطلق، وهو يكون مصدرا، وهو عبارة عن "مَا ليسَ خبراً مماَّ دلَّ على تأكيد عامله، أو نَوعِهِ، أو عَدَدِهِ". فقولنا:" ليس خبرًا" مخرجًا لما كان خبرًا من المصادر، نحو قولك:" فهمُك فهمٌ دقيق".

٢ -وقولنا:" مما دل .... إلخ " يفيد أن المفعول المطلق ثلاثة أنواع:

-الأول: المؤكِّدُ لعامله، نحو "حفظتُ الدرسَ حفظًا"، و نحو "فرحتُ بقدومك جزلًا".

-والثاني: المبين لنوع العامل، نحو "أحببت أستاذي حب الولد أباه"، ونحو "وقفتُ للأستاذِ وقوف المؤدَّبِ".

-والثالث: المبين للعدد، نحو "ضربتُ الكسولَ ضربتينِ"، ونحو "ضربتُهُ ثلاث ضرباتٍ".

الفوائد:

....

....

....

أنواع المفعول المطلق

●**قال: وهو قسمان: لفظيٌّ، ومعنويٌّ، فإن وافق لفظُهُ لفظَ فعله فهو لفظي، نحو قَتَلْتُهُ قتلا، وإن وافق معنى فعله دون لفظه فهو معنوي، نحو "جلستُ قُعودا"، و"قمتُ وقوفا"، وما أشبه ذلك.**

●**وأقولُ:** ينقسم المصدر الذي ينصب على أنه مفعول مطلق إلى قسمين:

١ -القسمُ الأول: ما يوافق الفعل الناصب له في لفظه، بأن يكون مشتملا على حروفه، وفي معناه أيضًا بأن يكون المعنى المراد من الفعل هو المعنى المراد من المصدر، وذلك نحو " قعدت قعودًا"، " ضربته ضربًا" و "ذهبتُ ذهابًا" وما أشبه ذلك.

٢ -والقسم الثاني: ما يوافق الفعل الناصب له في معناه، ولا يوافقه في حروفه، بأن تكون حروف المصدر غير حروف الفعل، وذلك نحو " جلستُ قُعوداً " فإن معنى "جلس" هو معنى القعود، وليست حروف الكلمتين واحدة، ومثل ذلك "فرحت جذلاً" و "ضربته لَكْماً" و "أهنته احتقاراً" و "قمت وقوفاً" وما أشبه ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

تمرينات

١. اجعل كل فعل من الأفعال الآتية في جملتين مفيدتين، وهات لكل فعل بمصدره منصوباً على أنه مفعول مطلق: مؤكد لعامله مرة، ومبين لنوعه مرة أخرى: "حفظ، شرب، لعب، استغفر، باع، سار".

٢. اجعل كل اسم من الأسماء الاتية مفعولاً مطلقاً في جملة مفيدة: "حفظًا، لعبًا هادئًا، بيع المضطر، سرًّا سريعًا، سهرًا طويلًا، غضبة الأسد، وثبة النمر، اختصارًا".

٣. ضع مفعولًا مطلقًا مناسبًا في الماكن الخالي: يخاف على .... تَجَنّبِ المزاح .... ظهر البدر .... غَلَتِ المِرجلُ .... يثور البركان .... فاض النيلُ ....اترك الهذر ....

أسئلة

ما هو المصدر؟ ما هو المفعول المطلق؟ إلى كم ينقسم المفعول المطلق من جهة ما يراد منه؟ إلى كم قسم ينقسم المفعول المطلق من حيث موافقته لعامله، مثل بثلاثة أمثلة للمفعول المطلق المبين للعدد، مثل بثلاثة أمثلة لمفعول مطلق منصوب بعامل من لفظه، وبثلاثة أمثلة لمفعول مطلق منصوب بعامل من معناه.

ظرف الزمان وظرف المكان

●قال:" باب ظرف الزمان، وظرف المكان" ظرف الزمان هو: اسم الزمان المنصوب بتقدير "في" نحو اليوم، والليلة، وغدوة، وبكرة، وسحرًا، وغدًا، وعتمةً، وصباحًا، ومساءً، وأبدًا، وأمدًا، وحينًا وما أشبه ذلك. وظرف المكان هو: اسم المكان المنصوب بتقدير "في"، نحو: أمامَ، وخلف، وقُدَّامَ، وَوَرَاءَ، وفوق، وتحت، وعندَ، وإزاءَ، وحِذاءَ، وتلقاءَ وثمَّ، وهُنا، وما أشبه ذلك.

●وأقول:

١ -الظرف معناه في اللغة: الوعاء، والمراد به في عرف النحاة المفعول فيه، وهو نوعان: الأول: ظرف الزمان، والثاني: ظرف المكان.

٢ -أما ظرف الزمان: فهو عبارة عن الاسم الذى يدل على الزمان المنصوب باللفظ الدال على المعنى الواقع ذلك المعنى فيه، بملاحظة معنى "في" الدالة على الظرفية، وذلك مثل قولك: " صمت يوم الاثنين" فإن "يوم الاثنين" ظرف زمان مفعول فيه، وهو منصوب بقولك:" صمت" وهذا العامل دال على معنى وهو الصيام، والكلام على ملاحظة معنى "في" أي: أن الصيام حدث في اليوم المذكور؛ بخلاف قولك:" يخاف الكسول يوم الامتحان" فإن معنى ذلك أنه يخاف نفس يوم الامتحان وليس معناه أنه يخاف شيئا واقعا في هذا اليوم.

٣ -واعلم أن الزمان ينقسم إلى قسمين: الأول المختص، والثاني المبهم. أما المختص فهو "ما دال على مقدار معين محدود من الزمان". وأما المبهم فهو "ما دال على مقدار غير معين ولا محدود". ومثال المختص: الشهر، والسنة، واليوم، والعام، والأسبوع. ومثال المبهم: اللحظة، والوقت، والزمان، والحين. وكل واحد من هذين النوعين يجوز انتصابه على أنه مفعول فيه.

٤ -وقد ذكر المؤلف من الألفاظ الدالة على الزمان اثني عشر لفظا:

-الأول:"اليوم" وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، تقول:" صمت اليوم" أو "صمت يوم الخميس" أو "صمت يوما طويلا".

-والثاني:" الليلة" وهي من غروب الشمس إلى طلوع الفجر تقول:" اعتكفت الليلة البارحة" أو "اعتكفت ليلة" أو "اعتكفت ليلة الجمعة".

-الثالث:" غدوة" وهي الوقت ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، تقول:" زارني صديقي غدوة الأحد" أو "زارني غدوة".

-والرابع:" بكرة" وهى أول النهار، تقول:" أزورك بكرةَ السبت"، و" أزورك بكرة".

-والخامس:" سحرًا" وهو آخر الليل قبيل الفجر، تقول:" ذاكرت درسي سحرًا".

-والسادس:" غدًا" وهو اسم لليوم الذي بعد يومك الذي أنت فيه، تقول:" إذا جِئتني غدًا أكرمتُك".

والسابع:" عَتمة" وهي اسم لثلث الليل الأول، تقول:" سأزورك عتمة".

-والثامن:" صباحًا" وهو اسم للوقت الذي يبتدئ من أول نصف الليل الثاني إلى الزوال، تقول:" سافر أخي صباحا".

-والتاسع:" مساءً" وهو اسم للوقت الذي يبتدئ من الزوال إلى نصف الليل، تقول:" وصل القِطارُ بنا مساءً".

-والعاشر:" أبدًا"، والحادي عشر:" أمدًا": وكل منهما اسم للزمان المستقبل الذي لا غاية لانتهائه، تقول:" لا أصحب الأشرار أبدا" و " لا أقترفُ الشرَّ أمدا".

-والثاني عشر:" حينًا" وهو اسمٌ لزمان مبهمٍ غير معلوم الابتداء ولا الانتهاء، تقول:" صاحبتُ عليًّا حينًا من الدهر".

-ويليق بذلك ما أشبهه من كل اسم دال على الزمان: سواء أكان مختصًّا مثل:" صحوةً، وضحى" أم كان مبهمًا مثل وقت، وساعة، ولحظة، وزمان، وبُرهة"؛ فإن هذه وما ماثلها يجوز نصب كل واحد منها على أنه مفعول فيه.

٥ -وأما ظرف المكان: عبارة عن الاسم، الدال على المكان، المنصوب باللفظ الدال على المعنى الواقِع فيه بملاحظة معنى في "الدالة على الظرفية". وهو أيضا ينقسم إلى قسمين: مختصٌ، ومبهم؛ أما المختصُ فهو:" ما له صورةٌ وحدودٌ محصورة" مثل: الدار، والمسجد، والحديقة، والبستان؛ وأما المبهم فهو:" ما ليس له صورة ولا حدود محصورة" مثل: وراء، وأمام. ولا يجوز أن ينصب على أنه مفعول فيه من هذين القسمين إلا الثاني، وهو المُبهَم؛ أمَّا الأول. وهو المختص. فيجب جرُّهُ بحرف جر يدل على المراد، نحو: " اعتكفتُ في المسجد " و " زُرتُ علياً في داره ".

٦ -وقد ذكر المؤلف من الألفاظ الدالة على المكان ثلاثةَ عشر لفظاً:

-الأول:" أما" نحو:" جلستُ أمامَ الأستاذِ مؤدَّباً".

-الثاني:" خلفَ" نحو:" سار المشاة خلف الركبانِ".

-الثالث:" قُدَّامَ" نحو:" مشى الشرطيُّ قُدَّامَ الأمير".

-الرابع:" وَرَاءَ" نحو:" وقفَ المصلون بعضهم وراءَ بعض".

-الخامس:" فوق" نحو:" جلستُ فوق الكرسيِّ".

-السادس:" تحتَ" نحو:" وقف القطُّ تحت المائدة".

-السابع:" عِندَ " نحو:" لِمحمَّدٍ منزلةٌ عندَ الأستاذِ".

-الثامنُ:" معَ " نحو:" سار مع سليمان أخوه".

-التاسع:" إزاءَ" نحو:" لنا دارٌ إزاءَ النيل".

-العاشر:" حِذاء" نحو: " جلس أخي حِذاءَ أخيك".

-الحادي عشر:" تِلقاءَ" نحو:" جلس أخي تِلقاءَ دارِ أخيك".

-الثاني عشر:" ثَمَّ" نحو قول الله تعالى:(وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ).

-الثالث عشر:" هُنا" نحو:" جلس محمدٌ هُنا لحظة".

ومثلُ هذه الألفاظ كلُّ ما دل على مكانٍ مبهم، نحو: يمينٍ، وشمالٍ.

أسئلة وتمرينات:

١ -ما هو الظرف؟ إلى كم قسم ينقسم الظرف؟ ما هو ظرف الزمان؟ إلى كم قسم ينقسم ظرف الزمان؟ مَثِّل بثلاثة أمثلة في جمل مفيدة لظرف الزمان المختص، وبثلاثة أمثلة أخرى لظرف الزمان المبهم، هل ينصب على أنه مفعول فيه كل ظرف زمان؟

٢ -اجعل كل واحد من اللفاظ الاتية مفعولا فيه في جملة مفيدة، وبيِّن معناه: عتمة، صباحًا، زمانًا، لحظة، ضحوةً، غدًا.

٣ -ما هو ظرف المكان؟ ما هو ظرف المكان المبهم؟ ما هو ظرف المكان المختص، مَثِّل بثلاثة أمثلة لكلٍ من ظرف المكان المبهم، وظرف الزمان المختص، وهل ينصب على أنه مفعول فيه كل ظرفِ مكان؟

٤ -اذكر سبع جمل تصفُ فيها عملك يوم الجمعة، بشرط أن تشتمل كل جملة على مفعول فيه.

الفوائد:

....

....

....

الحال

●**قال:" باب الحال" الحال هو: الاسمُ المنصوبُ، المفسِّرُ لما انبهم من الهيئات، نحو قولك:" جاء زيدٌ راكبًا" و "ركبتُ الفرسَ مسرجًا" و "لقيتُ عَبدَ الله راكبًا" وما أشبه ذلك.**

●**وأقول:**

-الحال في اللغة "ما عليه الإنسان من خير أو شر" وهو في اصطلاح النحاة عبارة عن "الاسم، الفَضْلَة، المنصوب، المفسِّرُ لما انبهم من الهيئات".

-وقولنا:" الاسم" يشمل الصريح مثل "ضاحكًا". في قولك:" جاء محمدٌ ضاحكًا" ويشمل المؤول بالصريح مثل "ضحَكَ" في قولك:" جاء محمدٌ يضحكُ" فإنه في تأويل قولك:" ضاحكًا" وكذلك قولنا:" جاء محمدٌ مَعهُ أخوه" فإنه في تأويل قولك:" مصاحبًا لأخيه".

-وقولنا:" الفَضْلَة" معناه أنه ليس جزءًا من الكلام؛ فخرج به الخبرُ. وقولنا:" المنصوب" خرج به المرفوع والمجرور. وإنما ينصب الحال بالفعل وشبه الفعل: كاسم الفاعل، والمصدر، والظرف، واسم الإشارة.

-وقولنا:" المفسِّرُ لما انبهم من الهيئات" معناه أن الحال يُفَسِّر ما خفي واستتر من صفات ذَوِي العَقلِ أو غيرهم.

-ثم إنه قد يكون بياناً لصفة الفاعل، نحو:" جاء عبد الله راكبًا" أو بيانًا لصفة المفعول به، نحو:" ركبتُ الفرسَ مُسرجًا"، وقد يكون محتملا للأمرين جميعًا، نحو:" لقيتُ عبدَ اللهِ راكبًا".

-وكما يجيء الحال من الفاعل والمفعول به فإنه يجيء من الخبر، نحو:" أنت صديقي مخلصًا"، وقد يجيء من المجرور بحرف الجر، نحو: مَرَرتُ بِهندٍ راكبةً" وقد يجيءَ من المجرور بالإضافة، نحو قوله تعالى:(أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) فحنيفًا: حال من إبراهيم، وإبراهيم مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة، وهو مجرور بإضافة "ملة" إليه.

شروط الحال وشروط صاحبها

● **قال: ولا يكون إلا نكرة، ولا يكون إلا بعد تمام الكلام، ولا يكون صاحبها إلا معرفة.**

● **وأقول:**

-يجب في الحال أن يكون نكرة، ولا يجوز أن يكون معرفة، وإذا جاء تركيب فيه الحال معرفة في الظاهر، فإنه يجب تأويل هذه المعرفة بنكرة مثل قولهم:" جاء الأميرُ وحدَهُ"، فإن "وحده" حال من الأمير، وهو معرفة بالإضافة إلى الضمير، ولكنه في تأويل نكرة هي قولك:" منفردًا" فكأنك قلت:" جاء الأمير منفردًا"، ومثل ذلك قولهم:" أرسَلَهَا العِرَاك"، أي: مُعتَركَةً، و "جَاءُوا الأوَّل فالأوَّل" أي مُترتِّبينَ.

-والأصل في الحال أن يجيء بعد استيفاء الكلام، ومعنى استيفاء الكلام: أن يأخذ الفعل فاعله والمبتدأُ خبره. وربما وجب تقديم الحال على جميع أجزاء الكلام، كما إذا كان الحال اسم استفهام، نحو:" كيفَ قَدِمَ علي" فكيف: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال من علي، ولا يجوز تأخير اسم الاستفهام.

-ويشترط في صاحب الحال أن يكون معرفة، فلا يجوز أن يكون نكرة بغير مُسَوِّغ.

-ومما يُسَوِّغ مجيء الحال من النكرة أن تتقدم الحال عليها، كقول الشاعر: (لِمَيَّة مُوحشا طلَل يَلُوحُ كأنه خِلل) فموحشاً: حال من " طلل "، وطللٌ نكرة، وسوغ مجيء الحال منه تقدُّمها عليه. ومما يسوِّغ مجيء الحال من النكرة أن تُخَصَّصَ هذه النكرة بإضافةٍ أو وصفٍ. فمثال الأول في قوله تعالى:(فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً) فسواء: حال من "أربعة" وهو نكرة، وساغ مجيء الحال منها لكونها مضافة، ومثال الثاني قول الشاعر:

نَجَّيْتَ يَاربِّ نُوحًا واستجبت لهُ في فُلُكٍ مَاخِرٍ في اليمِّ مشحونًا.

تمرينات:

١ -ضع في كل مكان من الأمكنة الخالية الآتية حالاً مناسبًا:

يعود الطالب المجتهد إلى بلده........ لا تنم في الليل.......... لا تأكلِ الطعام........ رَجَعَ أخي من ديوانه .... لا تَسِر في الطريق .... لا تمشِ في الأرض.......... البس ثوبك.......... رأيت خالدًا ....

٢ -اجعل كل اسم من الأسماء الآتية حالاً مبينًا لهيئة الفاعل في جملة مفيدة: مسرورًا، مختالًا، عريانًا، مُتْعبًا، حارًّا، حافيًا، مجتهدًا.

٣ -اجعل كل اسم من الأسماء الآتية حالاً مبينًا لهيئة المفعول به في جملة مفيدة: مَكتُوفًا، كئيبًا، سريعًا، صافيًا، نظيفًا، جديدًا، ضاحكًا، لامعًا، ناضرًا، مستبشرات.

٤ -صف الفرسَ بأربع جمل، بشرط أن تجيء في كل جملة بحال.

تدريب على الإعراب:

أعرب الجملتين الآتيتين:" لقيتني هند باكية، لبست الثوب جديدًا".

١ -لقي: فعل ماض مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، والتاء علامة التأنيث، والنون للوقاية، والياء ضمير المتكلم مفعول به، مبني على السكون في محل نصب. هند: فاعل لقي مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. باكية حال مبين لهيئة الفاعل منصوب بالفتحة الظاهرة.

٢لبس: فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون المأتي به لدفع كراهة توالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة، والتاء ضمير المتكلم فاعل مبني على الضم في محل رفع. الثوب: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، جديدًا: حال مبين لهيئة المفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

أسئلة:

ما هو الحال لغة واصطلاحا؟ ما الذي تأتي الحال منه؟ هل تأتي الحال من المضاف إليه؟ ما الذي يشترط في الحال، وما الذي يشترط في صاحب الحال؟ ما الذي يُسَوِّغ مجيء الحال من النكرة؟ مَثِّل للحال بثلاثة أمثلة، وطبق على كل واحد منها شروط الحال كلها، واعربها.

الفوائد:

....

....

....

التمييز

●**قال:" باب التمييز" التمييز هو: الاسم، المنصوبُ، المفَسِّر لما انبهم من الذوات، نحو قولك:" تصَبَّبَ زيدٌ عرقا" و"تَفَقَّأ بكرٌ شحمًا" و"طابَ محمدٌ نفسًا" و"اشتريتُ عشرين كتابًا" و"ملكتُ تسعين نعجة" و"زيدٌ أكرمَ منكَ أبًا" و"أجملُ منكَ وجهًا".**

●**وأقول:**

-للتمييز في اللغة معنيان؛ الأول: التفسير مطلقًا، تقول: ميّزتُ كذا.. تريد أنك فسَّرتَهُ. والثاني: فصلُ بعضِ الأمور عن بعض تقول: ميَّزتُ القوم، تريد أنك فصلتَ بعضَهم عن بعض.

-والتمييز في اصطلاح النحاة عبارة عن "الاسم، الصريح، المنصوب، المُفَسِر لما انبهم من الذوات أو النَّسب". فقولنا:" الاسم" معناه أن التمييز لا يكون فعلًا ولا حرفًا. وقولنا:" الصريح" لإخراج الاسم المؤول، فإن التمييز لا يكون جملة ولا ظرفًا، بخلاف الحال كما سبق في بابه. وقولنا:" المفسر لما انبهم من الذوات أو النسب" يشير إلى أن التمييز على نوعين، الأول: تمييز الذات، والثاني: تمييز النسبة.

-أما تمييز الذات -ويسمى أيضاً تمييز المفرد - فهو "ما رفع ابهام اسم مذكور قَبلَهُ مُجملِ الحقيقة" ويكون بعد العدد، نحو قوله تعالى:(إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً)، (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ) أو بعد المقادير، من الموزونات، نحو "اشتريتُ رطلا زيتًا" أو المَكيلاتِ، نحو "اشتريتُ إردَبًّا قمحًا" أو المساحات، نحو "اشتريتُ فداناً أرضًا".

-وأما تمييز النسبة -ويسمى أيضاً تمييز الجملة - فهو:" ما رفع إبهام نسبة في جملة سابقة عليه" وهو ضربان؛ الأول: مُحوَّل، والثاني: غير محول.

-فأما المحول فهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: المحول عن الفاعل، وذلك نحو "تَفَقَّأَ زيدٌ شحماً" الأصل فيه "تفقأ شحمُ زيد" فحذف المضاف، وهو شحم، وأقيم المضاف إليه -وهو زيدٌ - مُقامَهُ، فارتفع ارتفاعه، ثم أتى بالمضاف المحذوف فانتصب على التمييز.

النوع الثاني: المحول عن المفعول وذلك نحو قوله تعالى:(وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا) أصله " وفجرنا عيون الأرض " ففُعل فيه مثلُ ما سبق.

النوع الثالث: المحوَّلُ عن المبتدأ، وذلك نحو قوله تعالى:(أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً) وأصله "مالي أكثرَ من مالِكَ" فحذف المضاف، وهو "مال" وأُقيمَ المضاف إليه -وهو الضمير الذي هو ياء المتكلم - مقامه فارتفع ارتفاعًا وانفصل؛ لأن ياء المتكلم ضميرٌ متصل كما عرفت، وهو لا يبتدأ به، ثم جيء بالمضاف المحذوف فَجُعلَ تمييزًا، فصار كما ترى. وأما غير المحول فنحو "امتلأ الإناءُ ماءً".

شروط التمييز

● **قال: ولا يكون إلا نكرة، ولا يكون إلا بعد تمام الكلام.**

● **وأقول:** يشترط في التمييز أن يكون نكرة، فلا يجوز أن يكون معرفة، وأما قول الشاعر:

رَأيتُكَ لمَّا أن عَرَفتَ وُجُوهَنا صَدَدْتَ وطِبِتَ النَّفسَ يَا قيسُ عن عمرِو

فإن قوله "النفس" تمييز، وليست "أل" هذه "أل" المُعَرِّفة حتى يلزم منه مجيء التمييز معرفة، بل هي زائدة لا تفيد ما دخلت تعريفاً؛ فهو نكرة، وهو موافق لما ذكرنا من الشرط. ولا يجوز في التمييز أن يتقدم على عامله، بل لا يجيء إلا بعد تمام الكلام، أي: بعد استيفاء الفعل فاعله، والمبتدأ خبره.

تمرينات:

١ -بيّن أنواع التمييز تفصيلا في الجمل الآتية:" شربتُ كوبًا ماءً، اشتريتُ قنطارًا عسلًا، ملكت عشرة مثاقيل ذهبًا، زرعتُ فدانًا قطنًا، رأيتُ أحد عشر فارسًا، ركب القطار خمسون مسافرًا، محمد أكمل من خالد خلقًا وأشرف نفسًا وأطهر ذيلاً، امتلأ إبراهيم كبرًا".

٢ -ضع في كل مكان خال مما يلي تمييزًا مناسبًا: الذهب أغلى...... من الفضة. الزرافة أطول الحيوانات...... الحديد أقوى .... من الرصاص. الشمس أكبر .... من الأرض. العلماء أصدق الناس .... أكلت خمسة عشرَ........ طالب العلم أكرم....... من الجهال. شربت قدحًا ....

٣ -اجعل كل اسم من الأسماء الآتية تمييزًا في جملة مفيدة: شعيرًا، قصبًا، خُلُقًا، أدبًا، ضَحكًا، بأسًا، بَسَالة.

٤ -هات ثلاث جمل يكون في كل جملة منها تمييز مسبوق باسم عدد، بشرط أن يكون اسم العدد مرفوعًا في واحدة ومنصوبًا في الثانية ومخفوضًا في الثالثة.

تدريب على الإعراب:

أعرب:" محمد أكرم من خالد نفسًا، عندي عشرون ذراعًا حريرًا".

١ -محمد: مبتدأ، مرفوع بالابتداء، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. أكرم: خبر المبتدأ، مرفوع بالمبتدأ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. من خالد: جار ومجرور متعلق بأكرم. نفسًا: تمييز نسبة محول عن المبتدأ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

٢ -عند: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، وعند مضاف وياء المتكلم مضاف إليه، مبني على السكون في محل خفض. عشرون: مبتدأ مؤخر مرفوع بالابتداء، وعلامة رفعة الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. ذراعًا: تمييز لعشرين، منصوب بالفتحة الظاهرة. حريرًا: تمييز لذراع، منصوب بالفتحة الظاهرة.

أسئلة:

ما التمييز لغة واصطلاحًا؟ إلى كم قسم ينقسم التمييز؟ ما تمييز الذات؟ ما تمييز النسبة؟ بماذا يسمى تمييز الذات؟ بماذا يسمى تمييز النسبة؟ ما الذي يقع قبل تمييز الذات؟ مَثِّل لتمييز الذات بثلاثة أمثلة مختلفة وأعرب كل واحد منها؟ إلى كم قسم ينقسم تمييز النسبة المحوَّل؟ مَثِّل للتمييز المحول عن الفاعل وعن المفعول وعن المبتدأ، مَثِّل لتمييز النسبة غير المحول، ما شروط التمييز؟ ما معنى أن التمييز لا يجيء إلا بعد تمام الكلام؟

الاستثناء

●**قال:" باب الاستثناء" وحروف الاستثناء ثمانية، وهي: إلَّا، وغير، وَسِوَى، وَسُوى، وَسَوَاءٌ، وَخلا، وعدا، وَحاشا.**

●**وأقول:**

١ -الاستثناء معناه في اللغة: مطلق الإخراج، وهو في اصطلاح النحاة: عبارة عن " الإخراج بـ(إلا) أو إحدى أخواتها، لشيء لولا ذلك الإخراج لكان داخلًا فيما قبل الأداة "، ومثاله قولك:" نجح التلاميذُ إلا عامرًا" فقد أخرجت بقولك "إلا عامرًا" أحد التلاميذ، وهو عامر، ولولا ذلك الإخراج لكان عامر داخلاً في جملة التلاميذ الناجحين.

٢ -واعلم أن أدوات الاستثناء كثيرة، وقد ذكر منها المؤلف ثمان أدوات، والذي ذكره منها على ثلاثة أنواع:

-النوع الأول: ما يكون حرفًا دائمًا وهو "إلَّا".

-النوع الثاني: ما يكون اسمًا دائمًا، وهو أربعة، وهي:" سِوى" بالقصر وكسر السين، و "سُوَى" بالقصر وضم السين، و "سَوَاءُ" بالمد وفتح السين، و "غير".

-النوع الثالث: ما يكون حرفًا تارة ويكون فعلًا تارة أخرى، وهي ثلاثُ أدواتٍ وهي:" خلا، عدا، حاشا".

حكم المستثنى بـ(إلا)

●**قال: فالمستثنى بـ(إلّا) يُنصبُ إذا كان الكلام تامًّا موجبًا، نحو "قال القومُ إلا زيدًا" و "خرج الناسُ إلا عمرًا" وإن كان الكلام منفيًّا تامًّا جاز فيه البدلُ والنصبُ على الاستثناء، نحو "ما قام القومُ إلا زيدٌ" و "ما ضربتُ إلا زيدًا" و "ما مررتُ إلا بزيدٍ".**

●**وأقول:**

-اعلم أن للاسم الواقع بعد "إلّا" ثلاثةَ أحوالٍ: الحالة الأولى: وجوب النصب على الاستثناء. الحالة الثانية: جواز إتباعه لما قبل "إلّا" على أنه بدل منه مع جواز نصبه على الاستثناء. الحالة الثالثة: وجوب إجرائه على حسب ما يقتضيه العامل المذكورُ قبل "إلّا".

-وبيان ذلك أن الكلام الذي قبل "إلّا" إما أن يكون تامّا موجبًا، وإما أن يكون تامًّا منفيًا، وإما أن يكون ناقصًا ولا يكون حينئذٍ إلا منفياً. ومعنى كون الكلام السابق تاماً: أن يُذكر فيه المستثنى منه، ومعنى كونه ناقصا ألا يذكر فيه المستثنى منه، ومعنى كونه موجبًا، ألا يسبقه نفي أو شبهه، وشِبهُ النفي: النهي، والاستفهام، ومعنى كونه منفيًا: أن يسبقه أحد هذه الأشياء.

-فإن كان الكلام السابق تامًّا موجبًا وجب نصب الاسم الواقع بعد "إلّا" على الاستثناء نحو قولك:" قامَ القومُ إلّا زيدًا" وقولك:" خرج الناس إلّا عمرًا" فزيدًا وعمرًا: مستثنيان من كلام تام لذكر المستثنى منه -وهو "القوم" في الأول و "الناس" في الثاني - والكلام مع ذلك مُوجبٌ لعدم تقدم نفي أو شبهه؛ فوجب نصبهما، وهذه هي الحالة الأولى.

-وإن كان الكلام السابق تامًّا منفيًّا جاز فيه الاتباعُ على البدلية أو النصب على الاستثناء، نحو قولك:" ما قام القوم إلا زيدٌ" فزيدٌ: مستثنى من كلام تام لذكر المستثنى منه، وهو القوم، والكلام مع ذلك منفي لتقدم "ما" النافية؛ فيجوز فيه الإتباع؛ فتقولُ "إلّا زيدٌ" بالرفع؛ لأن المستثنى منه مرفوع، وبدل المرفوع مرفوع، ويجوز فيه على قلةٍ النصبُ على الاستثناء؛ فتقول:" إلا زيدًا" وهذه هي الحالة الثانية.

-وإن كان الكلام السابق ناقصًا، ولا يكون إلا منفياً، كان المستثنى على حسب ما قبل "إلّا" من العوامل؛ فإن كان العامل يقتضي الرفع على الفاعلية رفعته عليها، نحو "ما حضر إلا عليٌّ"، وإن كان العامل يقتضي النصب على المفعولية نصبته عليها، نحو "ما رأيتُ إلا عليًّا" وإن كان العامل يقتضي الجر بحرف من حروف الجر جررته به نحو "ما مررتُ إلا بزيدٍ" وهذه هي الحالة الثالثة.

المستثنى بغير وأخواتها

●قال: والمستثنى بِسِوى، وَسُوى، وَسَوَاءِ، وَغَيرِ مجرورٌ لا غيرُ.

●وأقول:

الاسم الواقع بعد أداة من هذه الأدوات الأربعة يجب جرهُ بإضافة الأداة إليه، أما الأداة نفسُها فإنه تأخذ حكم الاسم الواقع بعد "إلا" على التفصيل الذي سبق: فإن كان الكلام تاماً موجباً نصبتها وجوباً على الاستثناء، نحو "قام القومُ غير زيدٍ"، وإن كان الكلام تاماً منفياً أتبعتها لما قبله أو نصبتها، نحو "ما يزورَني أحدٌ غيرُ الأخيارِ"، أو "غيرَ الأخيارِ"، وإن كان الكلام ناقصًا منفيا أجريتها على حسب العوامل، نحو "لا تتصل بغير الأخيارِ".

الفوائد:

....

....

....

المستثنى بعدا وأخواته

●قال: والمستثنى بخلا، وعدا، وحاشا، يجوزُ نصبُهُ وجرُهُ، نحو "قام القومُ خلا زيدًا، زيدٌ" و "عدا لا عمرًا وعمرو"، و "حاشا بكرًا وبكرٍ".

●وأقول:

-الاسم الواقع بعد أداة من هذه الأدوات الثلاثة يجوز لك أن تنصبه، ويجوز لك أن تجره، والسر في ذلك أن هذه الأدوات تستعمل أفعالًا تارة، وتستعمل حروفًا تارة أخرى على ما سبق، فإن قدّرتَهُنَّ أفعالاً نصبتَ ما بعدها على أنه مفعول به، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا، وإن قدّرتَهنَّ حروفًا خفضت ما بعدها على أنه مجرور بها.

-ومحلُّ هذا التردد فيما إذا لم تتقدم عليهنَّ "ما" المصدرية؛ فإن تقدمت على واحدة منهن "ما" وجب نصب ما بعدها، وسببُ ذلك أن "ما" المصدرية لا تدخلُ إلا على الأفعال؛ فهنَّ أفعالٌ ألبتة إن سبقتهنَّ، فنحو "قام القومُ خلا زيد" يجوز فيه نصب "زيد" وخفضه، "قام القوم ما خلا زيدًا" لا يجوز فيه إلا نصب "زيد" والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

أسئلة:

ما هو الاستثناء لغة واصطلاحا؟ ما هي أدوات الاستثناء؟ إلى كم قسم تنقسم أدوات الاستثناء؟ كم حالة للاسم الواقع بعد "إلّا"؟ متى يجب نصب الاسم الواقع بعد إلا؟ متى يجوز نصب الاسم الواقع بعد إلا وإتباعه لما قبلها؟ ما معنى كون الكلام تامًّا؟ ما معنى كون الكلام منفيًا؟ ما حكم الاسم الواقع بعد سوى؟ كيف تعرب سواء؟ ما حكم الاسم الواقع بعد خلا؟

شروط إعمال "لا" عمل إن

●قال:" باب "لا" اعلم أن "لا" تنصبُ النكرات بغير تنوين إذا باشرتِ النكرة ولم تتكرر "لا" نحو " لا رجلَ في الدار".

●وأقول:

١ -اعلم أن "لا" النافية للجنس تعمل عمل "إن" فتنصب الاسم لفظًا أو محلًا وترفع الخبر. وهي لا تعمل هذا العمل وجوبًا إلا بأربعةِ شروط:

الأول: أن يكون اسمها نكرة.

الثاني: أن يكون اسمها متصلا بها: أي غير مفصول منها ولو بالخبر.

والثالث: أن يكون خبرها نكرة أيضا.

والرابع: ألّا تتكرر "لا".

٢ -ثم اعلم أن اسم "لا" على ثلاثة أنواع، الأولُ المفرد، والثاني المضاف إلى نكرة، والثالث الشبيه بالمضاف.

-أما المفرد في هذا الباب، وفي باب المنادى، فهو:" ما ليس مضافًا ولا شبيهًا بالمضاف" فيدخل فيه المثنى، وجمعُ التكسير، وجمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم. وحكمه أنه يُبنى على ما ينصبُ به: فإذا كان نصبه بالفتحة بني على الفتح، نحو "لا رجلَ في الدار"، وإن كان نصبه بالياء - وذلك المثنى وجمع المذكر السالم - بني على الياء نحو "لا رجُلَينِ في الدار" وإن كان نصبه بالكسرة نيابة عن الفتحة -وذلك جمع المؤنث السالم - بني على الكسر، نحو "لا صالحاتٍ اليومَ".

-وأما المضاف فينصب بالفتحة الظاهرة أو بما ناب عنها، نحو "لا طالبَ علمٍ ممقوتٌ".

-وأما الشبيه -المضاف - وهو "ما اتصل به شيءٌ من تمام معناه" فمثلُ المضاف في الحكم: أي ينصب بالفتحة، نحو "لا مستقيمًا حاله بين الناس".

-قال: فإن لم تُباشِرها وجبَ الرفعُ ووجبَ تكرارُ "لا" نحو "لا في الدار رجلٌ ولا امرأةٌ" فإن تكررت جاز إعمالُها وإلغاؤُها، فإن شئت قلت:" لا رجُلَ في الدارِ ولا امرأةٌ".

وأقول: قد عرفت أن شروط وجوب عمل "لا" عملَ "إنَّ" أربعة، وهذا الكلام في بيان الحكم إذا اختل شرط من الشروط الأربعة السابقة. وبيان ذلك أنه إذا وقع بعد "لا" معرفة وجب إلغاءُ "لا" وتكرارها، نحو "لا محمدٌ زارني ولا بكرٌ" وإذا فصل بين لا واسمها فاصلٌ ما وجب كذلك إلغاؤها وتكرارها نحو (لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) فغولٌ: مبتدأ مؤخر، وفيها: متعلق بمحذوف خبر مقدم، و"لا"

نافية مهملة، وإذا تكررت "لا" لم يجب إعمالها، بل يجوز إعمالها إذا استوفت بقية الشروط، ويجوز إهماله؛ فتقول على الإعمال "لا رجلَ في الدار ولا امرأةً"، وتقول على الإهمال:" لا رجلٌ في الدار ولا امرأةٌ" برفع رجل وامرأة.

أسئلة:

ما الذي تفعله "لا" النافية للجنس؟ ما شروط وجوب عمل "لا" النافية للجنس؟ إلى كم قسم ينقسم اسم "لا"؟ ما حكم اسم "لا" المفرد؟ ما هو المفرد في باب "لا" والمنادى؟ ما حكم اسم "لا" إذا كان مضافًا أو شبيهًا به؟ ما الحكم إذا تكررت "لا" النافية؟ ما الحكم إذا وقع بعد "لا" النافية معرفة؟ ما الحكم إذا فصل بين "لا" واسمها فاصل؟

المنادى

●قال:" باب المنادى" المنادى خمسة أنواع: المفردُ العلم، والنطرة المقصودة، والنكرةُ غير المقصودةُ، والمضافُ، والشبيه بالمضافِ.

●وأقول:

١ -"المنادى في اللغة هو: المطلوب إقباله مطلقًا، وفي اصطلاح النحاة هو "المطلوب إقباله بـ(يا) أو إحدى أخواتها"، وأخواتُ "يا" هي الهمزة نحو"أزيدُ أقبل" و "أي" "إبراهيمُ تَفهم" و "أيا" نحو:

أيَا شَجَرَ الخابُورِ مَالَكَ مُورقاً   كأنك لم تجزع على ابنِ طريف

و "هيا" نحو "هيا محمد تعالَ".

٢ -ثم المنادى على خمسة أنواع:

-المفردُ العلمُ، وقد مضى في باب "لا" تعريف المفرد، ومثاله "يا محمد" و "يا فاطمة" و "يا محمدان" و "يا فاطمتان" و "يا محمدون" و "يا فاطمات".

-النكرة المقصودة؛ وهي: التي يقصد بها واحدٌ معينٌ ممَّا يصحُ إطلاق لفظها عليه، نحو "يا ظالمُ" تريد واحدًا بعينه.

٣ -النكرة غير المقصودة؛ وهي: التي يقصد بها واحدٌ غير معين، نحو قول الواعظ:" يا غافلاً تنبَّه"، فإنه لا يريد واحدًا معينًا، بل يريد كل من يطلق عليه لفظ "غافل".

٤ -المضاف، نحو "يا طالبَ العلمِ اجتهد".

٥ -الشبيه بالمضاف، وهو ما اتصل به شيء من تمام معناه، سواءٌ أكان المتصل به مرفوعاً به، نحو "يا حميدًا فعْلهُ" أم كان منصوبًا به نحو "يا حافظًا درسَهُ" أم كان مجرورًا بحرف جر يتعلق به نحو "يا محبًّا للخير".

●قال: فأما المفرد العلم، والنكرة المقصودة فيبنيان على الضم من غير تنوين، نحو "يا زيدُ" و "يا رجلُ" والثلاثة الباقية منصوبة لا غير.

●وأقول:

١ -إذا كان المنادى مفرداً أو نكرة مقصودة فإنه يُبنى على ما يرفع به؛ فإن كان يُرفع بالضمة فإنه يبنى على الضمة، نحو "يا محمدُ" و "يا فاطمةُ" و "يا رجلُ" و "يا فاطماتُ" وإن كان يرفع بالألف نيابةً عن الضمة -وذلك المثنى - فإنه يبنى على الألف، نحو "يا محمدان" و "يا فاطمتان" وإن كان يُرفع بالواو نيابة عن الضمة -وذلك جمع المذكر السالم - فإنه يبنى على الواو نحو "يا محمدون".

٢ -وإذا كان المنادى نكرة غير مقصودة أو مضافًا أو شبيهًا بالمضاف فإنه ينصب بالفتحة أو ما ناب عنها نحو "يا جاهلًا تعلّم" و "يا كسولًا أقبل على ما ينفعك" ونحو "يا راغبَ المجدِ اعمل له" و "يا محبَّ الرِّفعةِ ثابر على السعي" و نحو "يا راغبًا في السُّؤدُدِ لا تَضجر من العمل" و "يا حريصًا على الخير استقم".

أسئلة:

ما هو المنادى لغة واصطلاحًا؟ ما هي أدوات النداء؟ مَثِّل لكل أداة بمثال، إلى كم قسم ينقسم المنادى؟ ما هو المفرد ومَثِّل له بمثالين مختلفين، ما هي النكرة المقصودة مع التمثيل؟ ما هو الشبيه بالمضاف؟ إلى كم نوع يتنوع الشبيه بالمضاف مع التمثيل لكل نوع؟ ما حكم المنادى المفرد؟ ما حكم المنادى المضاف؟ مثِّل لكل نوع من أنواع المنادى الخمسة بمثالين، وأعرب واحدًا منهما.

المفعول له

●قال:" باب المفعول من أجله" وهو: الاسم، المنصوبُ، يَذكرُ بيانًا لسبب وقوع الفعل، نحو قولك:" قام زيد إجلالاً لعمرو" و "قصدتك ابتغاء معروفك".

●وأقول:

١ -المفعول من أجله -ويقال "المفعول لأجله"، و "المفعول له" - هو في اصطلاح النحاة عبارة عن "الاسم، المنصوب، الذي يذكر بيانًا لسبب وقوع الفعل". وقولنا:" الاسم" يشمل الصريح والمؤول به.

٢ -ولا بد في الاسم الذي يقع مفعولا له من أن يجتمع فيه خمسة أمور: الأول: أن يكون مصدرًا. والثاني: أن يكون قَلبيًّا، ومعنى كونه قَلبيّا ألا يكون دالاً على عمل من أعمال الجوارح كاليد واللسان مثل "قراءة" و"ضرب". والثالث: أن يكون علة لما قبله. والرابع: أن يكون متحدا مع عامله في الوقت. ومثال الاسم المستجمع لهذه الشروط "تأديبًا" من قولك:" ضربتُ ابني تأديبًا" فإنه مصدر، وهو قلبي؛ لأنه ليس من أعمال الجوارح، وهو علة للضرب، وهو متحد مع "ضربت" في الزمان، وفي

الفاعل أيضًا. وكان اسم استوفى هذه الشروط يجوز فيه أمران: النصب، والجر بحرف من حروف الجر الدالة على التعليل كاللام.

٣ -واعلم أن للاسم الذي يقع مفعولًا لأجله ثلاث حالاتٍ: الأولى: أن يكون مقترنًا بأل. الثانية: أن يكون مضافًا. الثالثة: أن يكون مجردًا من "أل ومن الإضافة". وفي جميع هذه الأحوال يجوز فيه النصب والجر بحرف الجر، إلا أنه قد يترجح أحد الوجهين، وقد يستويان في الجواز. فإن كان مقترنًا بأل فالأكثر فيه أن يجرَّ دال على التعليل، نحو:" ضربت ابني للتأدب" ويقلُّ نصبُه. وإن كان مضافًا جاز جوازًا متساويًا أن يجر بالحرف وأن ينصب، نحو:" زرتك محبة أدبك" أو "زرتك لمحبَّةِ أدبكَ". وإن كان مجردًا من "أل ومن الإضافة" فالأكثر فيه أن ينصب، نحو:" قمتُ إجلالًا للأستاذ" ويقلُّ جره بالحرف، والله أعلم.

أسئلة:

ما هو المفعول لأجله؟ ما الذي يشترط في الاسم الذي يقع مفعولًا لأجله؟ كم حالة للاسم الواقع مفعولًا له؟ ما حكم المفعول له المقترن بأل والمضاف؟ مَثِّل بثلاثة أمثلة للمفعول لأجله بشرط أن يكون الأول مقترنًا بأل والثاني مضافًا والثالث مجردًا من أل والإضافة، وأعرب كل واحد منها، وبين في كل مثال ما يجوز فيه من الوجوه مع بيان الأرجح إن كان.

المفعول معه

●قال:" باب المفعول معه" وهو: الاسمُ المنصوب الذي يُذكر لبيان من فُعِلَ مَعَهُ الفعل، نجو قولك:" جاء الأميرُ والجيش" و "استوى الماء والخشبة".

●وأقول:

١ -المفعول معه عند النحاة هو:" الاسم، الفضلة، المنصوب بالفعل أو ما فيه معنى الفعل وحروفه، الدّالُّ على الذات التي وقع الفعل بمصاحبتها، المسبوق بواو تفيد المعيةَ نصًّا". فقولنا:" الاسم" يشمل المفرد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث والمراد به: الاسم الصريح دون المؤول، وخرج عنه الفعل والحرف والجملة. وقولنا:" الفضلة" معناه أنه ليس ركنًا في الكلام؛ فليس فاعلا، ولا مبتدأ ولا خبرا، وخرج به العمدة، نحو "اشترك زيدٌ وعمروٌ".

٢ -وقولنا:" المنصوب بالفعل أو ما فيه معنى الفعل وحروفه" يدل على أن العامل في المفعول معه على ضربين: الأول: الفعل، نحو "حضر الأمير والجيش". الثاني: الاسم الدال على معنى الفعل المشتمل على حروفه، كاسم الفاعل في نحو "الأمير حاضرٌ والجيش".

٣ -وقولنا:" المسبوق بواو هي نص في الدلالة على المعية" يخرج به الاسم المسبوق بواو ليست نصاً في الدلالة على المعية، نحو " حضر محمدٌ وخالدٌ".

٤ -واعلم أن الاسم الواقع بعد الواو على نوعين:

. ما يتعين نَصبُهُ على ذلك واتباعُه لما قبله في إعرابه معطوفًا عليه. أما النوع الأول فمحله إذا لم يصحَّ تشريك ما بعد الواو لما قبلها في الحكم، نحو "أنا سائرٌ والجبل" ونحو "ذاكرتُ والمصباح" فإن الجبل لا يصح تشريكه للمتكلم في السير، وكذلك المصباح لا يصح تشريكه للمتكلم في المذاكرة، وقد مَثّل المؤلف لهذا النوع بقوله:" استوى الماءُ والخشبة".

-وأما الثاني فمحله إذا صح تشريك ما بعد الواو لما قبلها في الحكم، نحو "حضر عليٌّ ومحمدٌ" فإنه يجوز نصب "محمد" على أنه مفعول معه، ويجوز رفعه على أنه معطوف على "علي"؛ لأن محمداً يجوز اشتراكه مع علي في الحضور، وقد مَثَّل المؤلف لهذا النوع بقوله:" جاء الأميرُ والجيش".

قال: وأما خبر "كان" وأخواتِها واسم "إنَّ" وأخواتِها فقد تقدم ذكرُهُما في المرفوعاتِ، وكذلك التوابعُ؛ فقد تقدَّمَتْ هُناكَ.

وأقول: من المنصوبات اسم "إنَّ" وأخواتها، وخبر "كان" وأخواتها، وتابعُ المنصوب، وقد تقدم بيان ذلك في أبوابه؛ فلا حاجة بنا إلى إعادة شيءٍ منه.

أسئلة:

ما هو المفعول معه؟ ما المراد بالاسم هنا؟ ما المراد بالفضْلة؟ ما الذي يعمل في المفعول معه؟ إلى كم قسم ينقسم المفعول معه؟ مثِّل للمفعول معه الذي يجب نصبه بمثالين، مثِّل للمفعول معه الذي يجوز نصبه واتباعه لما قبله بمثالين. أعرب المثالين اللذين في كلام المؤلف، وبين في كل مثال منهما من أي نوع هو.

المخفوضات من الأسماء

●**قال:" باب المخفوضات من الأسماء" المخفوضات ثلاثة أنواع، مخفوض بالحرف، ومخفوض بالإضافة، وتابعٌ للمخفوض.**

●**وأقول:**

الاسم المخفوض على ثلاثة أنواع؛ وذلك لأن الخافض له إما أن يكون حرفًا، من حروف الخفض التي سبق بيانها، في أوَّل الكتاب والتي سيذكرها المؤلف بعد ذلك، وذلك نحو "خالد" من قولك:" أشفقت على خالد" فإنه مجرور بعلي، وهو حرف من حروف الخفض، وإما أن يكون الخافض للاسم إضافة اسم قبله إليه، ومعنى الإضافة: نسبة الثاني للأول، وذلك نحو "محمد" من قولك:" جاء غلام محمد" فإنه مخفوض بسبب إضافة "غلام" إليه، وإما أن يكون الخافض للاسم تبعِيَّتُه لاسم مخفوض: بأن يكون نعتاً له، نحو "الفاضل" نحو قولك:" أخذت العلم عم محمد الفاضل" أو

معطوفًا عليه، نحو "خالد" من قولك:" مررت بمحمد وخالد" أو غير هذين من التوابع التي سبق ذكرها.

●**قال: فأما المخفوض بالحرف فهو: ما يخفضُ بمن، وإلى، وعن، وعلي، وفي، وربَّ، والباءِ، والكافِ، واللام، وحُرُوفِ القسمِ، وهي: الواوُ، والباءُ، والتاءُ، أو بواوِ رُبَّ، وبِمُذْ، ومُنذُ.**

●**وأقول:**

-النوع الأول من المخفوضات: المخفوض بحرف من حروف الخفض وحروف الخفض كثيرة. منها "مِنْ" ومن معانيها الابتداءُ، وتجر الاسم الظاهر والمضمر، نحو قوله تعالى:(وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ). ومنها "إلى" ومن معانيها الانتهاء، وتجر الاسم الظاهر والمضمر أيضًا، نحو قوله تعالى:(إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ)، (إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا). ومنها "عن" ومن معانيها المجاورة، وتجر الاسم الظاهر والضمير أيضًا، نحو قوله تعالى:(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ) وقوله:(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ). ومنها "علي" ومن معانيها الاستعلاء، وتجر الاسم الظاهر والمضمر أيضًا، نحو قوله تعالى:(وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ). ومنها "في" ومن معانيها الظرفية، وتجر الاسم الظاهر والضمير أيضًا، نحو قوله تعالى:(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (لا فِيهَا غَوْلٌ). ومنها "رُبَّ" ومن معانيها التقليل، ولا تجر إلّا الاسم الظاهر النكرة، نحو قولك:" رُبَّ رَجُلٍ كريمٍ لَقِيتَهُ". ومنها "الباء" ومن معانيها التعديةُ، وتجر الاسم الظاهر والضمير جميعًا، نحو قوله تعالى:(ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ). ومنها "الكاف" ومن معانيها التشبيه، ولا تجر إلّا الاسم الظاهر، نحو قوله تعالى:(مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ). ومنها "اللام" ومن معانيها الاستحقاق والمِلكُ، وتجر الاسم الظاهر والمضمر جميعًا، نحو قوله سبحانه وتعالى:(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، وقوله:(لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

ومنها حروف القسم الثلاثة -وهي: الباء، والتاءُ، والواو - وقد تكلمنا عليها كلامًا مُستوفى في أول الكتاب؛ فلا حاجة بنا إلى إعادة شيء منه. ومنها واو "رُبَّ" ومثالُها قول امرئ القيس: "وليلٍ كَمَوجِ البحرِ أرْخَى سُدُولهُ".

وقوله أيضًا: "وَبَيْضَةِ خِدْرٍ لا يُرَامُ خِباؤهَا".

ومنها "مُذ" و "منذ" ويجرانِ الأزمانِ، وهما يدلان على معنى "من" إن كان ما بعدها ماضيًا، نحو "ما رأيتُه مُذْ يومَ الخميسِ"، و "ما كلمتُهُ منذ شهر"، ويكونان بمعنى "في" إن كان ما بعدهما حاضرًا، نحو "لا أُكَلِّمُهُ مُذْ يَومِنا"، و "لا ألقاهُ مُنذُ يومنا". فإن وقع بعد "مذ" أو "منذ" فعلٌ، أو كان الاسم الذي بعده مرفوعًا فهما اسمان.

●قال: وأما ما يخفض بالإضافة، فهو قولك:" غلامُ زيدٍ" وهو على قسمين: ما يُقَدَّرُ باللام، وما يُقَدرُ بمن؛ فالذي يقدر باللام نحو "غلامُ زيدٍ" والذي يقدرُ بِمِن، نحو "ثوبُ خَزٍّ" و "بابُ ساجٍ" و "خاتَمُ حديد".

●وأقول:

-القسم الثاني من المخفوضات: المخفوض بالإضافة، وهو على ثلاثة أنواع، ذكر المؤلف منها نوعين؛ الأول: ما تكون بالإضافة فيه على معنى "مِن" والثاني: ما تكون الإضافة فيه على معنى اللام، والثالث: ما تكون الإضافة فيه على معنى "في".

-أما ما تكون الإضافة فيه على معنى "مِنْ" فضابِطُهُ: أن يكون المضاف جزءًا وبعضًا من المضاف إليه، نحو "جُبَّةُ صوفٍ" فإن الجبة بعض الصوف وجزء منه، وكذلك أمثلة المؤلف.

-وأما ما لا تكون الإضافة فيه على معنى "في" فضابطهُ: أن يكون المضاف إليه ظرفًا للمضاف، نحو قوله تعالى:(بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ) فإن الليل ظرفٌ للمكر ووقتٌ يَقَعُ المكرُ فيه.

-وأما ما تكون الإضافة فيه على معنى اللام؛ فكُلُّ ما لا يصلح فيه أحَدُ النوعين المذكورين، نحو "غلامُ زيدٍ" و "حصيرُ المسجدِ".

❖❖❖❖

وقد ترك المؤلف الكلام على القسم الثالث من المخفوضات، وهو المخفوضُ بالتبعية، وعُذرُه في ذلك أنه قد سبق القول عليه في آخر أبواب المرفوعات مُفَصَّلًا، والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم وأعزُّ وأكرم.

أسئلة:

على كم نوع تتنوع المخفوضات؟ ما المعنى الذي تدل عليه الحروف: من، عن، في، رُبَّ، الكاف، اللام؟ وما الذي يجُرُهُ كُلُّ واحد منها؟ مَثِّل بمثالين من إنشائك لاسم مخفوض بكل واحد من الحروف: على، الياءُ، إلى، واو القسم. على كم نوع تأتي الإضافة؟ مع التمثيل لكل نوع بمثالين. ما ضابط الإضافة التي على معنى "من"؟ مع التمثيل. ما ضابط الإضافة التي على معنى "في"؟ مع التِمثيل.

تم بحمد الله ،،،

أكاديمية التأصيل العلمي
AL-TASIL ALELMY ACADEMY

tasil.ac2015@gmail.com +967774591302 أكاديمية التأصيل العلمي
@tasil_ac | @tasil.ac | WWW.taseelacademy.net